

جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله
كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية
قسم علوم اللسان
مدرسة الدكتوراه

الانسجام النصي في ديوان أبي البقاء الرندي - دراسة نصية تداولية -

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم
تخصص علوم اللسان وتحليل الخطاب

إعداد الطالب :

محمد زميط

السنة الجامعية:

2019م - 2020م

جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله
كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية
قسم علوم اللسان
مدرسة الدكتوراه

الانسجامُ النصي في ديوان أبي البقاء الرُّندي - دراسة نصية تداولية -

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم
تخصص علوم اللسان وتحليل الخطاب

إشراف الأستاذ:
د. جمال موسى

إعداد الطالب :
محمد زميط

السنة الجامعية:
2019م - 2020م

شُكْرُكَ رَبِّ

قال النبي ﷺ : لا يشكر الله من لا يشكر الناس .

وقال أيضا : من أتى إليكم معروفا فكافئوه ، فإن لم تجدوا فادعوا له حتى يعلم أنكم قد كافأتموه .

إنه لمن الواجب علينا أن نحمد الله على ما يسر وهدى ، فقد قال الله تعالى لسان الذين يُعرضون عرشه : (لَنَشْكُرَنَّ لَكَ يَدُّكَ وَلَنُكْفِرَنَّ بِإِذْنِكَ) [إبراهيم . الآية 07] .

لذا تقدم بشكرنا الجزيل لكل من ساعدنا في إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد ، أساتذة وزملاء ، ونخص بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور " موسى جمال " الذي لم يخل عنا بتوجيهاته ونصائحه القيمة ، فقد كان لنا نعم المرشد والدليل . فجزاه الله عنا خير الجزاء ، وأطال الله في عمره على الطاعة والعمل الصالح ، ونفعنا الله بعلمه .

" محمد "

إِهْدَاء

إلى أمي ... ثم أمي ... ثم أمي ... ثم أبي.

إلى شريكة الحياة : "هاجر".

إلى إخوتي وأخواتي .

إلى أبنائي عبد الرحيم و وسيم و رميصاء.

إلى السيد الفاضل كمال بلعسل مدير الشؤون الدينية لولاية البليدة الذي فتح لي أبوابا

كثيرة.

إلى أحبتي وجميع رفاقي .

إلى جميع الأساتذة الذين شرفني الله بالتلمذ على أيديهم .

إلى أساتذتي الذين لطالما كانوا سنداً لي في مشواري الجامعي غير أن الموت غيَّبهم :

الأستاذ حشلاف ، الأستاذة يخلف نوال ، الأستاذ بن سراي ، الأستاذ بن سمينة ، الأستاذ

فارح رحمهم الله وأسكنهم فسيح جنانه.

أهدي ما أعاني الله على بلوغه ، راجياً أن يلحقني وإياهم بالصالحين ، إنه على ما يشاء

قدير ، وبالإجابة جدير.



المقدمة

مقدمة :

بعد أن وصلت اللسانيات البنوية إلى طريق مسدود ، ولم تعد تلبي حاجيات الدراسة اللغوية ، حاول اللسانيون الخروج من بوتقة اللسانيات البنوية إلى فضاء أرحب وأوسع ، حيث إن الدراسة البنوية تقف عند حدود الجملة، ولا ترى النص سوى مجموعة من الجمل، ارتأى اللسانيون دراسة النص مقابلا للجملة ، ومحاولة ذكر الفروق بينهما . ومن خلال هذه التضاربات الفكرية اللغوية ، ظهرت اللسانيات النصية كمقابل ومتمم للدراسة البنوية ، التي تعتبر النص وحدة تامة لها خصائصها تميزها عن الجملة . واللسانيات النصية تختص بوصف العلاقات الداخلية والخارجية للنصوص بمختلف مستوياتها ، وقد جاءت متممة لمناهج لسانية سابقة ، ونالت حظا وافرا من الدراسة والاهتمام ، وتجلت معالمه الأولى على يد اللساني الأمريكي زليغ هاريس وبالضبط في النصف الثاني من القرن العشرين من خلال مقال له بعنوان :تحليل الخطاب (analyse de discours) ، ثم كان بعده فان دايك من خلال مؤلفه (النص والسياق) والذي اقترح فيه وسائل ترابط لإقامة الانسجام بين أجزاء البنية النصية ، إذ تجاوز في هذا الكتاب البنية الداخلية للنص ، وركز على العلاقات الدلالية .

بعده استتبط كل من دي بوجراند و دريسلر من خلال مؤلفهما (مدخل إلى علم لغة

النص)، سبعة معايير يجب توفرها في كل نص من النصوص، وهذه المعايير هي :

1- الاتساق.

2- الانسجام .

3- القصدية .

4- المقبولية .

5- رعاية الموقف .

6- التناص.

7- الإعلامية.

و انطلاقا من تحديدنا للمعايير السبعة في تحديد النصية التي من خلالها يمكن

الحكم على النص ، يجب أن ننبه إلى أن النص إنما يتحدد من خلال التقابل مع الجملة، إذ

لم يعد التمييز بينهما منحصرًا في كثرة الجمل وتتابعها أو بنيتها النحوية، وإنما في توفر

هذه المعايير السبعة.

ولعل عنصر الانسجام من أهم المفاهيم اللسانية التي أولتها اللسانية النصية

بالدراسة، إذ يعد من المباحث المهمة التي يبنى عليها النص ، فكثير من اللغويين انكب

في دراساته اللسانية على هذا المصطلح لما له من أهمية في مثل هذه الدراسات.

ويحوي ديوان أبي البقاء الرندي على قصائد خلّدها التاريخ وتداولتها الكتب والألسن ، وتحتاج إلى وقفة طويلة لتأمل معانيها وعاطفتها الصادقة وأحاسيسها الجياشة والكشف عن أسباب شيوعها وخلودها .

وعليه جاء البحث موسوماً بـ " الانسجام النصي في ديوان أبي البقاء الرندي " -دراسة نصية تداولية-، وسنحاول في هذه الدراسة الوقوف على النظام اللغوي المحقق للنصية والكشف عن آليات الانسجام مع ربط هذا كله بالبعد التداولي للقصيدة .

وقد كان اختياري لهذا الموضوع لما يحتوي عليه الديوان من قصائد ذات فصاحة وبلاغة تعكسان واقع اللغة آنذاك، هذا الواقع شكل مجالا خصبا لهذه الدراسة هذا من جهة، ومن جهة ثانية حاولنا تطبيق نظرية حديثة من نظريات البحث اللغوي تتمثل فيما جاءت به الدراسات اللسانية ، هذه الأخيرة تعنى بالدرس اللغوي المعاصر، والذي يطلق عليه علم اللغة النصّي -أو ما يسمى بـ (لسانيات النصّ)- هذا العلم يهتم بدراسة ما وراء الجملة أي النص بوصفه الوحدة الأشمل في الكلام، ويحتوي على مجموع الجمل المكونة له.

وانتقيت ديوان أبي البقاء لما لبعض القصائد فيه من قوة في التعبير عن حال الأمة الإسلامية ، إضافة إلى الوصف الدقيق الذي ميز البيئة الأندلسية عن غيرها وكأننا نعيش تلك اللحظات المحزنة والأليمة التي كان الصليبيون آنذاك يسومون المسلمين أنواع العذاب، كما أن بعض القصائد فيه عدت من روائع ما قيل في الشعر العربي في رثاء

الممالك والمدن، إن لم نقل هي أروع القصائد على الإطلاق، ومما يجب ذكره هو أن أبا البقاء الرندي تميّز ببراعة أدبية لا مثيل لها، كما عبر عن حال الأندلس بألفاظ كان لها أن تكتب بأحرف من ذهب ، وسنحاول إظهار آليات الانسجام التي ساهمت بشكل كبير في جعل الديوان محكما مترابطا ، لهذا آثرت الخوض في هذا الموضوع لما له من أهمية في الدراسات الحديثة .

ومن الأسباب التي دفعتني إلى البحث في هذا الموضوع :

- الرغبة في ربط هذا الموضوع بما أظهرته المدارس اللسانية الغربية الحديثة التي لم تكتف بالروابط اللفظية فحسب بل تعدت ذلك إلى إيجاد روابط معنوية لتماسك النص .

- دراسة الديوان في إطار منهجية علمية حديثة وفقا لمعطيات الدراسة النصية وآلياتها ، ومحاولة الوقوف على جوانب الانسجام النصي .

- إن أبا البقاء الرندي من الشعراء الذين غيروا وجدّوا في شكل القصيدة العربية وبالأخص غرض الرثاء ، إذ انتقل الشعراء في هذا العصر من رثاء الأشخاص إلى رثاء المدن والممالك ، ويعتبر هذا الغرض جديدا بالنسبة إلى عصر الشاعر.

- إيجاد مقاربة نصية للنصوص الأدبية ، مع إظهار مكانها وفق منظور اللسانيات النصية.

ينطلق هذا البحث من إشكالية مفادها :

ما هي الآليات المحققة للانسجام في ديوان أبي البقاء الرندي ؟

وانطلقت في هذا البحث من فرضية مفادها أن القصائد في ديوان أبي البقاء الرندي عبارة عن نص متكامل متماسك ، فبدأت عملي للبرهنة على مدى صحة هذه الفرضية من خلال إثبات تماسك الأجزاء المكونة لكل قصيدة على حده، ثم مدى ترابط القصائد كلها فيما بينها، لتبدو في الأخير نسيجاً متشابكاً متلاحماً.

ومن الأهداف المتوخاة من بحثي هذا :

- محاولة الكشف عن آليات الانسجام النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء

الرندي .

- إثبات أن الانسجام لا يتحقق إلا بوجود مجموعة من العناصر في القصيدة .

وقد حاولنا تطبيق منهج مناسب لهذا الموضوع ، فمنهج واحد لا يصلح لمعالجة هذا الموضوع، بل ارتأينا أن نمزج بين المنهج الوصفي و التحليلي ،لأن طبيعة الموضوع تقتضي ذلك خاصة ما يتعلق بأمور التفسير و التحليل و المقارنة و الشرح، إضافة إلى المنهج التاريخي من خلال تتبعنا لمسار الدرس اللساني النصي الحديث ، كما لا يمكن إغفال المنهج النفسي الذي سيمكن الدراسة من الوصول إلى التأثيرات النفسية التي تجعل من المتلقي محور هذه العملية.

بحثنا مطولا فلم نجد دراسات سابقة للموضوع إلا دراسة سيميائية لمحمد مفتاح في

نونية أبي البقاء الشهيرة برثاء الأندلس ..

أما خطة البحث فقد شملت مقدمة وبايين، اتبعت هذا كله بخاتمة، المقدمة كان

الحديث فيها عن أهمية الانسجام من خلال التركيز على العلاقات و الروابط الخفية غير

المتحققة لفظا بين وحدات النص.

وجاء الباب الأول بعنوان: آليات الانسجام من فصلين، الفصل الأول والذي عنوانه:

مفاهيم وتعريف سنتناول فيه كل ما يتعلق باللسانيات النصية كونه إطار إستيمولوجي في

هذه الدراسات ، مع إلقاء نظرة على مفهوم النص ،النصية ، الخطاب ، وسنقف عند

بعض المصطلحات التي يحتاجها بحثنا وتحتاج إلى توضيح، ثم نخرج الحديث عن

المعايير النصية خاصة ما له علاقة بالدراسة كالانسجام و التناص .

أما الفصل الثاني عنوانه بـ : آليات الانسجام -دراسة نصية تداولية-:

سنتطرق فيه إلى إبراز مفهوم الانسجام في الدراسات العربية القديمة والغربية

الحديثة. وتحديد آليات الانسجام إظهارا وشرحا لكل ما له علاقة بانسجام النص من

خلال التركيز على العلاقات الدلالية بين الوحدات النصية ، لما لبعض الآليات من أهمية

في ترابط أجزاء النص دلاليا كالإجمال والتفصيل ، إذ يعتبران من أهم العلاقات الدلالية

التي تربط أجزاء القصائد بعضها ببعض ، فالتفصيل شرح وتفسير للإجمال ، وهو عبارة

عن مرجعية خلفية لما سبق ذكره ، كما سنتناول السببية ، فالنص تتربط أجزاؤه دلاليا

وفق علاقة السببية ، فالخطاب غالبا ما يرتبط بذكر السبب والنتيجة ، إضافة إلى السؤال والجواب والتدرج والمعرفة الخلفية. والتي تتضمن ثقافة المتلقي ، وأدواته المعرفية والتصورات الذهنية للأشياء.

وسنحاول أيضا إبراز أهم قضايا الانسجام كدور السياق الذي يسهم في فهم الرسالة (النص) ، ودور المتلقي ومبدأ التخييل ، موضوع النص-الخطاب- (البنية الكلية) ودلالة العنوان الذي في الغالب يكون عبارة عن فكرة مسبقة لمضمون القصائد ، فالعنوان هو العتبة الأولى لفهم النصوص ويساعد بشكل كبير في ولوج عالم النص، وغالبا ما يضع الشعراء عنواناً لقصائدهم ولا يكون إلا لدلالة أو هدف ، ويحملون العنوان جزءاً أساسياً من رسالة النص ، ومبدأ التشابه، ذلك أن لهذه العناصر دورا كبيرا أيضا في رصد الترابط الدلالي للنصوص وفي انسجامها، وكل عنصر مما ذكر سابقا يظهر آلية دلالية وكيفية تأثيرها في تماسك قصائد المدونة.

أما الباب الثاني فعنوانه بـ الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء

الرندي وسيكون تطبيقا لعنصر (الانسجام) على ديوان أبي البقاء الرندي ، وسنستخرج منه المظاهر التي ساهمت في إحداث الترابط الدلالي.

أما الخاتمة فستتضمن أهم النتائج التي سنتوصل إليها من خلال هذه الدراسة.

الفصل الأول

لسانيات النص نشأة ومفاهيم

تمهيد :

شكّلت اللّسانيات البنوية المتمثلة في محاضرات (دي سوسير **Fredinand De Saussure**) تغييراً واضحاً في الدّرس اللّغوي و قطيعة إستيمولوجية في تناول الدراسات اللّغوية، وهذه القطيعة التي أحدثتها الدّراسات الـدي سوسيرية لم تكن على مستوى الموضوع فحسب، بل تعدتها إلى مستوى المنهج، وذلك من خلال مُحاضرات أملاها على طلابه بين عامي (1907-1913م)، ونشرها بعده طلابه عام (1916م) ، ومعروفٌ أن دي سوسير (**De Saussure**) أولٌ من فصل بين اللّغة والكلام، فصعوبة تحديد المصطلح جعلت من دي سوسير (**De Saussure**) يفرق بينهما لتعدّد تعريفاتهما، فدّرس اللّغة بمعزل عن الكلام لأن الأولى جماعيةٌ، أما الثاني فهو أداء فردي .

ومنذ ذلك الحين واللّسانيات تشهد تطوُّراً ملحوظاً، وذلك عن طريق نشوء فروع علمية مختلفة، فتركت آراء دي سوسير (**De Saussure**) بصمتها الواسعة على الدّرس اللّغوي الحديث، وانتشر أتباعها في كل من أوربّا وأمريكا .

وفي الخمسينيات من القرن نفسه وبالضبط سنة 1952 قدّم العالم اللّغوي هاريس (**Zellig Harris**) منهجاً جديداً لتحليل الخطاب نشره في مقال له بعنوان: (تحليل الخطاب **Discourse Analysis**) ،وقدّم من خلاله "أول تحليل منهجي للنصوص قائم على اللّسانيات الوصفية مثبتاً قدرتها على تحليل ما هو أكبر من الجملة، متجاوزاً بذلك التقليد الذي أرساه

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

بلومفيلد (Bloomfield) والمسلّم بأنّ النصّ ليس إلاّ مظهرًا من مظاهر الاستعمال اللّغوي غير قابل للتّحديد" (1) .

كما يُعتبر هاريس (Harris) أول من استعمل مصطلح الخطاب، وقد عدّه منهجًا في البحث في "أيما مادة مشكلة من عناصر متميّزة ومترابطة في امتداد طولي سواء أكانت لغة أم شيئًا شبيهاً باللّغة، ومشتتملاً على أكثر من جملة أولية، إنها بنية شاملة تُشخص الخطاب في جملته ...أو أجزاء كبيرة منه" (2) .

وقد ركّز في مقاله على مسألتين مترابطتين: الدّراسة النّحوية للجملة ودراصة علاقة اللّغة بالسلوك والثّقافة، ففي المسألة الأولى: "يتمثل في مواصلة الدّراسة اللّسانية الوصفية بتجاوز حدود الجملة الواحدة في الوقت نفسه " وفي المسألة الثانية: "يتعلق بالعلاقة بين الثّقافة واللّغة (أي العلاقة بين السلوك اللّغوي والسلوك غير اللّغوي)" (3) .

وبعده حاول هارفج (R.Harweg) وصف التّنظيم الداخلي للنص، من خلال اكتشاف العلاقات فيه .

1 - سعيد حسن بحيري، علم لغة النصّ، المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، القاهرة، 1997، ص: 19 بتصرف.

2 - ديان مكدونيل، مقدمة في نظريات الخطاب ، ترجمة عز الدين اسماعيل، المكتبة الأكاديمية، ط1، القاهرة، 2001، ص: 30.

3- محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، المؤسسة العربية للتوزيع، ط1، بيروت، 2001، ج1، ص: 38.

ثم جاء فان دايك (Van Dijk) سنة (1971) ونشر مقالا له بعنوان (جوانب في نحو النصّ) ، تلاه بعد ذلك بكتاب عنوانه " بعض مظاهر نحو النصّ " **Some Aspects Of Text Grammar** سنة (1972) ، إذ يعد هذا الكتاب ثورة إبستمولوجية على النحو التقليدي، ودعا فيه إلى نهج طرق جديدة وحديثة في تحليل النصوص، والتعامل معها على أنها بنية كبرى .

ثم توسعت رؤيته حول التماسك النصي، التي قدّمها في كتابه النص والسياق (**Text and Context**) (1976)، والتي تدرج ضمن إطارين: إطار البنية الداخلية للنص، وإطار المعطيات التداولية، غير أن الدراسة في كتاب: فان دايك (Van Dijk) "علم النصّ مدخل متداخل الاختصاصات" تجاوزت حدود البنية اللغوية الصغرى - أي الجملة- إلى بنية لغوية أكبر وأشمل وهي تحليل النصّ كاملاً، فكان أكثر شمولية وتوسعا بهدف دراسة النصّ من نواح متعدّدة، سواء أكانت من الناحية الدلالية والبراغماتية، أو من الناحية الأسلوبية" (1).

إلى أن توسع البحث النصي أكثر على يد هاليداي (Halliday) (1976) المؤسس الثاني لمدرسة لندن بمعية رقية حسن، وكوناً معاً فرقة اهتمت اهتماماً بالغاً بتحليل النصوص، وقدّما بعد ذلك دراستهما التي نالت شهرة عظيمة، وكان ذلك سنة (1976) وأصدرا كتاباً مشتركاً بعنوان (الاتساق في الإنجليزية) " (**Cohésion In English**) لبحث

1 - ينظر : فان دايك ، علم النصّ مدخل متداخل الاختصاصات ، ترجمة سعيد بحيري ، دارالقاهرة للكتاب، ط1 ،

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

وسائل الربط التي تتجاوز مستوى الجملة، تطبيقاً على اللغة الإنجليزية⁽¹⁾ ، لأنّ الجملة في نظرهما لم تعد كافية لكل مسائل الوصف اللغوي، فقد حاولا من خلال هذا التحليل اللساني النصّي، تجاوز الجملة و البحث في العلاقات التي تربط بين الوحدات الصغرى (الجملة)، لتكوين وحدة كبرى أكبر وأشمل وهي (النص).

تبعهما في ذلك كل من دي بوجراند ودريسلر (R.debeaugrand et Disller) اللذان قدما منهجاً شاملاً في كتابهما (مدخل إلى علم لغة النصّ)⁽²⁾ سنة (1980) ، وساهما في تقديم منهج شامل جمعاً فيه جهود الباحثين اللسانيين السابقين، ووضعاً بعد ذلك مدخلا مهماً لدراسة النصّ في كتابهما "مدخل إلى لسانيات النصّ" (Introduction To Text Linguistics) إذ اعتبروا النصّ حدثاً تواصلياً، ولتحقيق هذا التواصل يجب أن تتوافر فيه سبعة معايير⁽³⁾ هي: الاتساق (Cohésion) ، والانسجام (Cohérence) ، والقصدية (Intentionnalité) والمقبولية (Acceptabilité)، والإعلامية (Informativité)، والمقامية (Situationalité)، والتناص (Intertextualité) .

و في عام (1983) قدم براون ويول (G.Brown et G.Yule) في كتابهما (تحليل الخطاب Analyse du Discours) نقلة نوعية في مجال تحليل الخطاب، فقد

1- عزة شبل محمد ، علم لغة النصّ النظرية والتطبيق ، مكتبة الآداب ، ط2، القاهرة ، 2009، ص:ح.(مقدمة الكتاب).

2 - هذا الكتاب مترجم بعنوان آخر (مدخل إلى لسانيات النصّ).

3 - ينظر المعايير النصّية : ص 63 من هذا الفصل.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

حاولا وضع تصور شامل للكيفية التي يستعمل فيها الناس اللغة -حسب اعتقادهما - للتواصل فيما بينهم، وكيف يُؤلف المتكلم رسائل لغوية يوجهها إلى المُتلقي، فيقوم هذا الأخير بمعالجتها وتحليلها وتفسيرها.

أما جون ميشال آدم (Jean Michel Adam) الذي يعد من أقطاب المدرسة الفرنسية في اللسانيات النصّية، فمن خلال كتابه اللسانيات النصّية (Linguistique Textuelle)، "عكف على تناول النصوص من جانب تداولي، وقد تساءل في هذا الكتاب عن إمكانية كون اللسانيات النصّية هي ذاتها التداولية النصّية، مستدلا على ذلك بمصطلح Pragmatique وتفسيره من خلال استخدام اللسانيين والفلاسفة لهذا المصطلح"⁽¹⁾.

ومنذ ظهور اللسانيات وهي تبحث في العلاقات بين الأسماء والمسميات، كما حاولت تحليل مكونات اللغة، وتقديم نموذج " لتحليل الخطاب وعناصره كما هو موجود في أعمال هاريس (Harris)، وبنفيس (Benveniste)، وتشومسكي (Chomsky) من تناولات تحليلية لمستويات القول من أصغر وحدة (المفردة) إلى أكبر وحدة (الخطاب)، وذلك بالاعتماد على إجراءات (اللسانيات الوصفية Descriptive Linguistics) بهدف اكتشاف (بنية النص Structure of The Text) ، ومن ثم الاعتماد على دراسة العلاقات التوزيعية بين الجمل من ناحية، ثم ربط اللغة بسياق الموقف الاجتماعي من ناحية

¹-J.M.ADAM la Linguistique textuelle , Introduction à l'analyse textuelle des discours ,cursus, paris,1990, p119-

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

أخرى" (1). ثم تطور الأمر " لينتهي إلى دراسة لسانيات النصّ، أو ما عُرف باللسانيات النصّية، والتي تهتم بنحو النصّ، فكل الدراسات السابقة أوّلت اهتمامها لدراسة الجملة كأكبر وحدة، هذه الوحدة هي التي تمثل البنية والنظام اللغويين، ومن خلال هذا تظهر لنا العلاقة بين الوحدات اللغوية، وهي علاقات تواضعية تتميز بالانغلاق والنهائية من حيث أنها مبدئياً - تخضع لقوانين تواضعية قارة وجاهزة" (2).

غير أن هذه الدراسات لم ترقَ إلى معالجة النصّ بوصفه " وحدة كليّة شاملة، وكل الدراسات البلاغيّة القديمة لم تتجاوز المستوى التركيبي إلى النطاق الدلالي للفقرة الكاملة أو المتتالية النصّية، فضلاً عن أنه لم يشمل نصّاً تامّاً في البلاغة القديمة، بينما يقوم علم النصّ بتناول بناء فقرة أو فصل من النصّ أو النصّ كله" (3).

1 - جميل عبد المجيد ، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصّية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص: 65.

2 - الطيب دبة ، مبادئ اللسانيات البنوية ، دراسة تحليلية إبستمولوجية ، ص: 72 نقلاً عن وسام نش : ظواهر الاتساق والانسجام في النصّ القرآني سورة الكهف نموذجاً ، رسالة ماجستير 2012، جامعة الجزائر 2، إشراف الدكتور بن عروس مفتاح، ص: 31.

3- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النصّ، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد (164) صفر 1413هـ، أغسطس 1992م، ص: 264 (وجوب كسر همزة إن بعد حيث ، لكنها وردت هكذا في الكتاب بفتح همزة إن).

أولاً: من نحو الجملة إلى نحو النصّ:

ظلت الدراسات لسنيين طويلة مرتكزة على تحديد مفهوم الجملة الذي يتسم بالتّوَعُّع والاختلاف، كون تعريفاتها متشعبة وشائكة وغامضة أحياناً، فاللّغويون يعتبرون الجملة المكون الرئيس للنّص، كونه مُشكّل من جملة أو مجموعة من الجمل المتتابعة، وقد ورد تعريفها في معجم اللّسانيات الحديثة على أنها " مجموعة من المكونات اللّغوية مرتبة ترتيباً نحوياً بحيث تكون وحدة كاملة في ذاتها وتعبّر عن معنى مستقل" (1).

وهي وحدها الوحدة الأساسية في علم اللّغة، إذ إنها " أكبر وحدة يمكن تعيينها ومن ثم متاحة للوصف اللّغوي، ويتضح هذا الموقع الأساسي لعلم لغة الجملة في أجلي صورة من المنظور البنيوي لدى بلومفيلد (L.Bloomfield) في تعريفه للجملة تعريفاً شكلياً صارماً" (2)، وقد حدّدها بـ"الصيغة اللسانية المستقلة بحيث تؤدي وظيفتها دون توقف على صيغة تركيبية

1 - سامي عياد حنا وآخرون، مكتبة ناشرون، (د ط) بيروت، لبنان، 1997م، ص: 729.

2 - فولفجانج هاينه من وديتر فيهفجر، مدخل إلى علم اللّغة النصّي، ترجمة فالح بن شبيب العجمي، مطابع جامعة

الملك سعود، ط1، الرياض، 1999، ص: 19.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

تشملها"⁽¹⁾، على أن الجملة في نظره، من خلال تعريفه الشكلي الصارم، بوصفها الوحدة اللغوية الكبرى، فهي وحدة أساسية ذات شكل لغوي مستقل .

وأما من المنظور التحويلي، فهي " عملية إنجاز وإنشاء من ناحية ونتيجة لما يحدث من تفاعل بين البنيتين: السطحية والعميقة، بعيداً عما يكتنف الجملة من أبعاد خارجية كانت محط أنظار الوظيفيين الذين أولوا جُلّ عنايتهم الجملة؛ فعرفوها بأنها أقلّ قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه" ⁽²⁾ .

واهتمت الدراسات اللسانية الغربية بالجملة اهتماماً كبيراً على أنها الجزء القابل للوصف أو التحليل، وخصوصاً العالم اللغوي هاريس (Harris)، الذي تجاوز في دراساته حدود الجملة أي البنية الصغرى، وبحث عن بنية أكبر منها تشمل النصّ، وتدعى البنية الكبرى، فقد حاول الانتقال إلى فضاء أوسع في التحليل، "ليبحث بعدها عن العلاقات الرابطة بين الجمل على مستوى النصوص وربطها بالموقف الاجتماعي فأعاد للغة نشاطها الاجتماعي الحيوي معتبراً وضعية التخاطب والتفاعل التي توجه الخطاب إلى عالم المتخاطبين بهدف المقاصد

1- نقلاً عن: عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية، بنية الجملة العربية - التراكيب النحوية والتداولية - علم

النحو وعلم المعاني، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2004، ص:60. نقل عبد الحميد السيد هذا القول عن

إبراهيم مصطفى من كتابه الذي قدم له طه حسين مطولاً و الموسوم بإحياء النحو وهو رؤية جديدة للنحو، وبعد تصفحي

للكتاب كاملاً لم أجد هذا القول في الكتاب ربما أشكل عليه المرجع ونسبه لغيره.

2- عبد الحميد السيد، المرجع نفسه، ص:60.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

الصّريحة والضمّنية⁽¹⁾. ووضع منهجاً لتحليل الخطاب نشره في مقال له بعنوان : " تحليل الخطاب"، إذ يعتبر هذا المقال اللّبنة الأولى لأوّل تحليل منهجي قائم على اللّسانيات الوصفية بهدف الوصول إلى اكتشاف بنية النصّ (Structure Of The Text) وقصر فيه الدراسة على الجمل والعلاقات فيما بين أجزاء الجملة الواحدة، مثبتاً قدرتها على تحليل ما هو أكبر من الجملة، وقد أكد هاريس (Harris) على وجوب تجاوز أمرين اثنين وقعت فيهما الدراسات اللّغوية الوصفية والسلوكية وهما :

1- عدم حصر المجال في دراسة الجملة وحدها فقط ، لأنّ مجال الجملة ضيق فلا يمكن دراسة العلاقات التي تربط الجملة الواحدة فقط، بل يجب أن تتعداها من خلال العلاقات التوزيعية بين الجمل .

2- الربط بين اللّغة والموقف الاجتماعي⁽²⁾.

وقد اعتمد هاريس (Harris) في مقاله على مسألتين مترابطتين: الدراسة النحوية للجملة ودراسة علاقة اللّغة بالسلوك والثّقافة، ففي المسألة الأولى: "يتمثّل في مواصلة الدّراسة اللّسانية الوصفية بتجاوز حدود الجملة الواحدة في نفس الوقت" وفي المسألة الثانية: "يتعلق بالعلاقة بين الثّقافة واللّغة (أي العلاقة بين السلوك اللّغوي والسلوك غير اللّغوي)"⁽³⁾.

¹ - خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفاهيم ، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف بيروت، ط1، الجزائر، 2013. ص:184.

² - جميل عبد المجيد ، البديع بين البلاغة العربية واللّسانيات النّصية ، ص: 65.

³ - محمد الشاوش ، أصول تحليل الخطاب، ص:38.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

إن ما قدّمه هاريس (Harris) في مقاله دعوةً صريحةً إلى الانتقال من تحليل الجملة إلى تحليل الخطاب، بعدما رأى أن دراسة الجملة وحدها قاصرة، وذلك بقوله: "اللغة لا تأتي على شكل كلمات أو جمل مفردة، بل في نص متماسك، بدءاً من القول ذي الكلمة الواحدة إلى العمل ذي المجلدات العشرة"⁽¹⁾.

من هنا بدأ بعض اللسانيين ينتبهون إلى المشكلتين اللتين أثارهما هاريس (Harris) وإلى أهمية تجاوز الدراسة اللغوية مستوى الجملة إلى مستوى النصّ، و"الربط بين اللغة والموقف الاجتماعي مشكلين بذلك اتجاهاً لسانياً جديداً أخذت ملامحه ومناهجه وإجراءاته في التبلور منذ الستينيات تقريباً"⁽²⁾.

وكان اللغويون انطلاقاً من إدراكهم المحدودية الواضحة للنماذج الحالية في وصف الجملة، قد عبّروا عن ضرورة توسيع مجال علم اللغة ليتجاوز علم اللغة النسقي المحصور في الجملة، فيمتد "علم لغة الجملة" التقليدي إلى "علم للغة النصّ" أو ما فوق الجملة (فرضية التوسع)⁽³⁾.

¹ - فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر ، مدخل إلى علم اللغة النصّي ، ص: 21.

² - جميل عبد المجيد ، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصّية ، ص: 66.

³ - فولفجانج وفيهفيجر، المرجع السابق ، ص: 20.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

فحدّ الجملة هو المعنى الذي تؤدّيه وباكتماله يكتمل حدّها قصُرت أم طالت،
"فالجملة وحدة دلالية تؤدّي معنى دلاليّاً واحداً، واستقلالها فكرة نسبية تحكمها علاقات
الارتباط والربط والانفصال في السّياق"⁽¹⁾.

فالّلسانيات اتخذت من الجملة " منطلقاً لكلّ دراسة تروم وصف اللّغة وتقعيدها، وتجعل
من أهم أهدافها وصف بنيّتها المجرّدة، وما يتخرّج على هذه البنية من أنماط، وما يرتبط بكلّ
نمط من مقاصد ودلالات وضوابط تتحكم في الأبنية المكونة ووظائفها"⁽²⁾

ولو بحثنا في آراء دي سوسير (De Saussure) ومحاضراته التي جمعها طلابه،

لما وجدنا إشارته إلى كلمة "نص" باعتباره مصطلحاً، إلا ذكره له -عرضاً- مرتين:

الأولى عندما تحدث عن موضوع الدراسة الفيلولوجية، التي يعتبرها "علماً يتناول ضبط

النّصوص وتأويلها والتعليق عليها"⁽³⁾ بدراسة المسائل اللّغوية الماثّثة في نصوص العهود
المختلفة.

¹ -حميدة مصطفى، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر -

لونجمان، ص: 148.

² - عبد الحميد السيد، دراسات في اللّسانيات العربية ج: 2، ص: 57 .

³ - محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج: 1، ص: 26.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

والثانية عندما تحدث عن الكلام المنطوق والمكتوب، "فالكلام المنطوق يفلت في أغلب

الأحيان عن الملاحظة، فإنه يتعيّن على الألسني أن يقرأ أيضا حسابًا للنصوص المكتوبة،

لأنها هي وحدها التي تمكنه من أن يعرف الألسن القديمة أو النائية"⁽¹⁾.

فالجملّة في النصّ "لا تُفهم في حدّ ذاتها فحسب، وإنما تسهم الجمل الأخرى في فهمها،

وهذا يبين أنّ الجملّة ليست وحدها التركيب الذي نحدد به المعنى، وإنّما نحدّد المعنى أساساً

من خلال النصّ الكلّي الذي تتضامن أجزاؤه وتتآزر، وعلى الرغم من علاقات التبادل

المحورية بين الجملّة والنصّ فإنّهما لا يمكن أن يتساويا أو يتبادلا، فقد أثبت النصّ ... أنّه

وحدة كبرى ذات طبيعة خاصة تتطلب في - العادة - وحدات الجملّة، على الأقل من الناحية

النحوية، ومع ذلك فالنصّ لا يطابق الجملّة إلا بشكل استثنائي" ⁽²⁾.

ترى خولة طالب الإبراهيمي أنّ الاتجاه إلى نحو النصّ بمثابة فتح جديد في

اللسانيات الحديثة إذ تقول في معرض حديثها عن ضرورة تجاوز حدود الجملّة في التحليل

" بوصفه التحول الأساسي الذي حدث في السنوات الأخيرة لأنّه أخرج اللسانيات نهائياً من

مأزق الدراسات البنوية التركيبية التي عجزت في الربط بين مختلف أبعاد الظاهرة اللغوية،

البنوي ، الدلالي ، التداولي " ⁽³⁾.

¹- محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ص: 26.

² - سعيد حسن بحيري، علم لغة النصّ، المفاهيم والاتجاهات، ص: 140.

³ - خولة الإبراهيمي ، مبادئ في اللسانيات ، دار القصبة للنشر، ط2، الجزائر، 2000، ص: 167.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

يذهب رايزر (H.Rieser) إلى القول بأنّ نحو النصّ يبدأ في اللحظة التي يفشل فيها نحو الجملة عن " الإجابة على المسائل اللغوية، ويرى أنّ القول بأنّ النصّ يشكل علماً مستقلاً هو أمرٌ متروكٌ للمستقبل كي يجيب عليه، ويتضح أنّه يختلف في هذه الناحية مع دي بوجراند (R.Debeaugrand) وغيره، من الذين قرروا منذ البداية أنّ علم النصّ لا بد أن يكون علماً مستقلاً وقائماً بذاته " (1).

كثيرٌ من اللسانيين تناولوا نحو النصّ بمفاهيم مختلفة باختلاف توجهاتهم ومنطلقاتهم مما يجعلنا نتساءل عن كيفية إمكانية أن يكون النصّ موضوعاً لدراسة لسانية.

ونحو النصّ كما عرّفه دايفيد كريستال (David Crystal) هو " العلم الذي يبحث في سمات النصوص وأنواعها، وصور الترابط والانسجام داخلها، ويهدف إلى تحليلها في أدق صورة تمكّنا من فهمها وتصنيفها ووضع نحو خاص لها، مما يُسهم في إنجاح عملية التواصل التي يسعى إليها منتج النصّ ويشارك فيها متلقيه ... " (2).

وقد اختلف في ماهية نحو النصّ وتحديد تعريف شامل له، غير أنّ المفهوم الأكثر تداولاً هو " ذلك الفرع من قواعد النصّ التي لم تُقَم بعد ، وهو الذي يصف وسائل التعبير

¹ - يوسف نور عوض، علم النصّ و نظرية الترجمة، دار الثقة للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 1410، ص: 25 .

² - أحمد كشك ، علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق، محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، ط1، القاهرة ، 1403هـ -

1983م، ص: 9 و 38 .

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

المسؤولة عن عملية تشكيل النصّ، وخلافاً لدلالة النصّ وبراجماتية النصّ يقتصر مجال نحو النصّ على الوسائل اللغوية المحققة نصياً والعلاقات بينها " (1).

هذا القول يتقاطع مع تعريف (Van Dijk) الذي يقول فيه بأنّ نحو النصّ هو " صياغة قواعد تمكّنا من حصر كل النصوص النحوية في لغة ما بوضوح ومن تزويدنا بوصف للأبنية " (2).

كل تعريفات نحو النصّ، يركّز فيها اللغويون على مهمة نحو النصّ دون سواها، فلا نكاد نلمس في كثير من هذه التعريفات حديثاً عن ماهيته أو كنهه، غير أنّ التعريف الشامل هو ما قال به دايفيد كريستال (David Crystal) الذي يُعدّ تعريفاً جامعاً وشاملاً من كل الجوانب، مهمته ومجال عمله، كما ركز على أهمّ العناصر كالتّرابط و الانسجام .

وقد حاول دي بوجراند تعداد الفوارق بين الجملة والنصّ، كما قدم لمحة عن الدّراسات اللغوية التي اعتمدت بناء الجملة، وقد كانت الجملة محل دراسات لعصور سحيقة، إلا أنّ هذا التركيب قد أُحيط بالغموض وتعدّد التعريفات حسب دي بوجراند ، فأورد مجموعة من التعريفات، منها أنّ الجملة عبارة عن فكرة تامّة، أو إنّها تتابع من عناصر القول ينتهي بسكّنة. أو إنّها نمط تركيبّي ذو مكونات شكلية خاصّة، ويعقّب على ذلك بالقول "إنّ اللّمحات

¹ - زتسيسلاف وأورزنيك، مدخل إلى علم النصّ، مشكلات بناء النصّ، ترجمة سعيد بحيري، القاهرة، مؤسسة المختار، 1424

-2003، ص:60

² - سعيد حسن بحيري ، علم لغة النصّ ، المفاهيم والاتجاهات، ص: 135

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

التضمينية الوظيفية لكلّ هذه المعايير تختلف اختلافاً تامّاً فيما بينها، وأنّ البحث العلمي ليوضّح أنّ الناس يختلفون في أحكامهم بالنسبة لما تتكون منه الجملة " (1).

ويرى دي بوجراند أنّ الكيان اللّغوي المتعدّد المستويات "لابدّ أن يكون هو النصّ المشتمل على أجزاء يمكن لها أو لا يمكن أن تركّب في صورة جمل" (2).

بعدها يعرض الفوارق التي يراها جوهرية بين النصّ والجملة (3).

ومن خلال هذه الفروق التي ذكرها دي بوجراند التي تُميز الجملة عن النصّ، هي التي جعلت من لسانيات النصّ علماً قائماً بذاته، من حيث الموضوع والمنهج والأهداف، فجعلت من النصّ الهدفَ الأولى بالدراسة من الجملة، لأنّ هذه الأخيرة غير قادرة على أن تكون حدثاً تواصلياً مكتفياً بذاته، فلا بدّ للجملة أن تتبعها جمل كي تكون النصّ، " و الجدير بالذّكر أنّ دي بوجراند في محاولة إيجاد فروق بين الجملة و النصّ في قوله : " إنّ الجملة كيان قواعديّ خالص يتحدّد على مستوى النحو فحسب، أمّا النصّ فإنّه يُعرف تبعاً لمعايير النصّية، كالاتساق، والانسجام، والقصد، ورعاية الموقف، والتناص، والإعلاميّة" (4)، فعند حديثه عن الجملة إنّما قصد الجمل التي تستعمل كشواهد نحوية، أو تلك التي لا يتم معناها إلا بربطها بما سبقها كالتي تجتزأ من النصّ كشاهد أو دليل ، إذ إنّ الجمل ذات

1- روبرت دي بوجراند ، النصّ والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان ، عالم الكتب ، ط 1 ، القاهرة ، ص : 88.

2- روبرت دي بوجراند، المرجع نفسه، ص : 78.

3 - المرجع نفسه ، ص : 89-94.

4 - نفسه، ص : 90.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

المعنى التام تعدّ نصّاً، وأفضلُ نظرة إلى النصّ أنّه وحدة دلالية، وهذه الوحدة ليست شكلاً لكنها معنى، لذا فإنّه -أي النصّ- ليتصل بالعبرة أو الجملة بالإدراك لا بالحجم " (1) .

وتأتي أهميّة نحو النصّ في مجال التحليل اللسانيّ من حيث " احتواؤه على نظم النحو التقليدي وأدواته، فكما أنّ نحو الجملة عالج المعنى في الأمثلة والنماذج اللغوية والمقتطعة من نصوصها من خلال أدواته ليحقّق الربط الدلالي في الإسناد (المسند والمسند إليه) فإنّ نحو النصّ يتجاوز ذلك بكثير، من حيث أنّه يستخدم أدوات النحو ذاتها، ويوظّفها في تحقيق الترابط بين الجمل المتتابعة في النصّ أو الخطاب، من حيث هي عناصره ووحداته الدلالية الصغرى " (2) .

لذا نجد بأنّ النظريات اللسانية الحديثة اهتمت بدراسة الجملة، باعتبارها وحدة لغوية نظامية، وأقصت مصطلح النصّ من أبنيتها النظرية، " فقد أقصى دي سوسير (De Saussure) الكلام، وأقصى أتباع بلومفيلد (L.Bloomfield) المعنى لاتصاله بالمقام واختلاطه به، وكأنّ المقام في جلّ النظريات أسوأ حظاً لشدة التشعب الذي يفضي إليه " (3) .

¹ -صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر التوزيع، ط1، القاهرة، 2000، ج1، ص: 29 - 30.

² -مصطفى النّحاس، نحو النصّ في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ذات السلاسل، ط1، 2001، ص: 9 .

³ -محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج1، ص: 41.

الفصل الأول ===== لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

وخلاصة القول نحو النصّ "أصبح ضرورياً لتحقيق هدفه" ⁽¹⁾ ولا يعني هذا التخلي عن الجملة، أو إنّ لا مجال لوجوده، الأمر الذي يرفضه الكثير من اللسانيين، لأنّ الحاجة إلى نحو جديد "ناتجة عن تحديد أهداف أكثر شموليةً واتساعاً ، ولا يعني ذلك طرح إنجازات نحو الجملة جانباً، وهذا ما جعل فان دايك يذهب إلى أنّ نحو الجملة يُشكّل جزءاً غير قليل من نحو النصّ" ⁽²⁾، وبذلك تكون قواعد نحو الجملة هي القواعد المؤسسة لنحو النصّ .

¹ - أحمد عفيفي، نحو النصّ اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2001، ص: 69.

² - سعيد بحيري، علم لغة النصّ، المفاهيم والاتجاهات، ص: 135.

ثانيا : بين النصّ والخطاب :

لا يمكن الحديث عن النصّ بمعزل عن الخطاب، إذ اهتم اللسانيون بدراستهما على حدّ سواء، ووقع كثيرٌ منهم في الخلط بين مفهومي النصّ والخطاب لشدة تداخلهما، ووقعوا في إشكالات كبيرة تخصّ ضبط المصطلحات وتحديد مفهومها، خاصة وأنّ مفهوم الخطاب " مفهوم مائع ومتعدّد الدلالات " (1)، لذلك كان لزاما أن نفرّق بينهما، فالنصّ " يمثل المظهر الشكلي المجرد للخطاب، بينما يعني هذا الأخير الممارسة الفعلية الاجتماعية للنصّ " (2)، وهو عند آخرين " كائن فيزيائي منجز، أمّا الخطاب فهو موطن التفاعل والوجه المتحرك فيه، ويتمثل في التعبير والتأويل " (3).

ورد تعريف الخطاب في معجم اللسانيات لجون دوبوا (Jean Dubois) " الخطاب هو وحدة مساوية للجملة أو أعلى منها، متكون من تتابع (تسلسل) مشكلا رسالة عندها بداية ونهاية " (4).

¹ - سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي "الزمن ، السرد ، التبئير"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1989 ، ص:20

² - محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النصّ، ومجالات تطبيقه، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم، ط1، بيروت، 2008، ص:73.

³ - الأزر الزناد، نسيج النصّ، بحث في ما يكون به الملفوظ نصّا، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1993 ، ص15.

⁴ - Jean Dubois et autres, Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, Larousse ;Paris, 1999. P150 « Le discours est une unite égale ou supérieur à la phrase; il est constitué par une suite formant un message ayant un commencement et une clôture »

الفصل الأول = لسانيات النص نشأة ومفاهيم

يُعرف هاريس (Harris) الخطاب⁽¹⁾، بقوله: "إنّه ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة، يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية، وبشكل يجعلنا نطل في مجال لساني محض " (2) .

يرى هاريس (Harris) بأن ما يحكم تشكّل الأجزاء هو ظاهرة التنظيم والترابط اللذين يكشفان عن بنية النص.

يعرف أحمد المتوكل الخطاب بقوله بأنّه : "مُيز عن الجملة في هذا النمط من النظريات باعتباره يتسم بسمتين : تعدّيه للجملة من حيث حجمه وملابسته لخصائص غير لغوية دلالية وتداولية وسياقية .

على أساس هذا التمييز، وقّف من الخطاب موقفان :

أولهما : إقصاؤه من الدرس اللساني الصرف باعتباره يندرج بخلاف الجملة ، في حيز " الإنجاز " أكثر من اندراجه في حيز " القدرة اللغوية".

وثانيهما : الاحتفاظ به لكن على أساس أن يتخذ موضوعا لدرس لساني منفصل سمّي " لسانيات الخطاب " (أو تحليل الخطاب) في مقابل " لسانيات الجملة " (1).

1 - يعتبر هاريس أول لساني وسّع حدود البحث اللساني ، محاولا تجاوز الجملة في التحليل ، إلا أننا من خلال التعريف نجده لازال مرتبطا بتحليل الجملة خاصة عندما تحدث عن الجمل المنغلقة، فهو لا يتجاوز حدود الجملة في التحليل من خلال هذا التعريف .

2- D .Maingueneau, Initiation aux méthode de l'analyse du discours, Classiques

Hachette,Paris,1976,(Introduction,.) P. 9

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

أما محمود عكاشة فيُعرف الخطاب بقوله : " كلامٌ موجّهٌ إلى متلقٍّ بقصد التأثير والإقناع، أو المشاركة الكلامية بين طرفي الاتصال مشافهةً أو كتابةً للتأثير والإقناع ولتحقيق مقاصد اتّصالية " (2) .

ويُعرفه طه عبد الرحمن فيقول: " إنّ المنطوق به - أي الخطاب- الذي يصلح أن يكون كلاماً : هو الذي ينهض بتمام المقتضيات التواصلية الواجبة في حقّ ما يسمى خطاباً، إذ حدّ الخطاب أنّه كلّ منطوق به موجّه إلى الغير بغرض إفهامه مقصوداً مخصوصاً " (3).

ويُعرف بنفينيست (Benveniste) الخطاب بأنّه " الملفوظ المنظور إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التّواصل وهو كلّ تلفظ يفترض متكلماً ومستمعاً وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما ... " (4) ، فالخطاب عند بنفينيست (Benveniste) ملفوظ مقرونٌ بالتواصل، وتلفظ يفترض ركنا العملية التواصلية من متكلم ومستمع ويشترط فيه التأثير في المستمع، فالملفوظ عنده ما تم تداوله وإنجازه، أمّا التّلفظ فهو ما لم يخرج للعلن وهو في طور الإنجاز .

¹ - أحمد المتوكل ، الخطاب وخصائص اللّغة العربية ، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم، ط1، بيروت، 2010، ص: 21-22.

² - محمود عكاشة، تحليل النصّ، دراسة الروابط النصّية في ضوء علم اللّغة النصّي، مكتبة الرشد ناشرون، ط1، 2014، ص: 13.

³ - طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، 1985، ص: 83.

⁴ - من لسانيات الجملة إلى لسانيات النصّ ، بشير إبرير، مجلة الموقف الأدبي ، العدد 401 ، ص: 29 .

ويعرفه ميشيل فوكو (Michel Foucault) بقوله : الخطاب "مجموعة من المنطوقات بوصفها تنتمي إلى نفس التشكيلة الخطابية ، فهو ليس وحدةً بلاغيةً أو صوريةً قابلةً لأن تتكرر إلى ما لا نهاية ، يمكن الوقوف على ظهورها واستعمالها خلال التاريخ، بل هو عبارة عن عدد محصور من المنطوقات التي تستطيع تحديد شروط وجودها "(1).

ويحيل فوكو (Michel Foucault) الخطاب إلى فكرة استنبطت من واقع معرفي بقوله : " إنّ كل خطاب ظاهر ينطلق سرا وخفية من شيء ما تم قوله ... والخطاب ليس مجرد جملة تم التلفظ بها أو مجرد نص سبقت كتابته، بل هو شيء لم يقل أبداً " (2). ويذهب صلاح فضل إلى أنّ النصّ وحدة معقدة من الخطاب، فالخطاب يجتمع فيه أولاً عمل تركيب يمثّل وحدةً شاملةً لا يمكن قصرها على مجرد محصلة جمع عدد من الجمل والفقرات، ثم يخضع هذا التركيب لعدد من القواعد الشكلية، أي لعملية تشفير، لا بعده لغة، وإنما بعده خطاباً ... " (3).

والملفت للانتباه أنّ صلاح فضل رغم تفرقه بين النصّ والخطاب إلا أنّه يخلط بين المفهومين في مؤلفاته، فيستعملهما بنفس المعنى، ويستبدل أحدهما بالآخر في كثير من آرائه ومؤلفاته، لأنّه يعتقد بأنّ الخطاب مرحلة من مراحل الوصول إلى النصّ، لذلك يستعمل

¹ - الزواوي بغورة ، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو ، المجلس الأعلى للثقافة ، 2000، ص: 95

² - ميشيل فوكو ، حفریات المعرفة، ترجمة : ساءم يفوت ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 1987، ص: 25

³ - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النصّ، ص: 319.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

المصطلحين للدلالة على معنى واحد كقوله : "فإنّ الخطاب من هذا المنظور -يظل هو الأولى بالعناية باعتباره نمطا من الإنتاج الدالّ، يحتل موقعا محددًا في التاريخ، أو يشغل علما بذاته ، كما يُسمى البلاغة من قبل، وهو الآن بما اعتراه من تحول معرفي أسهمت به البحوث السيميولوجية يُسمى علم النصّ: Science De Text" (1) .

وقد عرّف سعد مصلوح الخطاب بأنه " رسالة موجهة من المنشئ إلى المتلقي تستخدم فيها نفس الشفرة اللغوية المشتركة بينهما، ويقتضي ذلك أن يكون كلاهما على علم بمجموعة الأنماط والعلاقات الصوتية، والصرفية والنحوية والدلالية التي تُكون نظام اللغة (أي الشفرة) المشتركة، وهذا النظام يلبي متطلبات الاتصال بين أفراد الجماعة اللغوية وتتشكل علاقاته من خلال ممارستهم كافة ألوان النشاط الفردي والاجتماعي في حياتهم " (2) .

فالعلاقة بين النصّ والخطاب متعدّدة، " فهناك من يرى أنّهما شيء واحد ، أو يرى أنّ النصّ أعمّ من الخطاب، وهو التصور الذي أدافع عنه ، كما أنّ هناك من يرى أنّ الخطاب أشمل من النصّ، ونجد محمد مفتاح ممن ينتصر لهذا الطرح" (3)، ويرى رأي جون ميشال آدم (M.J Adam) في تفريقه بين النصّ الذي يمثل المظهر الشكلي المجرد

¹ - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النصّ، ص:136

² - سعد مصلوح ، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية ،دار البحوث العلمية ، مطبعة حسان ، ط1، القاهرة، 1980 ، ص :23

³ - سعيد يقطين ، من النصّ إلى النصّ المترابط -مفاهيم أشكال تجليات - عالم الفكر ، مج 32، ع2 ، أكتوبر- ديسمبر

2003 ، ص: 75، و محمد مفتاح ، التشابه والاختلاف ، المركز الثقافي العربي ، ط1، الدار البيضاء ، بيروت ، 1996 ،

ص:34 وما بعدها

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

للخطاب، وبين الخطاب الذي يعني الممارسة الفعلية الاجتماعية للنص ، فالخطاب أعمّ من النصّ وفقا لهذه المعادلة:

الخطاب = النصّ + شروط الإنتاج أو ظروف التواصل

النصّ = الخطاب - شروط الإنتاج أو ظروف التواصل

وهناك أيضا من فرق بين النصّ (Text)، والخطاب (Discourse)، فالخطاب

هو "مصطلح يستخدم في اللغة للإشارة إلى امتداد متواصل من وحدات لغويّة أكبر من الجملة -المنطوق منها خاصة- " (1).

أمّا فان دايك (Van Dijk) فيميز بين النصّ والخطاب من ناحية أنّ " الخطاب هو في أنّ فعل الإنتاج اللفظي ونتيجته الملموسة والمسموعة والمرئية، بينما النصّ هو مجموع البيانات النسقية التي تتضمن الخطاب وتستوعبه وتعبير آخر : أنّ الخطاب هو الموضوع الإمبريقي (2) والمجسد أمامنا كفعل، أما النصّ فهو الموضوع المجرد والمفترض، إنّهُ نتاج لغتنا العلمية" (3)، ففان دايك يدعو " إلى إعادة بناء الأقوال ليس على شكل جمل وإنّما على

¹⁻ Crystal (David); A Dictionary of Linguistics and phonetics; Black well published; (6th ed); London 1991; S.V Text; p.p. 148. "A term used in linguistics to refer to a continuous stretch of (especially spoken) language larger than a sentence"

2 - الإمبريقية Empiricism. هي المذهب الذي يرى أنّ أصل المعرفة هو التجربة ، لذا يطلق عليه أحيانا (المذهب

التجريبي).

3 - سعيد يقطين، انفتاح النصّ الروائي، النصّ والسياق، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، الدار البيضاء، 1989، ص:16

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

شكل وحدة أكبر وهي النصّ، ويعني دايك (Van Dijk) بالنصّ البناء النظري التحتي المجرد لما يسمى عادة خطاباً (1) .

فان دايك (Van Dijk) يرى بأنّ النصّ غير الخطاب، وهو أعمّ منه، وهذا الرأي أقرب للمنطق وقد قال به سعيد يقطين أيضاً، فالخطاب والتلفّظ أعمّ من القول والنصّ (2)، ولو تأملنا مؤلفه " انفتاح النصّ الروائي لوجدناه يربط الخطاب بالمظهر النحوي أما النصّ فيربطه بالمظهر الدلالي (3) .

والنصّ باعتباره قاعدة يرتكز عليها ما هو مكتوب، فيثير بعض المفاهيم المجاورة له في ذهن المتخاطبين - متكلّماً وسامعاً - ومن بينها الخطاب الذي "يشكّل النسيج المفهومي والدلالي الذي ينظّم بناء النصّ في مجال النقد الفلسفيّ والنقد الأدبيّ معاً، يدخل الخطاب كأداة تحليل بنيويّ من جهة وسيميائيّ دلاليّ من جهة التركيب. فما كان تقليدياً يسمّى بالحيّز النفسي والحيّز الاجتماعي وعلاقات الكاتب والقارئ عبر توسّط النصّ وجد له مؤثراته داخل

1 - محمد خطابي ، لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط2، المغرب، 2006، ص: 27

2 - محمد مفتاح ، علامات في النقد ، النادي الأدبي الثقافي ، جدة ، ج 35 ، مج 9، 2000 ، ص: 9

3 - سعيد يقطين، انفتاح النصّ الروائي ، النصّ والسياق ، ص: 18 وما بعدها

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

مفهوم الخطاب⁽¹⁾ وبهذا يصير النصّ هو الخطاب نفسه، الذي يُحيل المتخاطبين إلى مجال تواصلٍ معتمد على وظيفة اللغة.

يرى رافائيل سالكي (Rafael Salki) أن النصّ والخطاب مترادفان، إذ يقول في معرض حديثه عن علم المصطلحات: "بعض اللّغويين يميز بين كلمتي "نص" و "خطاب" حيث إن بعضهم يستعمل كلمة "نص" للتعبير عما يقوله الكاتب أو المتحدث، فيما أنّ "الخطاب" بالنسبة للّغويين، تستعمل في الحالة التي يحاول فيها متكلمان أو كاتبان إقناع بعضهما البعض، وفي هذا الكتاب، هاتان الكلمتان تستعملان بالتبادل للإشارة إلى أي امتداد لغوي قد يكون أطول من جملة واحدة، ولهذا قد يكون لهما خصائص هيكلية تقود خارج نطاق الصرف أو النحو، ولغرض السهولة والبساطة من الأفضل استعمال كلمة نص" (2).

وممن قال أيضا بترادف الخطاب والنصّ محمد خطابي ومحمد الشاوش، إذ يريان أنّ النصّ والخطاب وجهان لعملة واحدة تسمى نصا وخطابا في آن واحد.

1- محمد عبد العظيم، معاني النص الشعري، طرق الإنتاج وسبل الاستقطار، ضمن صناعة المعنى وتأويل النص، أعمال الندوة التي نظمها قسم العربية كلية الآداب منوبة سلسلة الندوات مجلد : VIII منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، 1992، ص: 193.

² - A quick note on terminology. Some linguists distinguish between text and discourse, using text to mean what one speaker or writer says, while a discourse for them has two or more speakers/writers interacting. In this book the two terms are used interchangeably to refer to any stretch of language that may be longer than a single sentence, and which therefore may have structural properties which go beyond the scope of grammar. For the sake of simplicity we shall usually use the word text. Look: Text and Discourse Analysis, P: XI

فهناك تداخلٌ كبيرٌ في تعريفات الخطاب مع ما يُعرف بـ(النصّ)، كذلك الآليات المستخدمة في تحليل الخطاب هي ذاتها مستعملة في تحليل النصوص، فنجد الحديث عن تواصلية الخطاب، ومقام الخطاب، وعلاقات الترابط بين وحدات الخطاب.. وغيرها وهناك من لا يرى فرقاً بين النصّ والخطاب فهما متلاحمان كما في قول رولان بارت (Roland Barthes) " فالنصّ يظلّ في كلّ الأحوال متلاحماً مع الخطاب، وليس النصّ إلا خطاباً، ولا يستطيع أن يوجد إلا عبر خطاب آخر" (1).

وهناك من يجعل النصّ جزءاً من الخطاب، وأنّ مجموعة النصوص هي التي تكون الخطاب، كما في حديث ايستهوب الذي يقول فيه: " الخطاب إذن مصطلح يعيّن الطريقة التي تشكّل بها الجمل نسقاً تتابعياً، وتشارك في كلّ متجانس ومتنوع على السواء، وكما أنّ الجمل تترايط في الخطاب لكي تصنع نصّاً مفرداً، فإنّ النصوص ذاتها تترايط كذلك مع نصوص أخرى لتصنع خطاباً أوسع نطاقاً" (2).

¹ - رولان بارت، علم النصّ ، ضمن كتاب آفاق التناصيّة المفهوم والمنظور، ترجمة د. محمد خير البقاعي: سلسلة دراسات أدبيّة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، 1998 ، ص :44.

² - مكدونيل ديان، مقدّمة في نظريات الخطاب، ترجمة د. عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديميّة، ط1، القاهرة، 2001، ص: 31.

كلُّ هذا يؤكد ضرورة الانتقال بالوصف النحوي من مجال الجملة الضيق إلى مجال "أرحب يمثله الخطاب في صورته النصّية والتي هي قادرة على الإفصاح والتأثير والفعل"⁽¹⁾ فالعلاقة بين النصّ والخطاب قوية جدًا " فالخطاب مجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة، أي إنه تتابع مترابط من صور الاستعمال النصّي يُمكن الرجوع إليه في وقت لاحق، وإذا كان عالم النصّ هو الموازي المعرفي للمعلومات المنقولة والمنشطة بعد الاقتران في الذاكرة، من خلال استعمال النصّ، فإنّ عالم الخطاب هو جملة أحداث الخطابات ذات العلاقات المشتركة في جماعة لغوية أو مجتمع ما ... أو جملة الهموم المعرفية التي جرى التعبير عنها في إطار ما " ⁽²⁾.

كما يظهر الفرق بين النصّ والخطاب في قول الباقلاني واضحاً، فقد لاحظ أنّ بين النصّ مكتوبا والخطاب ملفوظا وحدة لغوية يقف الإنجاز فيصلا فيها بين الطرفين، وهو "إدراك رائد للدراسات اللسانية العربية تذكرنا اليوم بنظرية/دي سوسير/ في اللغة والكلام، أو بنظرية/تشومسكي/ في الكفاية والأداء، فالنصّ كلام إلاّ أنّه يصدر عن ذاتيته النصّية التي عملت على إنجازهِ وأدائه، والكلام الآخر غير نصّي، ولكنّه كلام أيضاً، إلاّ أنّه خطاب شفوي عمل الشخص على إنجازهِ وأدائه" ⁽³⁾ .

1 - سعد مصلوح ، نحو أجرومية للنصّ الشعري ، دراسة في قصيدة جاهلية فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، مجلد 16 ، عدد1، 1997، ص: 153.

2 - روبرت دي بوجراند، النصّ والخطاب الإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، ط1، 1998، ص: 6 .

3 - منذر عياشي، النصّ: ممارسته وتجلياته، ص: 53.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

ولو تأملنا تعريفات كثير من اللسانيين لوجدنا أنّ معظمهم لا يلغون التطابق بين مفهومي النصّ والخطاب، ذلك أنّ كلاهما يمثل ممارسة لغوية محضة، أو مجموعة من الأقوال اللسانية القابلة للتحليل والوصف، إذا سلّمنا أنّ النصّ ملفوظ فإنّه يختلف مع الخطاب تبعاً لمادة التعبير المستعملة، فالنصّ يعتمد على الخطيّة، أما الخطاب فعلى الأصوات (الصوتية) .

ثالثاً : مفهوم النصّ :

اختلف اللسانيون في تحديد مفهوم النصّ اختلافاً كبيراً، مما أدى إلى كثرة تعريفاته وتنوعاته، فأدلى كل باحث منهم برأيه في تعريفه حسب تصورات له وفق منظوره الذي اعتمده في منهجه، ونظراً لكثرة هذه التعريفات، ارتأينا أن ننوّه ببعض الآراء التي أسهمت في تبيان مدلوله، مركزين على التوجهات اللسانية - الوصفية - التي أولت اهتماماً بالغاً بدراسة النصّ.

من المعلوم أن الدراسات النظرية تهتم بضبط المصطلحات، مخافة اللبس والخلط الذي يقع فيه الدارسون والمتلقون على حد سواء، ولسانيات النصّ كغيرها من العلوم التي تحوي كما هائلاً من المصطلحات التي اختلف في ضبطها القدماء والمحدثون.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

و مصطلح "النصّ" احتلّ جانباً كبيراً من الدّراسة والبحث ، فلا نكاد نجد مؤلفاً في لسانيات النصّ، أو حتى تحليل الخطاب يخلو من تعريف لهذا المصطلح كونه ذا أهمية، إذ يعدّ النصّ مبحثاً شغل الكثير من الدّارسين .

ورغم كثرة التعريفات لمصطلح " النصّ " إلا أنّنا لسنا بحاجة إلى سردها جميعها كون الكثير منها لا تخدم موضوعنا، وسنسلّط الضوء على بعضها، لأنّ هذه التعريفات ربما في الغالب تعكس وجهات نظر مختلفة تنطلق من المرجعيّات الفكرية والاتجاهات اللّغوية، إذ ارتبط ظهور مصطلح النصّ "بظهور عدد من المؤسسات في المجتمع البشريّ وتطورها، أولها ظهور الكتابة من حيث هي وسيلة لتجاوز ضعف الذاكرة وفعل الزمن، فيتّخذ الملفوظ حيزاً في الفضاء ويستقلّ بوجوده فيخترق العصور" (1).

1 - الأزهر الزناد، نسيج النصّ، بحث في ما يكون به الملفوظ نصّاً، المركز الثقافيّ العربيّ، ط1، بيروت، 1993، ص:12.

1- مفهوم النصّ في التراث العربي :

مما لا يُمكن نكرانه أنّ التراث العربي القديم يحوي كثيراً من القضايا البلاغية والأسلوبية الحديثة، التي تساعد في فهم النصوص وتحليلها، غير أنّ هذه القضايا ماثورة ومتفرقة في هذه الكتب وهي في الغالب تفتقر للمنهج والتأصيل، فنجد آراء البلاغيين هنا وهناك.

ولم يستعمل العرب مصطلح النصّ إلّا مع القرآن الكريم، وهذه أولى مظاهر الممارسة "وتتمثل في الوقوف على "النص في ذاتيته النصية" بتعبير بارت (Roland Barthes) ، فذاتية النصّ تجليها قراءة للمكتوب تجعل النصّ كلاماً يقوم بنفسه إزاء كلام آخر يظهر عبر إنجاز لغوي مختلف " (1) .

وغياب هذا المصطلح لا يعني عدم معرفة العرب به أو عدم وجود جذور له في العربية، فقد تناول العرب النصّ ومارسوه وإن اختلفت الآليات المتبعة، فالتعريف غائب ولكن ممارسته حاضرة من خلال كتب البلاغة التي تناولت الإعجاز.

والمتملّ في النصوص الأصولية والفقهية يجد كثرة استخدام كلمة "نص"، غير أننا لا نكاد نجد تعريفاً جامعاً لهذا المصطلح، ويعتبر منذر عياشي "غيبة التعريف" مدعاة للحيرة (2).

1- منذر عياشي، النصّ ممارساته وتجلياته ، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع/96-97، 1992 ، ص: 53 .

2 - منذر عياشي، المرجع نفسه، ص: 55

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

لو حاولنا أن نجد تعريفاً شاملاً للنصّ لباءت محاولاتنا بالفشل، كون النصّ مختلف حول تعريفه، وهذا راجع لتعدد معايير التعريف و منطلقاته واتجاهاته، إذ وردت الكثير من التعريفات للنصّ، حتى ظنّ بعض الباحثين أنّ التعريفات تناقض بعضها بعضاً، وهذا مما لا يصحّ القول به، كون معظم التعريفات تسير نحو التّكامل، ولعلّ السّبب الرئيس في اختلاف الباحثين في تقديم تعريف موحد للنصّ هو اتّساع النصّ ذاته، فهذا الاتّساع لم يكن ليتناوله باحث واحد أو اثنان، بل كل باحث تناول التعريف من زاوية حسب الرؤية والمنهج والاتّجاه، وكل قد تناوله من الجانب الذي يدرسه، "فمنهم من يركز على مكونات النصّ، والبعض الآخر يخصّ الدراسة بالترابط، والبعض الآخر يركز على سمة التواصل التي تميز النصّ عن غيره"، فيما يفضل الآخرون تصنيفه بحسب اتجاهات أصحابه ومنطلقاتهم⁽¹⁾.

ويرى منذر عياشي أنّ صعوبة تحديد النصّ عائدة إلى ذاتية النصّ؛ فالنصّ "دائم الإنتاج، لأنّه مستحدث"، ودائم التخلف، لأنّه دائماً في شأن ظهوراً وبيانياً ويستمر في الصيرورة، لأنّه متحرك وقابل لكلّ زمان ومكان، لأنّ فاعليته، متولّدة من ذاتيته النصّية، وهو إذا كان كذلك فإنّ وضع تعريف له يعتبر تحديداً يُلقى الصيرورة فيه، ويُعطّل في النهاية فاعليته النصّية"⁽²⁾.

¹ - كلاوس برينكر، التحليل اللّغوي للنصّ مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمة: سعيد حسن بحيري: ص: 22-24.

² - كلاوس برينكر، المرجع نفسه، ص: 55.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

وقد تعدّدت التعريفات في التراث العربي و التي شرحت مفهوم النصّ ومدلولاته، غير أنه من الضروري معرفة الدلالة اللغوية لكلمة (نص) في اللغة العربية وفقاً لما أوردته المعاجم، لتلمس نقاط التشابه والاختلاف، وذلك " لأنّ اللغة تمثل النظام المركزي الدال في بنية الثقافة بشكل عام"⁽¹⁾، ولو أمعنا النظر في المعاجم العربية القديمة نجد بأنّه ليس هناك اختلاف يذكر في معنى (نص) فما نجده عند ابن منظور نجده عند غيره من اللغويين العرب .

وقد أشرنا سابقاً أنّ العرب لم يُطلقوا لفظ النصّ إلا على القرآن الكريم، فلو تأملنا دلالة "ن. ص. ص." لوجدناها بعيدة كلّ البعد عما استعملت به في الدراسات الأدبية. ففي مختار الصحاح للرازي مادة (ن. ص. ص.) " في حديث علي رضي الله عنه: " إذا بلغ النساء نص الحقائق " يعني منتهى بلوغ العقل و(نصنص): الشّيء: حركه. وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه حين دخل عليه عمر رضي الله عنه وهو ينصنص لسانه، ويقول: هذا أوردني الموارد"⁽²⁾.

و قد ورد في لسان العرب لابن منظور مادة "نصص:" (النص) رفعك الشّيء، نص الحديث ينصّه نصاً : رفعه. وكل ما أظهر فقد نصّ. ووضع على المنصة : أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور. وقال الأزهري: النصّ أصله منتهى الأشياء، ومبلغ

¹ - نصر حامد أبو زيد، مفهوم النصّ دراسة في علوم القراءة، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1998، ص: 178.

2- الرازي، مختار الصحاح، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 1999، مادة (نص)، ص: 381-382.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

أقصاها، ومنه قيل : نصت الرجل إذا استقصيت مسأله عن الشيء، حين تستخرج كلّ ما عنده، وفي حديث هرقل: ينصهم أي يستخرج رأيهم ويظهره ومنه قول الفقهاء: نص القرآن، ونص السنة. أي ما دلّ ظاهر لفظهما عليه من الأحكام وانتص الشيء وانتصب إذا استوى واستقام" (1).

ولو تأملنا معظم معاني مادة (ن ص ص) المبوثة في المعاجم العربية ، لوجدناها بمعان متعدّدة أهمها الشهرة والوضوح، والتسلسل، والسيادة، والاستقامة والاستواء، وهو معنى الاكتمال ، وهي تدور في فلك البيان والظهور والارتفاع، فالنص عند الفراهيدي (ت175هـ) هو الرفع والظهور، يقول "نصت الحديث إلى فلان نصّا، أي رفعتة...، والمنصة التي تقعد عليها العروس... و الماشطة تنصّ العروس أي تقعدها على المنصة، وهي تنصّ، أي تقعد عليها أو تشرف لترى من بين النساء" (2).

يتبيّن من هذا أنّ معنى النصّ هو الرفع والارتفاع؛ فرفع النصّ يُوجب إعادته إلى أصله عن طريق سلسلة رواته. والمنصة مكان مرتفع تجلس عليها العروس لترى، ومنه أيضا "نصّت الطيبة جيدها رفعتة" (3).

1- ابن منظور، لسان العرب، مكتبة دار المعارف، بالقاهرة، 1979، ج: 13 ، مادة (نص)، ص: 97-98.

2 - الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين، تحقيق د. مهدي المخزوميّ و د. إبراهيم السامرائي، دار الشؤون الثقافية،

بغداد، 1984، مادة (ن ص ص)، ج: 7، ص: 86-87.

3- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ن ص ص)، ج: 13، ص: 97.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

ولو عدنا إلى كتب البلاغة لوجدنا هذا المعنى يتردد كثيراً فيها ، يقول الجاحظ:
"وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغاً
واحداً، وسبك سبكا واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"⁽¹⁾.

أما عبد القاهر الجرجاني قد صبّ كبير اهتمامه في (النظم) وهو تناسب أجزاء
الكلام لبعضه، إذ قال : "وإذا عرفت هذا النمط من الكلام، وهو ما تتحد أجزاءه حتى يوضع
وضعاً واحداً، فاعلم أنه النمط العالي والباب الأعظم، والذي لا ترى سلطان المزية يعظم في
شيء كعظمه فيه"⁽²⁾ .

فهذا القول فيه إشارة إلى أهمية بنية النصّ ، وهذا يتقاطع مع الدراسة النصّية التي
تري النصّ وحدةً واحدة.

كما انفرد حازم القرطاجني بنظرة أكثر شمولية للنصّ، تميزه عن غيره من أهل
النظر في علوم البديع والبيان فهو أول من قسم القصيدة العربية إلى " فصول " زعم أن
لها أحكاماً في البناء، وأول من أدرك الصلة الرابطة بين مطلع القصيدة، وما سماه بالمقطع،
وهو آخرها الذي يحمل في ثناياه الانطباع الأخير، والنهائي، عن القصيدة "⁽³⁾.

1 - الجاحظ، البيان والتبيين ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، ط5 ، القاهرة ، 1985، ج:1، ص:67

2 - عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تحقيق : رشيد رضا - دار المعرفة - بيروت 1981م ص: 95

3- إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النصّ - دراسات وبحوث/ نقد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1997،

وتحدّث عن تماسك القصيدة وتناسب معانيها، إذ يقول " وينبغي أن تكون النقلة من أحد المعنيتين إلى الآخر فيما قصد فيه التفريع متناسبة، وأن يكون المعنى الثاني مما يحسن اقترانه بالأول ويفيد الكلام حسن موقع من النفس "(1)

وقد أسهم حازم القرطاجني من خلال مؤلفه منهاج البلغاء وسراج الأدباء في إثراء النقد العربي بالمفاهيم اللسانية الحديثة، كحديثه عن فكرة التماسك النصّي، أو كما يُسميها التّناسب بين الأغراض و الأوزان، وبين الإيقاع الشعري والحالة النفسية التي يُعبر عنها الشاعر فما سعى إليه القرطاجني يكاد يوصلنا إلى تحديد منهج نقدي دقيق وثيق الصلة بالنصّ ويسهم في فهم كينونته، خاصة ما يتعلق بالتّناص والنّظم والتركيب والتماسك والتّدوق النصّي والوزن والإيقاع، باعتبار أنّ الوزن والتناسب الصوتي بين أجزاء الكلام يلعب دوراً مهماً في جذب النفوس، والنفوس لا تتجذب إلا للمتماسك والمثآلف.

لقد عرف العرب القدماء النصّ وأدركوا دوره، وفي الأدب العربي إشارات عديدة ترشدنا إلى ما يؤكد أنّ النصّ غير متناه في الإنتاج والحركة، وقابل لكل زمان ومكان لأنّ فاعليته متولدة من ذاتيته النصّية، ولقد أشارت كتب الأدب العربي إلى ممارسات نصّية عديدة بخصائص ومميزات تختلف بين العصور الأدبية، ولكن " لم يعرف العرب في تاريخهم ممارسة نصّية كما عرفوها مع القراءان. ولعل أولى مظاهر هذه الممارسة ... تكمن في الوقوف على (النصّ في ذاتيته النصّية) بتعبير رولان بارت (Roland Barthes).

1 - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب، تونس، الدار العربية للكتاب، ط2، ص: 54.

الفصل الأول **لسانيات النصّ نشأة ومفاهيم**

فذاثية النصّ تجليها قراءة للمكتوب تجعل النصّ كلاماً يقوم بنفسه إزاء كلام آخر يظهر عبر إنجاز لغوي مختلف " (1).

1- منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية- دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، دمشق، 1990، ص: 202.

2- مفهوم النصّ في الدراسات الغربية الحديثة :

النصّ في اللغات الغربية (TEXT) مشتق من الفعل اللاتيني (TEXTERE) الذي يعني ينسج أو يحوك وفي قاموس (ROBERT) الفرنسي: النصّ: " مجموعة من الكلمات والجمل التي تشكل مكتوباً أو منطوقاً " (1).

والمعنى الاصطلاحيّ لكلمة نصّ (text) في مجال علم اللغة الذي انفرد به في وقت متأخر ولاسيّما في الثلث الأخير من القرن العشرين. فهارتمان (Hartman) يعرف النصّ بأنّه "متوالية من الكلمات المنطوقة فعلا في اللغة، فالنصوص قد تكون نسخا منقولة أو مادة مسجلة، أو أن تكون نتيجة تدوين عمل أدبيّ، أو قطعة من معلومات - نصّ رسالة مثلاً" (2).

كما ورد تعريفه في معجم اللسانيات " نقول عن مجموعة من الملفوظات اللسانية الموضوعية للتحليل نصا، وبهذا يُعد النصّ كنموذج للسلوك اللساني ، سواء أكان مكتوباً أم ملفوظاً (3) ، أي إنّ النصّ حسب جون دوبوا (Jean Dubois) مجموعة من المتلفظات

¹ - محمد عزام ، النصّ الغائب . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ص 11-12

²-Hartman, R.R. K and F. C. stork; Dictionary of Language and linguistics; Applied Science published; London; 1972, p.p. 238.

³-Jean Dubois et autres, Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, Larousse ;Paris, 1999. P482 « On appelle texte l'ensemble des énoncés linguistiques soumis à l'analyse :le texte est donc un échantillon de comportement linguistique qui peut être écrit ou parlé ».

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

صادرة عن شخص يمكن أن تنتقل عن طريق الكتابة أو عن طريق المشافهة، مما يجعل التحليل اللساني ممكناً .

كما اقترح هيلمسلاف (Louis Hjelmslev) في كتابه "مقدمة في نظرية الكلام (Prolégomènes à une théorie du langage) أسساً عامة تعتمد عليها نظريته، إذ حظي مصطلح "النص" بتعريف خاص حيث المعنى أوسع، فهو "ملفوظ مهما كان منطوقاً أو مكتوباً، طويلاً أو موجزاً، قديماً أو جديداً. فإشارة (قف) هي نص مثله مثل رواية الوردية، فكل المواد اللسانية المدروسة تشكل لنا نصاً ، يندرج ضمن لغة واحدة أو أكثر، ويشكل فئة قابلة للتحليل من الأجناس، وهي بدورها تنفرع إلى أقسام، وهكذا دواليك إلى استنفاد إمكانيات التقسيم"⁽¹⁾ .

والنص في الثقافة الغربية مرتبط بفعل النسيج والحياكة ، وإذا ما عقدنا مقارنة بين هذا المعنى وما يُعرف به النص لوجدنا أنّ المفهومين يتشابهان نوعاً ما في الدلالة فالنص أيضاً نسيج من الجمل المتماسكة والمتلاحمة .

من خلال ما سبق ، نجد أنّ تعريف النصّ وارد في المعجمات القديمة والحديثة ، غير أنّ دلالات النصّ في الدراسات الحديثة لم تغب عن المعجم العربي ، فلا نكاد نجد مؤلفاً إلا

¹- Jean Dubois et autres, Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage. P482 = (désigne par là un énoncé quel qu'il soit, parlé ou écrit, long ou bref, ancien ou nouveau. « Stop » est un texte aussi bien que le *Roman de la Rose*. Tout matériel linguistique étudié forme également un texte, qu'il relève d'une ou de plusieurs langues. Il constitue une classe analysable en genres, eux-mêmes divisibles en classes, et ainsi de suite jusqu'à épuisement des possibilités de division).

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

وذكرت فيه هذه الدلالات، وكلها تشترك مع دلالة المصطلح في اللاتينية التي تشير إلى معنى بلوغ الغاية والاكتمال .

ولمحاولة تحديد مفهوم النصّ يرى منذر عياشي أنّ الباحثين ينقسمون في تحديدهم لمفهوم النصّ إلى ثلاثة أقسام؛ قسم يُعرفه من خلال مكوناته ويمثله تودوروف (Tzvetan Todorov)، يُعرف النصّ فيقول: "يمكن للنصّ أن يكون جملة، كما يمكنه أن يكون كتاباً تاماً، وهو يعرف باستقلاله وانغلاقه". ويقول في وصفه: "إنّه يكون نظاماً لا يجوز أن يطابقه مع النظام اللساني، ولكن لأنّ نضعه في علاقة معه: "إنّها علاقة تجاوز وتشابه في الوقت نفسه". ويقول مفسراً فكرة النظام بما قاله هيلمسف، فيصبح نظاماً تضمينياً، وذلك لأنّ نظام ثاب بالنسبة إلى نظام معنوي آخر" (1).

وقسم يُعرفه من خلال ارتباطه مع الإنتاج الأدبي ويمثله رولان بارت (Roland Barthes)، فيقول: "إنّ النصّ " ليس موضوعاً، ولكنّه عمل واستخدام، وليس مجموعة من الإشارات المغلقة المحملة بمعنى يجب العثور عليه، ولكنه حجم من الآثار التي لا تكف عن الانتقال" (2) .

1- منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، ص: 128.

2- المرجع نفسه، ص: 202.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

والقسم الأخير يربطه بفعل الكتابة ويمثله بول ريكور (Paul Ricœur)، ويخلص من ذلك كله إلى أنّ " النصّ شكل من أشكال الإنجاز اللّغوي، يقيمه نظامه الخاص، ولأنّه كذلك فإنّه يستغني بلغته عن غيره" (1).

ويُعرّف النصّ قائلاً "لنسمّ نصّاً كلّ خطاب تثبته الكتابة، وعلى هذا التعريف، يكون التثبيت بالكتابة مؤسساً للنصّ..." (2).

وهناك من اللّسانيين من بنى تعريفه للنصّ على الأساسين الدّلالي والتّداولي في آن واحد، وقد جاء في هذا الإطار تعريف كل من: "براون" و"بول" (G.Brown et G.Yule) للنصّ حيث عرّفاه "بأنّه التسجيل الكلامي (اللفظي) لحدث تواصل، ولكن عددا من المؤلفين سعوا إلى الإتيان بتفسير أكثر دقة، يهتم هؤلاء المؤلفون بمبادئ الرابط التي تربط أجزاء النصّ بعضها ببعض" (3).

1 - منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، ص: 127.

2- ريكور بول، من النصّ إلى الفعل، ترجمة محمّد برادة وحسان بورقيّة، مؤسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، ط1، القاهرة، 2001، ص: 105، هذا التعريف فيه خلط بين النصّ والخطاب، وقد وقع في هذا كثير من اللسانيين، فلو تأملنا تعريف هارتمان للنصّ الذي يقول بأنّ النصّ هو منظومة الكلام المدونة، وهذا التعريف يقترب من تعريفات اللسانيين الذين فرّقوا بين النصّ (Text)، والخطاب (Discourse)، ويرى هارتمان أنّ الدراسات البلاغية القديمة قد أوضحت العناصر المشتركة في الخطاب، وهي من وجهة نظره: (المتحدث والجمهور، الموضوع والحقيقة أو الواقع، شكل الرسالة أو نمطها) ينظر: يوسف نور عوض، علم النصّ و نظرية الترجمة، ص: 11.

3 - G.brown and G Yule Discourse Analysis , Cambridge University Press London & New York, 1983 p 190 « Text, we said, is the verbal record of a communicative event. A number

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

فهذا التعريف يُركز على السّمة التّواصلية فالتسجيل طريقة لنقل المعلومات، دون إهمال الوظيفة التفاعلية بين المتخاطبين، فكلّ خطاب تفاعلي القصد منه نقل هذه المعلومات بطريقة أو بأخرى .

ويرى " براون" و "يول" (G.Brown et G.Yule) أن النص لا يتحقّق فقط بوجود الأدوات النحويّة التي تربط أجزاءه ، وإنما تتحقّق بوجود الرابط المعنويّ الضمنيّ، " فمن السهل أن نجد نصوصا - أي جملا متلاصقة - نفهمها بكلّ تلقائية على أنّها مترابطة لا تظهر إلا قليلا-إن وجد- من الأدوات الظاهرة المعبّرة عن علاقات الترابط "، فالقارئ لهذه النصوص " يفترض بكلّ تلقائية أنّ تتالي هذه الجمل يشكّل نصّا، وهذا القارئ سيفهم الجملة الثانية على ضوء الجملة الأولى، فهو سيفترض وجود (علاقات معنوية) قائمة بين الجمل" (1).

كما نجد أنّ الناقدة جوليا كريستيفا (Julia Kristeva) ترى النصّ بأنّه " أكثر من مجرد خطاب أو قول، إذاً إنه موضوع لعديد من الممارسات السيميولوجية التي يعتد بها

of authors have been concerned to provide a toghther, These authors are concerned with the principles of connectivity which bind a text together".

وهذا التعريف قال به كل من روبرت دي بو جراند" و"فجانج دريسلر"

ينظر أيضا: ج يول ، و ج براون : تحليل الخطاب،ترجمة محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي،النشر العلمي والمطابع،

جامعة الملك سعود ، الرياض ،م.ع.س، 1997، ص: 227 .

⁻¹ براون و يول، المرجع نفسه، ص: 234-235.

على أساس أنّه ظاهرة غير لغوية لأنّها مكونة بالّلغة، إنّّه ظاهرة غير قابلة للانحصار في مقولاتها، باعتبار أنّه جهاز لغوي، يعيد توزيع نظام اللّسان ويكشف عن العلاقة بين الكلمات التواصلية مشيراً إلى بيانات مباشرة تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة والمتزامنة معها، والنّصّ لذلك، إنّما هو عملية إنتاجية " (1).

وقد أسهمت كريستيفا (Kristeva) بشكل كبير في ضبط المفاهيم التي تقوم علي تحديد مفهوم النّصّ، وهذا التحديد وضحتّه أكثر بقولها : " النّصّ جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصلية يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه، والمتزامنة معه، فالنّصّ إذن إنتاجية ، وهو كل مركب يقوم على الربط بين الطبيعة اللّغوية والسّمة التواصلية أي بين (اللّغة "langue" والكلام "parole") وكل هذا من أجل تأدية وظيفة إخبارية ، والنّصّ يرتبط بالواقع بشكل مزدوج فهو يرتبط بالّلسان الذي هو تنظيم منطقي ونحوي خاضع للتحوّل ويرتبط أيضاً بالمجتمع الذي هو إحداث تاريخية منتظمة توافق التحوّلات اللسانية" (2).

فالنّصّ يُنظر إليه من حيث إنتاجه كنصّ يتعلّق مع نصوص أخرى ، وهو ليس "منتوجاً" فحسب، بل دليلاً مفتوحاً متعدّد الدلالات، كما أنّ بنيته لا يمكن مقاربتها في إطار نصّ لساني

¹ - صلاح فضل ، بلاغة الخطاب ، ص: 211

2 - جوليا كريستيفا : علم النّصّ، ترجمة فريد الزاهي ، دار توبقال، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، 1991م ص: 21.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

ذي بنية مسطحة ، بل عن طريق توليد مسجل في البنية اللسانية لا يمكن أن يقبل القراءة إلا عن طريق تكوينات متعدّدة لا تكفي بالمكون اللساني" (1).

أما رولان بارت (Roland Barthes) فإنه لا يوافق تودورف (Todorov)، في تعريفه للنصّ وينتقد عليه قربه من البلاغة، لأنه كما قال: (خاضع لمبادئ العلم الوصفي)، ثم ينتهي إلى القول بعد تحليل طويل: "نفهم الآن أنّ نظرية النصّ موضوعة في غير مكانها المناسب في المجال الحالي لنظرية المعرفة ولكنها تستمد قوتها ومعناها من تموضعها اللا مناسب بالنسبة إلى العلوم التقليدية للأثر الفني - تلك العلوم التي كانت ولا تزال علوماً للشكل أو للمضمون" (2) .

لاحظ هؤلاء النقاد " أنّ بين النصّ مكتوباً والخطاب ملفوظاً، وحدة لغوية ولكنهم أدركوا أنّ الإنجاز يقف فيصلاً بين الطرفين، وطالما يذكرنا هذا بنظرية "سوسير" (De Saussure) في اللغة والكلام، أو بنظرية "تشومسكي" (Chomsky) في الكفاية والأداء. فالنصّ كلام إلا أنّه يصدر عن ذاتيته النصية التي عملت على إنجازها و أدائه.

1 - سعيد يقطين : انفتاح النصّ الروائي (النصّ والسياق) ، المركز الثقافي العربي ، ط2، بيروت - الدار البيضاء ، 2001م ، ص : 20-21.

2 - منذر عياشي: مقالات في الأسلوبية - دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، دمشق، 1990، ص: 208. عن رولان بارت: نظرية النصّ: ت. محمد خير البقاعي. مجلة العرب والفكر العالمي. عدد (3) بيروت، 1988.

الفصل الأول ===== لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

والكلام الآخر، غير النصّي هو كلام أيضاً، إلا أنّه خطاب شفوي عمل الشخص على إنجازه وأدائه، وهذا يعني أنّ وحدة اللغة لا تمنع أو لا تحول دون تعددية الإنجاز والأداء⁽¹⁾.

فالنصّ - وبحسب مفهوم لاينز - لا يكون نصّاً إلاّ بوجود علاقات داخلية تنتظم فيها متواليات الجمل، وهذه العلاقات هي التماسك والترابط، وعلاقات خارجية يحكمها السياق. ويخلص إلى أنّ كلّاً من النصّ والسيّاق يتمّ كلّ منهما الآخر، ويفترض مسبقاً كلّ منهما الآخر، وتعدّ النصوص "مكونات للسياقات التي تظهر فيها، أما السياقات فيتم تكوينها وتحويلها وتعديلها بشكل دائم بواسطة النصوص التي يستخدمها المتحدّثون والكتاب في مواقف معينة"⁽²⁾.

فمفهوم النصّ عند تودوروف (Todorov) يختلف تماماً عن مفهوم الجملة. وبهذا وجب تمييز النصّ عن الفقرة التي هي وحدة مطبعية لمجموعة من الجمل، يتحدد النصّ باستقلاله وانغلاقه. وهو يُشكل نسقاً لا يجب مماثلته مع النسق اللّغوي، بل يجب وضعه معه في علاقة تجاور وتشابه معاً.

يرى هاليدي (Halliday) ورقية حسن أنّ النصّ " يمكن أن يكون منطوقاً أو مكتوباً، نثراً أو شعراً، حواراً أو مونولوجاً، يمكن أن يكون أيّ شيء من مثل واحد حتى

¹ - منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، ص: 203.

² - جون لاينز، اللغة والمعنى والسيّاق، ترجمة د. عباس صادق الوهاب، مراجعة د. يوثيل عزيز، دار الشؤون الثقافية،

ط1، بغداد، 1987، ص: 218-219.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

مسرحية بأكملها، من نداء استغاثة حتى مجموع المناقشة الحاصلة، طوال اليوم، في لقاء هيئة⁽¹⁾

كما تُستخدم كلمة نص في علم اللغة للإشارة إلى أي فقرة "منطوقة أو مكتوبة، مهما طالت أو امتدت... والنص هو وحدة اللغة المستعملة، وليس محددا بحجمه... والنص لاشك أنه مختلف عن الجملة في النوع" (2).

فالنص عندهما يجب أن يشكّل كلّاً موحّداً مهما كان طوله، وعلى هذا فالنص وحدة دلالية أوسع من الجملة بكثير لا من حيث الشكل وإنما من حيث المعنى وما تربطه من علاقات، هذه العلاقات تربط بعضها بعضاً وتكون سبباً في جعله نصاً، ويوسعان المفهوم ليشمل المنطوق والمكتوب فلا يقتصر تعريف النصّ عندهما بالمكتوب دون المنطوق.

أشار كل من هاليداي (Halliday) ورقية حسن إلى أنّ النص لا بدّ أن يتوفّر على ما يسمّى بالنصية أو نسيج النصّ، "وهذا ما يميّزه عمّا ليس نصّاً. فلكي تكون لأيّ نصّ نصّية ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصية، بحيث تُسهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة" (3).

¹- محمد خطابي، لسانيات النصّ، ص:13.

²- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، ج:1، 2000. ص:28.

³- محمد خطابي، المرجع السابق، ص:13.

ويُفرق ميشال فوكو (Michel Foucault) بين النصّ واللّانصّ فيقول: "إذا كان

الكلام لا يحصى فإنّ النصوص نادرة". (1)

أما لوتمان (L. Lotman) فإنّه لم يقتنع "بكلّ التعريفات السابقة، حيث وجد النصّ

يعتمد على عدة مكونات :

1- التعبير: يتمثل النصّ في علاقات محددة، تختلف عن الأبنية القائمة خارج النصّ،

فإذا كان هذا النصّ أدبيا، فإنّ التعبير يتم فيه أولا من خلال علامات اللّغة الطبيعية،

التعبير - في مقابل اللاتعبير يجبرنا على أن نعتبر النصّ تحقيقا وتجسيدا ماديا له .

2-التحديد: يحتوي النصّ على دلالة غير قابلة للتجزئة مثل: "أن يكون قصة، أو يكون

وثيقة" أو " أن يكون قصيدة " مما يعني أنّه يحقق وظيفة ثقافية محددة. وينقل دلالتها

الكاملة، والقارئ عرف كل واحد من هذه النصوص بمجموعة من السمات، وبهذا السبب

فإنّ نقل سمة ما إلى نص آخر إنما هو وسيلة جوهرية لتكوين دلالات جديدة...ويؤدي

ترتيب النصّ وانقسام نظامه إلى نظم فرعية مركبة إلى قيام مجموعة من العناصر التي

تنتمي إلى بنيته الداخلية، بالبروز كحدود واضحة لنظم فرعية من أنماط مختلفة، وذلك

مثل حدود الفصول والمقاطع والأشطار والأبيات والفقرات.

1-Michel FOUCAULT, Les mots et les choses, Editions Gallimard, Paris, 1966,P. 307

3- الخاصية البنيوية : إنّ النصّ لا يمثل مجرد متوالية (Sequence) من مجموعة

علامات تقع بين حدين فاصلين، فالترتيب الذي يحيله إلى مستوى متراكب أفقياً في كل بنيوي موحد لأزمة النصّ، فبروز البنية شرط أساسي في التكوين " (1) .

ومن التعريفات للنص الجامعة ذلك التعريف الذي نقله سعيد بحيري عن "روبرت

دي بو جراند" و"الفجّاج دريسلر" (R.debeaugrand et Disller) أنه "حدث تواصل" (2).

والتأكيد على السمة التواصلية للنصّ في كثير من التعريفات يجعل مهمة النصّ محصورة فيه ، ذلك لأنّ التواصل سمة من سمات اللغات ، ويجعل من المرسل والمستقبل قطبا العملية التواصلية والتفاعل بينهما وفق مقام مخصوص ، مما جعل جاكبسون يرسم مخططاً للعملية التخاطبية التواصلية عن طريق التركيز على العنصرين الأساسيين المرسل

¹ - سعيد حسن بحيري، علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات ، مكتبة لبنان ناشرون ، الشركة المصرية العالمية للنشر ،

لونجمان ، ط 1، 1997 ص: 116 - 117 .

² - صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق ، ص: 33 ، حسب ياكبسون فالتواصلية ليست الوظيفة الوحيدة للنصّ، وإنّما يجب أن تتوفر فيه سمات ووظائف أخرى، وهذا ما جعل (جون لاينز) غير راض على التعريف التقليدي للنصّ بكونه سلسلة من الجمل المتتابعة أو الوحدات المتصلة مع بعضها البعض وظيفتها التواصل، ويرى أن هذا التعريف يعتريه النقص في توضيح الوحدات التي يتكوّن منها النصّ، سواء أكانت جملاً أم غير جملاً "وليس مجرد وحدات متصلة مع بعضها في سلسلة، إنّما ينبغي ربطها بطريقة مناسبة من حيث السياق، وعلى النصّ في مجمله أن يتّسم بسمات التماسك والترابط" ينظر: جون لاينز ، اللغة والمعنى والسياق، ص: 218-219.

والمرسل إليه، مما يبقى اللّغة حية بانتقالها بين القطبين، ذلك أنّ الرسالة اللّغوية قائمة على التفاعل بينهما .

3- مفهوم النصّ في الدراسات العربية الحديثة :

يُعرف سعد مصلوح النصّ فيقول : " أمّا النصّ فليس إلا سلسلة من الجمل كلّ منها يفيد السامع فائدةً يحسن السّكوت عليها، وهو مجرد حاصل جمع للجمل أو لنماذج الجمل ، الداخلة في تشكيلته" (1) .

وهذا التعريف شائع عند عامة الناس الذين يظنون أنّ كل سلسلة من الجمل يساق بعضها تلو الآخر، تمثل نصّا من أحد الوجوه، إلا أنّ الواقع ينفي ذلك، إذ يمكن أن يسوق المتكلم، أو الكاتب، جملا لا تكون نصّا، إذ لا بدّ من أن تدور تلك الجمل حول موضوع واحد، وأن تتصل به كافة لتؤلف مثل ذلك النصّ، إضافة إلى وجوب كونه " بنية مركبة ذات وحدة كلية وشاملة" (2) .

فـ " كل نص لا بد أن يتضمن بنية شاملة تؤطر مفاتيح النصّ ومغاليقه، وتحدد المستوى الأول والأخير له وليس من الضرورة أن يتضمن النصّ عدة بنيات، فقد لا يُشكل

1 - أحمد عفيفي، نحو النصّ اتجاه جديد ، ص: 24 ، وهذا التعريف فيه نقص، فالنصّ ليس كما يظنه بعض الناس بأنه سلسلة من الجمل المفيدة، فالمتكلم قد ينشئ جملا لا تكون في الغالب نصوصا، إذ لا بد من أن تدور الجمل حول موضوع واحد ، والنصّ أيضا ليس مجرد أصوات وألفاظ ورموز وتراكيب ومقاطع، بل هو بنيان متراس شديد التماسك .

2 - محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النصّ، ومجالات تطبيقه: ص: 72.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

سوى بنية واحدة تُمثل البنية الكلية والكبرى والوحيدة للنص، ونستطيع أن نمثل لهذه الحالة بالنصّ الشعري القصير والخالي من القشور اللغوية ومن الترهل النصّي. كذلك قد يتضمّن النصّ عدة بنى بصلية التركيب، وفي هذه الحالة نضطر إلى إجراء عملية فرز للبنى فتتكشف لنا كتلتان، واحدة خارجية شمولية إطارية تُمثل البنية الكبرى، وأخرى داخلية ضفائية نسبية تُمثل البنى الصغرى⁽¹⁾.

أما الأزهر الزناد فلم يُركز في تعريفه للنصّ على الملفوظ أو المكتوب؛ فالنصّ عنده "نسيجٌ من الكلمات يترابط بعضها ببعض وهذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كلّ واحد هو ما نطلق عليه مصطلح النصّ"⁽²⁾. فهذا النسيج أشبه بنسيج العنكبوت مكون من كلمات ترتبط فيما بينها ارتباطاً وثيقاً لتشكل لنا نصّاً.

ويقول محمد الشاوش في حديثه عن النصّ بأنّه: "حدثنا ذا بنية نسقية قائمة على التركيب، يستوي في ذلك مع تركيب الجملة وسائر المركّبات بما في ذلك تركيب الألفاظ"⁽³⁾. وينجز النصّ غالباً "في مجموعة من الجمل المتعاقبة، أو في أقصى الحالات في جمل واحدة، والتعبير عن الوحدة المعنوية للنصّ يكمن في التناسق والترابط بين الجمل التي يتكون منها"⁽¹⁾.

1- صبحي الطعان، بنية النصّ الكبرى، عالم الفكر، المجلة 23، العددان الأول والثاني - يوليو / سبتمبر، أكتوبر - ديسمبر، 1994، ص: 436.

2 - الأزهر الزناد، نسيج النصّ، ص: 12، وهذا التعريف فيه خلط بين تعريف النصّ والخطاب.

3 - محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج: 1، ص: 35.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

أما النصّ عند عبد الملك مرتاض فإنّه "شبكة من المعطيات اللسانية والبنوية والإيديولوجية، تتضافر فيما بينها لتكون خطاباً، فإذا استوى مارس تأثيراً عجبياً، من أجل إنتاج نصوص أخرى، فالنصّ قائمٌ على التجديدية بحكم مقروئيته، وقائمٌ على التعددية بحكم خصوصية عطائته، تبعاً لكل حالة يتعرض لها في مجهر القراءة، فالنصّ من حيث هو ذو قابلية للعطاء المتجدد بتعدد تعرضه للقراءة" (2)، ولعلّ هذا ما تطلق عليه "ج. كريستيفا (Kristeva)" (إنتاجية النصّ)، حيث إنه يتخذ من اللغة "مجالاً للنشاط، فتراه يتردّد إلى ما لا نهاية، محدثاً بعداً بين لغة الاستعمال الطبيعية وهي اللغة المسخرة لتقديم الأشياء والتفاهم بين الناس، والحجم الشاغر للفعاليات الدالة" (3).

كما نجد الكثير من الدارسين من يستخلص خصائص النصّ بمعناه الحدائي من التفسيرات المعجمية التراثية العربية، فمثلاً منذر عياشي يعرف النصّ استناداً إلى قراءته التراثية، لا سيما ما ورد في تفسير مادة (ن. ص. ص) ويمزج ذلك بما تحقّق له من القراءات الحدائية لتعريف النصّ في اللغات الأوروبية، فيقول: "فالنصّ دائم الإنتاج لأنّه مُستحدث بشدّة، ودائم التّخلق لأنّه دائماً في شأن ظهوراً وبيانا، ومُستمر في الصيرورة لأنّه متحرك، وقابل لكل زمان ومكان لأنّ فاعليته متولدة من ذاتيته النصّية، وهو إذا كان كذلك،

1 - محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج 1، ص: 145

2 - عبد الملك مرتاض، دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي"، لمحمد العيد آل خليفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د. ت) ص: 55.

3 - عبد المالك مرتاض، المرجع نفسه، ص: 57.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

فإنّ وضع تعريف له يُعتبر تحديداً يُلغي الصيرورة فيه، ويُعطّل في النهاية فاعليته النصّية.. " (1) .

أما محمد مفتاح فيرى بأنّ "النصّ مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعدّدة " (2) .

فالمقصود بالمدونة الكلامية : أي إنّهُ مؤلف من كلام ، أمّا الحدث فإنّه يقع في زمان ومكان معينين أمّا الوظائف المتعدّدة فمنها التّواصل والغرض منه إيصال معلومات إلى المتلقي ومنها التّفاعل والذي من خلاله تُقام علاقات اجتماعية بين أفراد المجتمع وتحافظ عليها .

كلّ هذه التعريفات لا يُمكن لنا أن نفاضل بينها ، فالتّعريفات بمثابة سلسلة تكمل بعضها بعضاً، وقد تناول هذا دي بوجراند بقوله : " إنّنا لا نستطيع أن نتناول النّصوص من خلال وصفها بأنّها وحدات أكبر من الجمل، أو بأنّها جُمْلٌ متوالية في سياق؛ ذلك بأنّ الخاصيّة الأولى للنّصوص من باب أولى هي كونها ترد في الاتصال ، و لربّما يأتي أحد النّصوص على صورة كلمة واحدة، أو جملة واحدة، أو مجموعة من الأجزاء، أو خليط من البنيات السّطحية، ويترتب على ذلك أنّ توسيع نطاق دراسات الجملة إذ تشمل النّصوص لا بدّ أن تفقد النّصوص عدداً من الأمور الحيوية، وأن يُسبب مشكلات عمليّة خطيرة" (3).

1 - منذر عياشي، النصّ ممارساته و تجلياته، ص:55.

2-محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 1992، ص: 120

3 - دي بوجراند ،النصّ والخطاب والإجراء ، ص:64.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

يقول منذر عياشي : " إن وضع تعريف للنصّ يعتبر تحديداً يُلغي الصيرورة فيه، ويثبت إنتاجيته على هيئة نمطية لا يكون فيها زماناً للمتغيرات الأسلوبية والقرائية أثر، ويلغي قابليته التوليدية زماناً ومكاناً، ويُعطّل في النهاية فاعليته النصّية ⁽¹⁾ .

ولعلّ سبب اختلاف اللسانيين في تعريفهم للنصّ، يرجع إلى كون مفهوم النصّ حديث النشأة، وغير مرتبط بما كان سائداً من ذي قبل، إضافة إلى أنّ اللسانيين سواء الغربيين منهم أم العرب، أرادوا تعريفه وتوجيهه حسب منطلقاتهم واعتقاداتهم ، وهذا في حدّ ذاته يضعنا أمام مشكل تعدّد التعريفات، فنجد كما هائلا من التعريفات الخاصة بالنصّ، وكل تعريف يعكس وجهة نظر صاحبه ومرجعياته الفكرية .

¹ منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، ص: 207.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

وهذه التعريفات السابقة الذكر منها ما يهتم بالجانب الشكلي⁽¹⁾ ، ومنها ما يهتم

بالجانب الدلالي⁽²⁾، كما أن هناك من تناول النصّ من جانب تداولي تواصل⁽³⁾.

من خلال التعريفات التي تحاول ضبط مفهوم " النصّ " فإننا سنخصّ تعريف دي

بوجراند بالدراسة، فهذا التعريف هو الأقرب و الأشمل والأوضح ، إذ يُعرف النصّ فيقول:

" النصّ حدث تواصل⁽⁴⁾، فهو " يرى بأنّ " محاولات هاريس (Harris) والتحويليين في

إيجاد قواعد عرفية لإنشاء النصوص آلت جميعها إلى الفشل، لأنها لم تستطع أن تضع

معيّاراً ثابتاً للكيفية التي يتصرف بها الناس في إنشاء النصوص، ولأنّها لم تستطع أن تُحدّد

موقفاً واضحاً من النصوص غير النحوية ومن اختلاف الأساليب في داخل النصوص"⁽⁵⁾.

¹ - حديث هاريس عن الوحدة اللسانية فتارة يسميها نصاً، وتارة أخرى خطاباً، وتارة قولاً متتابعاً ، وتعريف هاريس يجعل من النصّ سلسلة من الجمل المتتابعة، فالنصّ هنا وحدة أكبر من الجملة، وهو يشكل بنية، وهذه الخاصة تعطيه صفة الكلية، (ينظر: مفتاح بن عروس ، الاتساق والانسجام في القرآن الكريم ، ص:08)، وعليه يجب أن تكون هذه الجمل مترابطة فيما بينها حتى تشكل نصاً متماسكاً ، وهذا عن طريق روابط تعتبر من وسائل الاتساق النحوية.

² - نجد من اللسانيين برينكر الذي يرى بأنّ النصّ مجموعة منظمة من القضايا أو المركبات القسوية ، تترابط بعضها مع بعض ، على أساس محوري موضوعي أو جملة أساس ، من خلال علاقات منطقية دلالية (ينظر: سعيد بحيري ، علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات ، ص:109-110 ، كما نجد كلا من هاليداي ورقية حسن قد تناولوا النصّ بمفهومه الدلالي)

³ - القائل بهذا الرأي برينكر أيضاً من خلال حديثه عن أفعال الكلام ، فالنصّ عنده مجموعة من الأحداث (أي الأفعال) الكلامية ، التي تتكون من مرسل للفعل اللغوي ، ومتلق له ، وقناة اتصال بينهما ، وهدف يتغير بمضمون الرسالة ، و(سياق) اتصال اجتماعي يتحقق فيه التفاعل ((ينظر سعيد بحيري ، المرجع السابق ، ص:110).

⁴ - هذا التعريف قال به أيضاً الفقي في تحليله النصّي ، لأنّه جمع كل ما له علاقة بتحليل الكلام ولم يبلغ أي طرف فيه.

⁵ - يوسف نور عوض، نظرية النقد العربي الحديث، دار الأمين ، ط1، مصر ، 1994، ص:101.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

لذلك وضع دي بوجراند معايير سبعة ⁽¹⁾ يجب توافرها في النصّ و هي: الاتساق (Cohésion) وفيه يتحقق الترابط الرصفي، والانسجام (Cohérence)، والقصد (Intentionnalité) وهو ما يسعى مُنشئ النصّ إلى تحقيقه، والمقبولية (Acceptabilité) وهو ما يتعلق بموقف المتلقي من النصّ من حيث القبول أو الرفض، والموقفية (Situationalité) وتتعلق بمناسبة النصّ للظروف المحيطة بعملية التواصل، والتناص (Intertextualité) وتتعلق بعلاقة النصّ بنصوص أخرى سابقة على إنشاء هذا النصّ، والإعلامية (Informativité) وتتعلق بموقف المتلقي من تصديق المعلومات الواردة في النصّ ⁽²⁾.

1 - يوسف نور عوض ، نظرية النقد العربي الحديث ، ص: 101-103.

2 - سيتم التطرق إليها بالشرح في الحديث عن المعايير النصّية.

4-الفروق بين نحو الجملة و نحو النصّ⁽¹⁾:

من خلال تعريفنا للجملة والنصّ، يمكننا أن نحدّد بعض الفروق التي تُميّز نحو النصّ

عن غيره :

1- نحو الجملة قائمٌ على دراسة الجمل بمعزل عن سياقها ، وهذا ما يجعل كلّ جملة مستقلة عن لاحقتها أو سابقتها، أمّا نحو النصّ فهو قائمٌ على دراسة العلاقات التي تربط الجمل فيما بينها لتشكل نصًّا ، فالنّصّية هنا تنشأ عن طريق التماسك الذي بفضلّه تتماسك الجمل وتُشكّل كلا متلاحما .

2- نحو الجملة يهتم بالقاعدة و معياريتها، أمّا نحو النصّ أبعد ما يكون عن المعيارية، فهو ينشأ بعد أن يكتمل النصّ⁽²⁾ .

3- نحو الجملة مقيد بدراسة الجملة من الناحية النحوية فقط و يهمل الجانب البلاغي /الأسلوبي،بينما نحو النصّ يدرس كلّ ما يتعلق بالجمال و تعالّوها فيما بينها حتى المتلقي/السامع .

1 - ينظر : إسهامات لغوية في العلاقة بين النصّ والنحو والدلالة ، ترجمة سعيد حسن بحيري ،مؤسسة المختار للنشر

والتوزيع ، ط1، القاهرة ،2008،ص: 199 وما بعدها.

2 - ينظر :أحمد عفيفي ، نحو النصّ ، ص:74.

4- تتحدد الجملة بمعيار أحادي (علم القواعد) من نظام معرفي وحيد (علم اللغة) في حين تتحدد نصّية النصّ بمعايير عدة من مختلف الأنظمة المعرفية (1).

5- مفهوم اللسانيات النصّية :

لا يختلف اثنان على أنّ مفهوم لسانيات النصّ من المصطلحات الحديثة التي اختلف حولها كثيرٌ من اللسانيين، إذ تعدّدت مفاهيمها بتعدّد اتجاهات دارسيها ، فكلّ نظرٍ إليها من زوايته، وعرفها بطريقته، والمشكل قائم في ترجمة المصطلح، إذ تُرجم إلى الإنجليزية بـ (Text Linguistics) أو (Linguistics Of Text) ، ولو بحثنا سرّ الاختلاف لوجدناه يكمن في المصطلح ذاته، كما عبّر عنه في الإنجليزية أيضاً بـ (Grammar Text) وفي الفرنسية (Science de Texte) وليس الاختلاف في التسمية عند الغرب فحسب؛ بل تعدّاه ليختلف في تسميته العرب أيضاً، فمنهم من أطلق عليه اسم نحو النصّ (2)، ومنهم من أطلق عليه علم اللغة (3)، ومن التسميات أيضاً : علم لغة النصّ، نظرية النصّ، علم اللغة

1 - إلهام أبو غزالة، علي خليل أحمد، مدخل إلى علم لغة النصّ، تطبيقات نظرية دي بوجراند وولفجانج دريسلر، الهيئة

المصرية العامة للكتاب، 1999، ص: 10

2- جميل عبد المجيد ، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصّية، ص: 66.

3- محمد يونس علي، مقدمة "مدخل إلى اللسانيات"، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

النّصي، "لسانيات النصّ": لسانيات الخطاب⁽¹⁾، وهذا يظهر من خلال المؤلفات التي ألفت لأجله .

رغم الاختلاف والتعدّد في مفهوم المصطلح، إلا أنّ هناك رابطاً يجمع بين هذه التعريفات، ويصهرها في بؤقّة واحدة، وهذا الرّابط هو كون موضوعها واحداً ألا وهو اللّغة، وأصبح هدفها هو الوصف والتحليل⁽²⁾.

ومن خلال هذا يمكننا أن نحدّد مفهوم للسانيات النّصية التي تتخذ من النصّ محوراً للتحليل اللّساني، فهو يبدأ من النصّ وينتهي به، والهدف منها هو البحث في النصّ كوحدة دلالية، تتشكّل من متواليات من الجمل، تربطها عناصر تُشكل هذا النصّ .

فـ " اللّسانيات النّصية فرع من فروع اللّسانيات يُعنى بدراسة مميزات النصّ من حيث حدّه وتماسكه ومحتواه الإبلاغي (التواصلي) " ⁽³⁾ .

وهذه الفكرة تحدث عنها جون مشال أدام (Jean .M. Adam) في كتابه "Linguistique textuelle"؛ يقول: " تهتم لسانيات النصّ بوصف المبادئ العليا التي تحكم

¹ - محمد خطابي ، لسانيات النصّ ، ص :5.

² - ينظر : صبحي إبراهيم الفقي، علم اللّغة النّصي بين النّظرية والتطبيق، ص: 55.

³ - ج يول ، وج براون، تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع ، جامعة

الملك سعود ، الرياض ، م.ع.س، 1997، على هامش ص: 30 .

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

الترتيبات المعقّدة وغير الفوضوية (أي المنظمة) المتناسبة داخل نظام وحدة النص المتميزة والمنجزة" (1) .

ويُعرّفها **صبحي الفقي** بقوله " علم اللّغة النّصي -فيما نرى - هو ذلك الفرع من فروع علم اللّغة،الذي يهتم بدراسة النصّ باعتباره الوحدة اللّغوية الكبرى،وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمّها الترابط أو التماسك ووسائله، وأنواعه والإحالة أو المرجعية (Référence) وأنواعها، والسياق النّصي (Textual Context) ودور المشاركين في النصّ (المرسل والمستقبل)، وهذه الدراسة تتضمن النصّ المنطوق والمكتوب على حد سواء " (2) .

هذا التعريف يتجاوز النظرة التقليدية في دراسة الجملة وتتعداها، فالجملة " لا تُقدم سوى الضئيل بالنسبة لما يقدمه النصّ، فما الجملة إلا جزء صغير بالقياس بالنصّ، وما يُقدمه النصّ يُمثل المعنى الكلّي، على حين الذي تُقدمه الجملة يُمثل جزءاً فقط من المعنى العام" (3)، فلسانيات النصّ تهتم بكل ما هو منطوق ومكتوب، وتدرس وسائل التماسك والترابط التي تجعل من النصّ كلاً مُتكاملاً، من خلال البحث عن الأدوات النحوية المُحققة للتماسك،

¹ - Jean Michel Adam, Linguistique textuelle des genres de discours aux textes, Nathan, Université, Paris, 1999, p35

² - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللّغة النّصي، ج:1، ص: 36

³ - المرجع نفسه، ج:1، ص:49

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

والآليات الدلالية المُحققة للانسجام، وتركز على ركيزتي العملية التخاطبية المرسل والمرسل إليه .

ويُعرفها نعمان بوقرة بقوله : " تيار جديد جعل من النصّ مادته الأساسية، اصطُح عليه في البداية بـ "نحو النصّ" وهو مصطلح يقابل لسانيات النصّ، حيث حصل نوع من الإجماع على ضرورة التغيير وفق منهجية لا تغفل الجملة ولكنها في مقابل ذلك تعدّها أكبر وحدة قابلة للتحليل اللساني، بل تنظر إليها من زاوية علاقتها ببقية الجمل الأخرى المكونة للنصّ إضافة إلى علاقتها كذلك بالسياق الذي أنتجت فيه وبمنتجها ومستقبلها" (1).

إذا أمعنا النظر في الجزء الأول من التعريف يبدو لنا في ظاهره بنوياً محضاً، لأنّه يركز على الجملة في التحليل ولا يتعدّاها، ولأنّنا نتحدث بنصوص لا بجمل كان لزاماً على الدارسين الانتقال من دراسة الجملة إلى دراسة ما فوقها وما يتعدّاها، وهذا شأن لسانيات النصّ، التي قامت على أنقاض تراكمات خلفتها البنوية، لذلك وجب تجاوز هذه التعريفات التي تجعل من النصّ متتالية من الجمل، رغم أنّ الكثير منها لا يهمل الجمل في الدّراسة والتحليل إلا أنّها يعترّيها النقص والغموض في بعضها، لأنّ الدراسات النصّية لا تعني تجاوز حدود الجملة فقط، بل وجوب البحث في مكن التماسك والترابط والتعالق بين الجمل وربط كل هذا بالسياق الذي يسهم في إنتاج النصوص .

¹ - نعمان بوقرة ، المصطلحات الأساسية في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب ، دراسة معجمية ، عالم الكتب الحديث للنشر

والتوزيع ، ط1، إربد ، الأردن ، 2009، ص: 140.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

ولقد استفادت لسانيات النصّ " من كلّ معطيات اللّسانيات الجمليّة، وتجاوزت قصورها، لأنّ لسانيات الجملة لم تعد كافية لكلّ مسائل الوصف اللّغوي من حيث الدّلالة والتداول والسّياق الثقافي العام، وكل ذلك له دور حاسم في التّواصل اللّغوي، وقد أخرجت اللّسانيات النّصّية علوم اللسان من مأزق الدّراسات البنيوية التركيبية التي عجزت في الربط بين مختلف أبعاد الظّاهرة اللّغوية" (1).

ويؤكد صبحي إبراهيم الفقي على وظيفة هذا العلم الجديد ومهمته فيقول: "وظيفة علم اللّغة النّصيّ تنحصر في أمرين أساسيين هما :

أولاً : الوصف النّصي T.Description

ثانياً : التحليل النّصي T.Analysis

وجدير بالذكر أنّ المنطلق في تحديد هاتين الوظيفتين هو أنّه لا يُمكن البداية بالتحليل دون الوصف، فيجب إذن توضيح مكوّنات النصّ ابتداءً من الجملة الأولى، ثم بيان الموضوعات التي تناولها النصّ، وإدراج الدّراسة الإحصائية تحت إطار الوصف من حيث بيان الروابط الموجودة بالنّص " (2).

ويوجز الفقي مهمة لسانيات النصّ في النقاط التالية :

¹- رشيد عمران، "مسارات التحول من لسانيات الجملة إلى لسانيات النصّ، قراءة في بدايات ودواعي التأسيس والمساهمات العربية في اللّسانيات النّصّية"، المؤتمر الدولي الأول في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب، دار كنوز المعرفة ، ط1، الأردن، 2013، ج1، ص: 379 .

² - صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللّغة النّصي ، ج:1، ص: 55

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

أولاً :إحصاء الأدوات والروابط التي تسهم في التحليل .

ثانياً:وصف أشكال النصوص ، وموضوعاتها ، ووصف هذه الأدوات والروابط .

ثالثاً:التحليل من خلال إبراز دور هذه الروابط في تحقيق تماسك النصوص ، مع

الاهتمام بالسياق والتواصل "(1) .

كما أنّ هناك فرقاً بين النصّ والنصّية ، فالنصّية - وفق سلفرمان - هي

الشرط الذي " يجعل من النصّ نصّاً ، فنصٌّ ما هو توليفة مركبة من العلامات والدلالات

ترتكز على الشفرات والعلاقات القائمة بين العلامات" (2).

¹ - صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصّي ، ج1، ص:56

² - ج هيو سلفرمان، نصيات، تـ: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي ، ط1،الدار البيضاء،المغرب،

2002،ص: 117 .

الفصل الأول ===== لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

أما فيما يخص الاختلافات المصطلحية التي تبنتها الدراسات العربية، لمفهوم لسانيات النصّ فإنّها متباينة حسب توجّه الدارسين العرب لها، وهذه أمثلة حيّة على ذلك من خلال الجدول (1):

المصطلحات النصّية	
المصطلح	صاحب الدراسة
علم اللّغة النصّي	صبحي إبراهيم الفقي
علم لغة النصّ	سعيد حسن بحيري
اللسانيات النصّية	عمر بلخير
اللسانيات الأدبية	عبد الحق بلعابد
لسانيات النصّ	محمد خطابي
مدخل إلى علم النصّ	سعيد حسن بحيري منذر عياشي صلاح فضل فريد الزاهي
دراسات منهجية في تحليل النصوص	نهاد رزق الله
نسيج النصّ	الأزهر الزناد
في بناء النصّ ودلالته	مريم فرنسيس
إشكالات النصّ: دراسة لسانية نصّية	جمعان بن عبد الكريم

¹ - خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفاهيم ، ص: 198.

6-المعايير النصّية :

إنّ منطلق كون النصّ "حدثاً تواصلياً" يستلزم وجود شروط تضمن له النجاح في التواصل⁽¹⁾ ، فمعظم اللّسانيين يُعرفون النصّ على أنّه " حدثٌ تواصلِي يلزم لكونه نصّاً أن تتوافر فيه سبعة معايير للنصّية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير"⁽²⁾، ولا بدّ من توافر هذه المعايير مجتمعة في النصّ، ليصير النصّ نصّاً، إذ تُعد هذه المعايير سمات للنصّ الكامل، " وإذا اختلفت سمة من هذه السمات، يمكن أن نطلق عليها نصّاً ناقصاً، ولذا يمكن أن نعدّها شروطاً ينبغي توفرها حتى يمكن أن نطلق عليه نصّاً كاملاً"⁽³⁾.

ولهذه المعايير السبعة دورٌ كبيرٌ في تحقيق نصّية النصّ والربط بين أجزاء النصّ، بحيث إذا تحقّقت هذه المعايير كسب النصّ نصّيته المتكاملة، الأمر الذي يُسهل عملية الاتصال من جهة ، وتحقيق التأثير في المستقبل، لذلك نجد الكثير من اللّسانيين يؤكّدون على هذه المعايير، وعليه نجد سعد مصلوح يعتبر تحقّق هذه الشُّروط السبعة ضرورياً ليكون النصّ نصّاً، بينما يرى كلٌّ من دريسلر ودي بيوجراند أنّ ذلك ليس ضرورياً ، فلا ضرورة تحقّق

1 - ينظر :مفتاح بن عروس ، الاتساق والانسجام في القرآن الكريم ، ص: 12.

2- سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، مقال بمجلة فصول، المجلد العاشر، العددان الأول والثاني، يوليو 1991م، ص:154.

3 - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللّغة النصّي بين النظريّة والتطبيق، ج:1، ص:29

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

هذه المعايير السبعة في كلّ نصّ، وإنّما يتحقّق الاكتمال النّصي بوجودها، وأحياناً تتشكّل نصوص بأقلّ قدر منها (1).

وتعتبر النّصيّة أهم ركيزة يقوم عليها البحث في لسانيات النصّ، وقد خصّصت النصّ بالدّرس والتحليل من حيث كونه "بنية مجردة تتولّد بها جميع ما نسمعه ونطلق عليه لفظ "نص"، ويكون ذلك برصد العناصر القارة في جميع النّصوص المنجزة مهما كانت مقاماتها وتواريخها ومضامينها" (2).

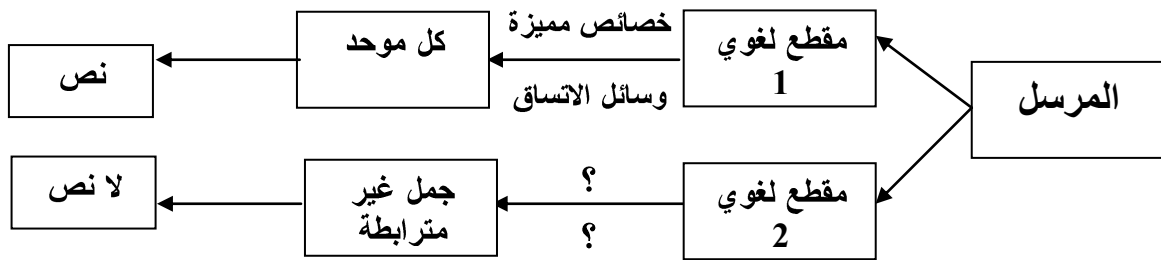
ولكي تتحقّق النّصيّة يجب توافر مجموعة من الوسائل اللّغوية، بحيث تُسهم هذه الوسائل في وحدته الشّاملة حسب ما ذهب إليه كل من هاليداي (Halliday)، ورقية حسن.

1- ينظر : سعيد بحيري، علم لغة النصّ، المفاهيم والاتجاهات، ص: 146.

2 - الأزهر الزناد، نسيج النصّ، ص: 18

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

و قد حدد دي بوجراند ودريسler المعايير النصّية السبعة ⁽¹⁾ التي غفل عنها هاريس (Harris) والتوليديين لأنها لم تستطع أن تحدد موقفا محددا من النصوص غير النحوية واختلاف الأساليب داخل النصوص ، وهذه المعايير هي خصائص معينة، تميز النصوص بتوافرها ، وتتعدّم النصّية إذا انعدمت هذه المعايير من المقطع اللغوي أو المتتالية من الجمل، وقد وضع كل من هاليداي (Halliday) ورقية حسن هذا المخطط ⁽²⁾.



1 - روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء، ص: 103 وما بعدها، ينظر أيضا: أحمد عفيفي ، نحو النصّ اتجاه جديد في الدرس النحوي ، ص: 30 ، في هذا الكتاب تناقض أفكار الكاتب بعضها بعضا ، فقد نسب هذه المعايير في الصفحة نفسها لدي بوجراند وديسلر ، لكنه ينسبها لدي بوجراند وحده في الصفحة 75 ، لكن لو رجعنا إلى الصفحة 103 لوجدنا دي بوجراند يقول : " وأنا أقترح المعايير التالية لجعل النصّية TEXTUALITY أساسا مشروعا لإيجاد النصوص واستعمالها). وهذا دليل على تحديد المعايير كان لدي بوجراند وحده فقط لأنه لم يتكلم بضمير الجمع أو التنشئة ، خاصة وأن هذه المعايير السبعة ذكرها في كتابه "النص والخطاب والإجراء الذي نشره قبل كتاب مقدمة في لسانيات النصّ الذي شاركه في تأليفه دريسler) ، كما نجد أن تمام حسان يشير إلى خمسة معايير فقط وهي (القصد ، التناص ، رعاية الموقف-المقامية - ، الإعلامية ، القبول) ، ينظر :المرجع السابق ، ص: 77.

² - محمد خطابي، لسانيات النصّ، ص: 12

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

و انطلاقاً من تحديدنا لهذه المعايير في تحديد النصّية التي من خلالها يمكن الحكم على النصّ، يجب أن ننبّه إلى أنّ النصّ إنّما يتكون من خلال التقابل مع الجملة، إذ لم يعد التمييز بينهما منحصرًا في كثرة الجمل وتتابعها أو بنيتها النحوية، وإنّما في توافر هذه المعايير السبعة، وإذا اختلف شرطٌ منها فإنّ النصّ يفقد وظيفته التّواصلية، وهذه المعايير يقسمها النّصانيون على ثلاثة أقسام (1):

- 1- قسم يتصل بالنّص ذاته .
- 2- قسم يتصل بمن يتعامل مع النّص منتجًا ومتلقيًا .
- 3- والقسم الأخير يتصل بالسياق المادي والثقافي .

وهذا التصنيف (2) اعتمده سعد مصلوح ، فمن خلال تقسيمه الأول نرى بأنّ هذا التقسيم يتعلق بمعياريّن أساس ربط النّصوص وهما الاتساق والانسجام، فالأوّل يهتم بدراسة الروابط اللفظية والثاني يهتم بدراسة العلاقات المعنوية الدّلالية التي تحكم النّصوص، أما القسم الثاني فتظهر فيه العلاقة التي تربط النصّ بمنتجه وبمتلقيه وهي علاقة تواصلية، أما القسم الأخير فيتعلق بالسياق .

¹ - ينظر :سعيد بحيري، علم لغة النّص، ص: 146، و أحمد عفيفي ، نحو النّص اتجاه جديد في الدّرس النحوي ، ص:

2-سعد مصلوح،نحو أجرومية للنص الشعري، بحث منشور في "فصول،(مجلة)، المجلد العاشر،

العددان الأول والثاني، يوليو 1991، ص: 154

القسم الأول : ما يتصل بالنصّ ذاته :

1. الاتساق⁽¹⁾ (Cohésion) :

يُراد عادةً بالاتّساق ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنصّ ما، وهذا التماسك يتأتّى من خلال وسائل لغويّة تصل بين العناصر المشكلة للنص⁽²⁾، وهذه الوسائل تحقق النصّية، بحيث تُسهم في وحدة النصّ الشاملة⁽³⁾، وتجعل منه نصًّا، ونعني به أيضا الكيفية التي يحدث بها التماسك النصّي بترابط عناصره، وهذا " مفهوم دلالي يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النصّ، وهي عناصر تحدده وتمنحه صفة النصّانية، ويشمل مفهوم الاتّساق هذا عدداً من المنسقات كالأحالات إلى الضمائر، والإشارة والحذف والاستبدال والوصل والاتّساق المعجمي"⁽⁴⁾.

ونعني به أيضا الطريقة التي يتم بها ربط الأفكار في بنية النصّ الظاهرة أي البنية السطحية، ويكون الاتساق بنوعيه النحوي و ذلك عن طريق التشكيل النحوي للجمل وما

¹ - ورد هذا المصطلح في تراثنا العربي باسم السبك خاصة عند الجاحظ في تعريفه للشعر، كما نجد أن المصطلحات الأجنبية (Cohesion, Coherence, Cohesive) تستخدم بمعنى التماسك، واختلف في ترجمتها، فترجم cohesion على أنه السبك (الاتساق)، وترجم coherence على أنه الحبكة (الانسجام)، والملاحظ أن هاتين اللفظتين تردان عند اللسانيين الغربيين بالمعنى نفسه.

2- ينظر : محمد خطابي، لسانيات النصّ، ص: 15.

3- المرجع نفسه، ص: 13.

4 - يحي عبابنة، أمانة الزعبي، مجلة جامعة دمشق : المجلد 29، العدد (2+1) 2013، ص: 510-511.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

يتعلق بها من إحالة وحذف واستبدال وغير ذلك، أمّا المعجمي فيكون عن طريق التكرار والمصاحبة المعجمية .

فـ " النصّ منتوج مترابط، متسق و منسجم، و ليس تتابعاً عشوائياً لألفاظٍ وجمل و قضايا و أفعال كلامية... و الاتساق من الشروط الأساسية لبناء نصية المعنى... و لا تستقيم نصية القطعة إلاّ بانسجامها ..."(1).

والتّماسك في علم اللّغة الحديث يعني " التّلاحم بين أجزاء النصّ الواحد، بحيث توجد علاقة بين كلّ مكون من مكونات النصّ وبقية أجزائه، فيصبح نسيجاً واحداً، تتحقّق فيه علاقات القصد والخلفية المعرفية بالمبدع والمتلقي" (2) ، إذ تخضع الجمل في النصّ لبناء محكم التّرابط، حيث تربط كلّ جملة بما يلحقها بواسطة أدوات ووسائل لغوية، ويعرف هذا التّرابط المنظم بين الجمل بالاتّساق وهو الذي يضمن تماسك النصّ وتمييزه عن اللانصّ، وقد أسهمت في عملية الاتّساق مجموعة من الوسائل والأدوات النحوية والدلالية، إذ تعدّدت تسميات هذه الوسائل بمسميات كثيرة، فمنها ما يجعلها آلية ومنها ما يجعلها مظاهر، وفضلنا إطلاق مصطلح الوسائل لأنّه الأعمّ و الأشمل، وقد تعدّدت آراء العلماء حول هذه الوسائل أيها

1 - جان ميشال آدم، قراءة في اللّسانيات النصّية، عرض خولة طالب الإبراهيمي، مجلة اللّغة و الأدب، العدد 12، شعبان 1418 هـ، ديسمبر 1997، معهد اللّغة العربية و آدابها، جامعة الجزائر، ص: 117-118.

2- Halliday & Hassan - Cohesion in English. Longman, London. 1976, P: 10

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

يحقق التماسك والترابط، لكن رغم الاختلاف في حصر هذه الوسائل إلا أنّ جلّ النّصّانيين يُحدّدون بعض الوسائل التي يشترك فيها الجميع، ولعلّ أهم من أدلى بدلوه في هذا المجال كلّ من هاليداي (Halliday) ورقية حسن و أدرجا ذلك في مؤلفهما الاتّساق في الإنجليزية "Cohesion in English" ولا يتحقّق التماسك والتّعالق عندهما إلا بوجود خمسة وسائل لتكون كلّاً متلاحماً وهي :

1- الإحالة Reference

2- الاستبدال Substitution

3- الحذف Ellipsis

4- الوصل Conjunction

5- الاتّساق المعجمي Lexical Cohesion

غير أن هاليداي (Halliday) في مؤلفه اللاحق ⁽¹⁾ اقتصر على أربعة وسائل فقط، وعند شرحه لهذه الوسائل أدرج الإبدال مع الحذف ⁽²⁾ إذ يقول : " هناك أربع طرق للتماسك في خلق اللّغة الإنجليزية من قبل الوصل والإحالة والحذف والمعجمية " ⁽³⁾.

¹ - See M.A.K.Halliday , An Introduction To Functional Grammar ,(London :Edward Arnold Publishers ,Ltd, 1985,p :534-535

² - Ipid p : 535

³ - "There are four ways by which cohesion is created in English : by (i) conjunction,(ii) reference ,(iii) ellipsis and (iv)lexical organization"

2. الانسجام (Cohérence) ⁽¹⁾:

إنّ ورود هذا المصطلح بهذا التّحديد يكاد يندم في الدراسات العربية، أمّا إذا تناولنا المصطلح في معان أخرى فهو يتردّد بكثرة في المؤلفات القديمة النّقدية والبلاغية، ونعني بالانسجام الطريقة التي يتم بها ربط الأفكار داخل النصّ، ويظهر هنا الربط المنطقي للأفكار التي تعمل على تنظيم الأحداث والأعمال داخل بنية الخطاب بمعنى آخر ترابط التراكيب على مستوى البنية العميقة.

تُرجم مصطلح الانسجام عند كثير من اللّسانيين بمصطلحات كثيرة، أهمها الحبكة والالتحام والتقارن ومنهم من يطلق عليه لفظ التماسك، ولم يفرق كثير منهم بين مصطلحي الاتساق والانسجام فهو عند بعضهم بمنزلة واحدة ⁽²⁾ نظرا للتداخل الكبير بينهما، غير أنّ الشائع أنّ الاتساق يتعلق بأدوات كالأحوال والحذف والاستبدال...، بينما الانسجام يتعلق بمجموعة من الآليات والعلاقات الدلالية تعمل على تحقيق الانسجام بين تلك العناصر.

1 - سيتم التطرق لعنصر الانسجام بالتفصيل في الفصل الثاني.

2- من بين اللّسانيين الذين يجعلون الاتساق والانسجام بمنزلة واحدة محمد مفتاح: انظر دينامية النصّ، المركز الثقافي

العربي ، ط 2 ، بيروت، 1992 ، ص: 100.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

ومن المفيد الإشارة في هذا المقام إلى أن المعنيين بـ "نحو النصّ" منقسمين على أنفسهم في صياغة دقيقة ومحددة لترجمة مصطلح الاتساق (Cohésion) والانسجام (Cohérence)، و الجدول الذي بين أيدينا يظهر لنا هذا الاختلاف⁽¹⁾:

المصطلح	الترجمة للعربية	اللسانيون العرب	المؤلف/الصفحة
COHESION	السبك	سعد مصلوح	نحو أجرومية للنص الشعري ص: 154
		تمام حسان	النص والخطاب والإجراء ص: 103
	التضام	تمام حسان	نحو الجملة ونحو النص، ص: 1
		إلهام أبو غزالة	مدخل إلى علم اللغة النصي ص: 93
	التماسك	محمد خطابي	لسانيات النص، ص: 5
	الربط النحوي	سعيد بحيري	علم لغة النص، ص: 141 اتجاهات لغوية معاصرة، ص: 169
	الالتحام	تمام حسان	النص والخطاب والإجراء ص: 103

¹ - أشرف عبد البديع عبد الكريم، الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، 2008،

ص: 108-141 بتصرف يسير .

COHERENCE	الحبك	سعد مصلوح	نحو أجرومية للنص الشعري ، ص 154: المذهب النحوي عند تمام حسن ص: 22
	الانسجام	محمد خطابي، صلاح فضل	لسانيات النصّ ، ص: 5 بلاغة الخطاب وعلم النصّ ص: 63-264
	الاقتران	إبراهيم محمود خليل	في اللسانيات ونحو النصّ ص: 221
	التماسك	سعيد بحيري	علم لغة النصّ ، ص: 141 اتجاهات لغوية معاصرة ، ص: 173
	الاتساق	تمام حسان	نحو الجملة ونحو النصّ ، ص: 1
	التقارن	إلهام أبو غزالة علي خليل أحمد	مدخل إلى علم لغة النصّ ، ص: 11
	الالتحام	تمام حسان	النص والخطاب والإجراء ص: 103

- القسم الثاني : ما يتصل بمن يتعامل مع النصّ منتجا ومتلقيا:

3. القصدية (Intentionnalité):

ونعني بها موقف منتج النصّ لإنتاج نص متماسك ومترابط، لكي يتم الوصول إلى هدف مرسوم في خطة محددة⁽¹⁾، بمعنى آخر أنّ النصّ ليس بنية عشوائية وإنما هو عمل مقصود به أن يكون متناسقاً ومتربطاً من أجل تحقيق هدف محدد .

يرى حازم القرطاجني بأنّ القصد مرادف للغرض، فعند حديثه عن مطالع القصائد الشعرية قال " فملاك الأمر في كل ذلك أن يكون المفتتح مناسباً لمقصد المتكلم من جميع جهاته، فإذا كان مقصده الفخر كان الوجه أن يعتمد من الألفاظ والنظم والمعاني والأسلوب ما يكون فيه بهاء وتفخيم، وإذا كان المقصد النسيب كان الوجه أن يعتمد منها ما يكون فيه رقة وعذوبة، وكذلك سائر المقاصد "⁽²⁾ .

يُعرف محمد مفتاح القصدية بأنّها " ما يكمن ويحكم من معتقدات ومقاصد وأهداف...فعل الكلام الصادر من متكلم إلى مخاطب في مقتضيات أحوال خاصة، وبناء على هذا،

¹ - فولفغانغ هاينه،ديتر فيهفيجر،مدخل إلى علم لغة النصّ،ص: 94،ودي بوجرند،النصّ والخطاب والإجراء، ص:103-

.104

² - حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ،ص: 279.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

فإنه ينحل من هذا القول ثلاثة عناصر أساسية هي المخاطب والمخاطب وظروف التنزيل أو ما عبر عنه الشاطبي بالمقاصد ومقتضيات الأحوال⁽¹⁾.

تُعد القصدية أو القصد الشرط الثالث من الشروط الأربعة الجوهرية اللازمة لوصف نص ما بالنصية، فالقصدية إذاً شرطٌ أساسي لكل نوع من أنواع التواصل ويتعلق بموقف منتج النص الذي يريد أن يبني نصاً مترابطاً متماسكاً لتحقيق قصد منتج أي ليقدم معرفة أو تحقيق هدف يطرح في إطار خطة أو تخطيط ما⁽²⁾.

ولابدّ هنا من الإشارة إلى أمرين مهمين :

الأول: الصلة الوثيقة بين هذا المعيار ومعيار الربط والتماسك، إذ يمكن أن تحافظ على هذين المعيارين بدرجة ما، من خلال إعادة صياغة لتحقيق أهداف نصية متغيرة .

الثاني: ضرورة محافظة منتج النص عليهما تتضمن حرصه على دوام التواصل ورغبته في إيصال مقاصده إلى متلقيه، فإذا تجاهله تنخفض درجة الاتصال بينهما إلى أن ينقطع نهائياً آخر الأمر⁽³⁾.

والقصدية من أهم المصطلحات اللسانية التداولية الحديثة، فمن خلالها يعرف مقصد المتكلم ومراده، فهو منتج الخطاب ومبدعه، والقصدية هي التي توجه المرسل عند إنتاج

¹ - محمد مفتاح ، دينامية النصّ تنظير وإنجاز ، المركز الثقافي العربي ، ط.دت، ص: 193

² - سعيد بحيري ، اتجاهات لغوية معاصرة ، ص: 176

³ - سعيد بحيري ، المرجع نفسه ، ص: 177.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

خطابه، و تكفل نجاح العملية التواصلية، كما تساعد المتلقي في فهم و معرفة قصد المرسل، والتّداولية هنا تبحث هذه المقاصد وتدرس معاني المتكلم عن طريق محوري العملية التواصلية المرسل من خلال قصده والمرسل إليه من خلال تقبله وتفاعله مع الرسالة و تفسيره الخطاب تفسيراً صحيحاً، كما أنها تبحث " كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم، أو هو دراسة معنى المتكلم " ⁽¹⁾، لذلك نجد تعاريف التّداولية و أقربها للّسانيات الحديثة هي دراسة اللّغة في الاستعمال أو في التّواصل، وعليه يجب حصر عناصر التّداولية في المرسل وقصده ونواياه، والمتلقي ومدى تقبله وتفاعله مع النصوص والرسالة والسيّاق .

يعرّف سيرل (J.Searle) القصدية بقوله : " القصدية هي تلك الخاصية لكثير من الحالات والحوادث العقلية التي تتجه عن طريقها إلى الأشياء وسير الأحوال في العالم أوتدور حولها أو تتعلق بها " والقصدية هنا مرتبطة بالعقل والإدراك وهي فعل شعوري قصدي .

و يشير سيرل (J.Searle) إلى أن هناك خلطاً كبيراً بين مصطلح القصدية، ومصطلحي القصد Intention بمعناه العادي، والمفهومية Intentionality ، أو كما يُسميها قصدية الدلالة Intentionality ، وقصدية اللفظ Intensionality ⁽²⁾ ، فنطقهما

¹ - محمود نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، د/ط ، ص: 12

² - جون سيرل، العقل مدخل موجز، تر ميشال حنا متياس ،سلسلة عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون

والآداب - الكويت /العدد 343، شعبان 1428هـ ، سبتمبر 2007م ، ص :141.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

واحد لكن يختلفان في حرف واحد (T) بدل من (S) ، وهذا الاختلاف تبعاً لقرب البنى الصوتية للكلمتين، ويميز سيرل بينهما بأن يكتب كلمة القصدية (Intentionality) بحرف كبير (I) لتدل على قصدية حالاتنا العقلية، والخلط هنا يقع بين اللغة العربية واللغة الإنجليزية لكنه في الأخيرة أوضح وأكثر، لأنهما تنطقان بطريقة واحدة .

وهذا يعني أنّ القصدية ليست هي المقصد فـ سيرل (J.Searle) قام بالتفريق بين القصد الذي وراءه وعي، والمقصدية التي " تجمع بين الوعي واللاوعي " ⁽¹⁾. و الشيء الأهمّ عند سيرل (J.Searle) يتجلّى في السلوك اللغوي الذي اشتقّ "من المقصدية وليس العكس، فهي التي تتحكم في الأفعال الكلامية بتحديد أشكالها وخلق إمكانية معناها" ⁽²⁾.

والقصدية عند تمام حسان هي عبارة عن مقاصد وأغراض تعبيرية يريد المتكلم تأديتها فـ"إذا كان الأسلوب هو الطريقة المختارة للتعبير عن المعنى، فإنّ لاختيار هذه الطريقة دون غيرها من الطرق الموصلة إلى هذا المعنى مقصداً معيناً يقصد إليه صاحب الأسلوب بجعل العنصر المختار مؤشراً أسلوبياً يشير إلى قصد ما" ⁽³⁾، وهذا القصد هو ما أراد المتكلم من السامع أن يعلمه .

¹- محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ، ص:165.

²- المرجع نفسه ، ص:165.

3 - تمام حسان ، البيان في روائع القراءان، عالم الكتب، ط2، القاهرة، 2000 ، ج2، ص: 123م.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

وتتجلى في معنيين: " معنى ضيق، حيث تدرج تحتها رغبة منتج النص، وقصديته، ليدل على أنه "يقصد من أية تشكيلة لغوية ينتجها أن تكون نصًا متسقًا منسجمًا"⁽¹⁾ ومعنى أوسع، حيث تشير "إلى جميع الطرق التي يتخذها منتج النصوص في استغلال النصوص من أجل متابعة مقاصدهم وتحقيقها"⁽²⁾. فالقصد من إنتاج النص " مع التعريف الأول يحمل غاية نصية، في حين أنه يحمل مع التعريف الثاني غاية برجماتية (تداولية) " ⁽³⁾

لأن النص عادة "لا يتمظهر في شاكلة واحدة وإنما في كيفيات مختلفة ورائها مقصدية المنتج، ومراعاة مقصدية المخاطب، والظروف التي يروج فيها النص، وجنس النص"⁽⁴⁾.

والقصد في النص قد يكون صريحاً أو متضمناً، فالمقاصد الصريحة هي تلك المرتبطة بالمعاني المباشرة للكلمات والجمل، في حين أنّ المقاصد المتضمنة هي تلك التي ترتبط بالمغزى من استخدام هذا الفعل أو ذاك، في إشارة واضحة إلى أفعال الكلام " ⁽⁵⁾.

1- إلهام أبو غزالة وعلي خليل أحمد، مدخل إلى علم لغة النص، ص: 152.

2- المرجع نفسه، ص: 157.

3- حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، ص: 48.

4- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب-مقاربة لغوية تداولية- دار الكتاب الجديد ، ط1، بن غازي، ليبيا،

2004، ص: 212.

5 -حسام أحمد فرج ، المرجع السابق، ص: 48

كما لا يمكن إهمال عنصر الافتراض السابق في المقصدية، وهو عبارة عن خلفية معرفية مسبقة، فالمتكلم يُوجه خطابه للسامع على أساس ما يفترض مسبقاً أنه على علم بما يقال، إضافة إلى الاستلزام الحواري **فغرايس** مثلاً يرى بوجوب إيضاح الاختلاف بين ما يُقال وما يُقصد، فما يقال يعبر عنه بكلمات وعبارات لفظية، وما يُقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه للسامع، " فمن أجل تأويل هذه العناصر، حين ترد في خطاب ما، من الضروري أن نعرف (على الأقل) من هو المتكلم ومن هو المستمع، وزمان إنتاج الخطاب " (1)، فشخصية المرسل ومقصده ومرجعياته الثقافية والمعرفة المشتركة بين المتخاطبين، والظروف المكانية والزمانية على قدر كبير من الأهمية التي تساعد على فهم الخطاب .

مما سبق، نرى بأنّ القصدية لا تتحقّق إلا بشروط كما حددها كثير من اللسانيين :

الشرط الأول : وجود منتج أو مبدع يكون محور القصدية فيه يتم إنتاج نص متماسك متكامل ذي أهداف محددة مقصودة .

الشرط الثاني : وجوب وجود متلق (سامع) يحسن فك شيفرات يرسلها المنتج، لفك الغموض على النصّ وفهمه، وفهم مقصده ليصل إلى هدف المنتج .

الشرط الثالث : وجود قناة تواصلية تربط بين محوري العملية التواصلية المنتج والسامع.

¹ - ج يول و ج براون ، تحليل الخطاب ، ص: 35 ، ومحمد خطابي ، لسانيات النصّ ، ص: 297.

وعليه فإنّ النصوص إذا كانت تخلو من القصد، فإنّ هذا يبعدها عن مرتبة الخطاب، لأنّ القصد يجعل التفاعل بين المرسل والمرسل إليه قائماً، وإذا فقد هذا التفاعل فإنّ النصوص تفقد سمة التواصلية، ومن ثمّ ينعدم الانسجام .

4- المقبولية (Acceptabilité) :

يرى دي بوجراند أنّ " القبول يتضمّن موقف مستقبل النصّ إزاء كون صورة ما من صور اللّغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نصّ ذي سبك والتحام " (1) ، فهي في نظره تتعلق بالمتلقي دون غيره فيما يتعلق بقبوله أو رفضه فيما يتعلق باتّساق وانسجام النصّ، ومتعلقة أيضاً بمنتج النصّ، كما لا يمكن إهمال السّياق الذي يساعد في الغالب على الحكم بالقبول أو عدمه .

ويترتب هذا المعيار " على مدى قوة الانسجام والارتباط بين المعيار الأول والثاني، ويؤدي إلى قبول النصّ من طرف المتلقي، أمّا إذا حدث خللٌ بين هذين العنصرين، فإنّ عواقب ذلك ليست إيجابية من حيث قبول النصّ، لأنّ هذا يؤدي إلى تصورات خاطئة، وإن كان هذا لا يتنافى مع النصوص اللّغوية عالية المستوى " (2) .

¹ - دي بوجراند ، النصّ والخطاب والإجراء ، ص: 104

² - أشرف عبد البديع عبد الكريم، الدّرس النحوي النصّي في إعجاز القرآن، مكتبة الآداب القاهرة، 2008، ص: 158

وتعدّ المقبوليّة " باعتبارها اتّجاهاً لدى مستقبل النصّ في الاتّصال، وعلى مستقبل النصّ، بالمعنى الأكثر مباشرة للمقبوليّة، أن يقبلوا التّشكيّة اللّغويّة على أنّها نصّ متّسق منسجم وقابل للاستغلال"⁽¹⁾، إذ إنّ مفهوم المقبوليّة " يعتمد على التفاعل بين مقاصد المنتجين ورغبة المتلقين في المعرفة وصياغة مفاهيم مشتركة"⁽²⁾، وتعدّ المقبوليّة " رغبة نشطة للمشاركة في الخطاب، أي رغبة المتلقين في المعرفة وصياغة مفاهيم مشتركة، وبذلك يمثل المتلقي جانباً مهماً من جوانب عملية الإنتاج التي تتكون من (المنتج والنصّ و المتلقي) ، فلا شك أنّ النصّ يكتسب حياته من خلال المتلقي، إذ يفك شفرته ويستخرج ما فيه، ويتوقف ذلك على ثقافته وأفقه ومعرفته بعالم النصّ وسياقه"⁽³⁾ .

وعليه فإنّ للمتلقي الدور الأكبر في تشكيل النصّ وإعادة توجيهه وتشكيله، فهو في نظر الكثيرين شريكٌ مبدعٌ، وهذا الشّريك " واسع الاطلاع بالمعرفة الأدبية التاريخية"⁽⁴⁾ التي تشكّل قصده عند إنتاج النصّ وإعادة إخراجها للوجود، لأنّ المتلقي يحاول قدر الإمكان فهم السياق لتفسير ما تلقاه من معلومات، وهذا الفهم هو الذي يصنع استمرارية النصوص والقبول لدى المتلقي، وهذا القبول يختلف من متلقٍ لآخر حسب درجة الفهم، وتختلف درجة القبول أيضاً بحسب المتلقي ورؤاه، فقد يكون النصّ الواحد مقبولا عند البعض ومرفوضاً عند

¹ - إلهام أبو غزالة وعلي خليل أحمد، مدخل إلى علم لغة النصّ ، ص : 174 .

² - حسام أحمد فرج، نظرية علم النصّ، ص : 52.

³ - عزة شبل ، علم لغة النصّ ، النّظرية والتطبيق ، ص : 34.

⁴ - حسام أحمد فرج، المرجع السابق، ص : 52 .

البعض الآخر، إذن: المقبولية معيار قائم على قبول المتلقي لمعلومات واستنتاجات تتحكم فيها مجموعة من العوامل منها " وضوح المضمون العام للنص (أو البنية الكبرى) أو إبهامه مؤثر حقيقي في تقبل القارئ للنص، والأمر يعتمد على القارئ وعلى شخصيته، إذ إنّ هناك من القراء من يكون استيعابه للنصوص ذات الطبيعة المبهمة أقوى من استيعابه للنصوص المباشرة، وعلى العكس هناك من يفضل النصوص المباشرة، والمبدع أو المرسل أعلم بمتلقيه وعلى هذا يشكل نصه" (1) ، فالقارئ يسعى لفهم النصّ، وهذا عن طريق فهم السياق من أجل تفسير وتحليل المعلومات المتلقاة ، ومن خلال هذا تحدث استمرارية النصوص .

كما يشترط في المقبولية أن تكون المعلومات صحيحة كي يتقبلها القارئ ويحللها ويفسرهما على خلاف ما يراه فان دايك (Van Dijk) في تفسيره للمنطوق إذ يقول : " لا يجب أن يكون صحيحا أو مناسباً في مواقف محددة فحسب، لكي يبدو مقبولا ، بل يجب أن يكون مناسباً تماماً يقبل حقيقة على أنه قيد لحدث نال أيضا " (2) ، وهذا الرأي فيه شيء من الغموض والتناقض، وسيؤدي إلى تشتت المعلومات، فالمنطوق إذا لم يكن صحيحاً أو سليماً فكيف سيتقبله المتلقى الذي يسعى جاهدا لتفسير المعلومات وتحليلها لتقبلها أو رفضها، ولكي تتحقق مقبولة النصّ وجب على منتجه أن يراعي مستوى المتلقي وحدود فهمه، وينتج النصّ على وفق إمكانات المتلقي وقدراته، ولعلّ أبا هلال العسكري من أوائل الذين ركزوا على هذا

¹ -حسام أحمد فرج ، نظرية علم النصّ ، ص: 55

² - فان دايك ، علم النصّ ، مدخل متداخل الاختصاصات ، ص: 185

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

الشرط إذ يقول : " وإذا كان موضوع الكلام على الإفهام، فالواجب أن تُقسم طبقات الكلام على طبقات الناس، فيخاطب السوقي بكلام السوق، والبدوي بكلام البدو، ولا يتجاوز به عما يعرفه إلى ما لا يعرفه، فتذهب فائدة الكلام، وتعدم منفعة الخطاب" (1).

كما لا يمكن إهمال الظروف الخارجية المحيطة بالنص، إضافة إلى علاقة المتكلم (المنتج) بالمتلقي، والحدث الذي قيل فيه النص، كل ذلك له دورٌ كبيرٌ في فهم المتلقي وجعله يتقبل النص من خلال ثقافته الواسعة والتي تُسهم في قبول النص؛ لأنّ " قراءة النص ومحاولة فهمه بعث له من جديد، إحياء من عالم الركود والسكون إلى عالم الحياة والحركة، فالقارئ الفاعل هو الذي يعيد بناء ما خلفه النص من تصورات في شبكة منسجمة الخيوط" (2).

1 - أبو هلال بن عبد الله بن سهل العسكري، كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبو

الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1952م، ص: 29

2 - سعيد حسن بحيري، علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات، ص: 35

5. الإعلامية⁽¹⁾ (Informativité) :

يُعرفها دي بوجراند بأنها "العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصّية أو الوقائع في عالم نصي، في مقابلة البدائل الممكنة، فالإعلامية تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعند الاختيار الفعلي لبديل من خارج الاحتمال، ومع ذلك نجد لكل نص إعلامية صغرى على الأقل تقوم وقائعها في مقابل عدم التوقع" ⁽²⁾ ، فالإعلامية هنا مصدر الأخبار الجديدة .

و يُعد الجانب الإعلامي أو الإخباري عنصراً مهماً من عناصر النصّ، ودرجة الإخبار تختلف بين النصوص بحسب نوعية كلّ نصّ، وهذه الدرجة يحددها المنتج والمتلقي على حد سواء، والمؤكد أنّ كلّ نصّ يحمل قدراً من المعلومات الإخبارية، فالنصّ كمّ من المعلومات تهّم القارئ والسّامع، وهذه المعلومات هي التي تُحقق التّواصل بين منتج النصّ ومتلقيه، وتكمن فعاليته في بنية النصّ.

أما المفهوم العام للإعلامية هو ما ذكره حسام أحمد فرج بأن "يقدم النصّ خبراً ما، بل إنّ الرغبة في الإخبار تمثل غرضاً أوليّاً لدى أيّ كاتب" ⁽³⁾، يحمل "دلالات يريد الكاتب

¹ - يطلق عليها سعد مصلوح الإعلام ، وأبو غزالة و خليل وعزة شبل وحسام فرج الإعلامية ، أما أحمد عفيفي ومحمد خطابي فيطلقان عليها الإخبارية والإعلامية ، أما سعيد بحيري فيطلق عليها الإخبار.

² - دي بوجراند ، النصّ والخطاب والإجراء ، ص: 105

³ - حسام فرج ، نظرية علم النصّ ، ص: 66

الفصل الأول **لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم**

المبدع إيصالها للمتلقّي عن طريق النصّ اللّغوي، إذ لو جاء النصّ فارغ المحتوى من الدّلالة، فليس نصّاً، ولا علاقة لنحو النصّ به⁽¹⁾. أمّا المفهوم الخاص فقد عدها دي بوجراند من المعايير التي أقرّها كمصطلح هامّ، صيغ لكي يثبت فعاليته في بنية النصّ " لا من حيث كونه يدلّ على المعلومات التي تشكّل محتوى الاتّصال، بل من حيث أنه يدلّ بالأحرى على ناحية الجدة أو التّنوّع الذي توصف به المعلومات في بعض المواقف"⁽²⁾، التي تزداد بها الكفاءة الإعلاميّة، "بنسبية تختلف باختلاف المتلقّي، وعمليات استقباله للنصّ"⁽³⁾ ، هذا المتلقّي كفيّل بأن يتوقع كمّاً من المعلومات والوقائع النصّية الواردة في نص ما ، وهذا " التوقع الذي تحظى به وقائع النصّ المعروض في مقابل عدم التّوقع أو المعلوم في مقابل المجهول"⁽⁴⁾، أو مدى توقّع عناصر النصّ المقدّمة، أو عدم توقّعها أو معرفتها أو عدم معرفتها /غموضها. ففي الواقع أنّ كل نص هو إخباري على نحو ما، إذ إنّّه ينقل على الأقل معلومة صغرى. غير أنّ مقدار الإبلاغيّة هو ما يوجه اهتمام السامع "⁽⁵⁾ ، وتتنحصر غالبا في كل ما هو مشوّق لدى القارئ.

¹ - أحمد عفيفي، نحو النصّ، اتّجاه جديد في الدّرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، ط1، القاهرة، 2001 ، ص:86.

² - روبرت دي بوجراند، النصّ والخطاب والإجراء ، ص:249.

³ - عزة شبل محمد، علم لغة النصّ ، ص:68.

⁴ - المرجع نفسه ، ص:68

⁵ - فولفجانج هاينه مان و ديتير فيهيغر ، مدخل إلى علم لغة النصّ ، ترجمة سعيد حسن بحيري ، مكتبة زهراء الشرق

ط1، القاهرة، 2004، ص: 81

- القسم الثالث : ما يتصل بالسياق المادي والثقافي (الخارجي):

6 . المقامية (Situationalité) :

يتعلّق هذا العنصر بالسياق اللّغوي والاجتماعي للنّص، وقد يكون الموقف الذي يحمله النّص مباشراً يمكن إدراكه بسهولة أو غير مباشر ويمكن استنتاجه ويفترض هذا العنصر وجود مرسل ومرسل إليه.

وللمقامية جذور في تراثنا العربي كقولهم " لكلّ مقام مقال " وقول البلاغيين: " مطابقة الكلام لمقتضى الحال " ، وقد تفتّنوا إلى أنّ " اللّغة ظاهرة اجتماعية، وأنّها شديدة الارتباط بثقافة الشعب الذي يتكلمها، وأنّ هذه الثّقافة في جملتها يمكن تحليلها بواسطة حصر أنواع المواقف الاجتماعية المختلفة التي يسمون كلا منها "مقالاً" فمقام الفخر غير مقام المدح وهما يختلفان عن مقام الدعاء أو الاستعطاف أو التّمني أو الهجاء" (1).

وبذلك نجد أنّ العرب قد سبقوا الغرب في " تحديد معنى المقام والمقال ومراعاة مقتضى الحال، باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى " (2) ، كما أنّهم أولوا الاهتمام لهذا المعنى مراعاة لأحوال المخاطبين إضافة إلى الكشف عن نوايا المتكلمين .

فهناك تقاربٌ في وجهات نظر البلاغيين العرب واللسانيين الغربيين الذين يولون الاهتمام بالخطاب وبين سياقه الخارجي من أجل الوصول إلى المعنى المراد ، بينما

¹ - تمام حسان ، اللّغة العربية معناها ومبناها ، دار الثّقافة ، الدار البيضاء المغرب، 1994، ص:337

² - المرجع نفسه .

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

البلاغيون العرب يركّزون على المقال فإن طابق المقام كان فصيحاً بليغاً، وهذا هو الغرض من دراستهم أي الوصول إلى المعنى المراد، وهذا المعنى هو وظيفة السياق عند اللسانيين الغربيين كـ فيرث (Firth) وغيره .

ومفهوم المقامية جزء من مفهوم السياق ⁽¹⁾ في الدراسات اللغوية الحديثة، فالسياق يدل على معنيين يمكن تحديدهما من خلال السياق اللغوي **Linguistic-Context** ، والسياق الاجتماعي **Socail Context**، وعليه فالمقامية " تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطاً بموقف سائد يمكن استرجاعه، ويأتي النص في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف، وأن يغيّره " ⁽²⁾ .

كما أنّ المقامية تتعلق بمناسبة النص للموقف، ويعد هذا المعيار أساسياً في تحقيق نصية النص، فـ "معنى النص لا يتحدد إلا من خلال استخدامه في موقف ما (أي المحيط الثقافي والاجتماعي والحضاري، بالإضافة إلى المحيط اللغوي للعلامات الذي يتحدد في السياق) ، فقد أدّى توسيع دائرة المكون البراجماتي في عملية التحليل النصي إلى التركيز على الظروف والأحوال والملابسات التي تصاحب الحدث اللغوي وتقدير دورها في تشكيل البنية الدلالية للنص " ⁽³⁾ ، فـ دي بوجراند يركّز في معيار المقامية على العوامل النفسية

1 - يرى تمام حسان أن المقام يختلف عن السياق في أمور كثيرة .

2 - دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ص: 104.

3 - سعيد بحيري ، اتجاهات لغوية معاصرة، ص: 179.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

والاجتماعية التي لها دورٌ كبيرٌ في النصوص وتأثيراتها، ولا يمكن إغفالها دورها في تحليل النصّ إذ يقول : " ينبغي للنصّ أن يتصل بموقف يكون فيه تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات والتوقعات والمعارف وهذه البيئة الشائعة تسمى سياق الموقف " (1).

والمقامية عند كثير من اللغويين من أهم العناصر التي تقوم عليها النصية، فدراسة النصّ " لن تكون كافية بالوقوف فقط عند بنيته النحوية أو الدلالية الداخلية، بل لابدّ من دراسته على مستوى الخطاب، وهذا يعني الاهتمام ببنية السياق والعلاقات بينها وبين النصّ " (2) ، فالمقامية ارتباط وثيق بين مُنشئ النصّ والنصّ والمتلقي، من خلال عملية التواصل القائمة بين منتج النصّ (المُتكلّم) والسامع (المُتلقي) ، هذه العملية تبين العلاقات النصية بين المنتج، والمتلقي وظروف الإنتاج، فمنتج النصّ يظهر دوره في قول الجرجاني: "قد ترى أحدهم يعتبر حال السامع، فإذا رأى المعاني لا تترتب في نفسه إلا بترتب الألفاظ في سمعه ظنّ عند ذلك أنّ المعاني تبع للألفاظ، وأنّ الترتب فيها مكتسب من الألفاظ ومن ترتبها في نطق المتكلم، وهذا ظنّ فاسدٌ ممن يظنّه فإنّ الاعتبار ينبغي أن يكون بحال الواضع للكلام والمؤلف له، والواجب أن ينظر إلى حال المعاني معه لا مع

¹ - دي بوجراند ، النصّ والخطاب والإجراء ، ص: 91.

² - محمد الأخضر الصبيحي ، مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه، ص: 99.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

السامع " (1) ، فهو إذن صاحب الفكرة وهو أيضا من يصنع للنص تماسكه وانسجامه على المستوى الدلالي.

إذن فالمقام يضمّ كلاً من المتكلم والمتلقي وظروف الإنتاج والعلاقات الاجتماعية عن طريق التواصل الجماعي، من خلال هذا أسس جاكبسون نظرية الاتصال أو التواصل اللغوي، فالنموذج التواصلّي عند جاكبسون إذن؛ مبنيٌّ على أساس نظام التواصل القائم على المرسل المنجز للكلام، والمرسل إليه مستقبل الرسالة، والرسالة ذاتها تحتاج إلى مرجع، وقناة اتصال، و" رامزة مشتركة كلياً أو جزئياً بين المرسل والمرسل إليه تسمح بإقامة التواصل والحفاظ عليه" (2)، كلّ هذا يبيّن أثر الفرد خاصة المتكلم ووظيفته عبر سلوك لغوي، ينتقي من خلاله ما يربطه بالموقف، ويكون هذا المنتقى مؤثراً في المتلقي قادراً على إيقاظ وعي المتلقي من خلال السياق الذي يربط النصّ ليس على مستوى الشكل فحسب، بل على مستوى المضمون أيضاً، هذا الأخير تظهر أهميته جلياً في تحليل الخطاب، إذ " هو سلسلة الأفكار التي تجسد نصاً ما، وبالتحديد فإنّ السياق هو مجموع النصّ الذي يحيط بالجملة التي يراد فهمها، وعليها يتوقف الفهم السليم لها، وأهو المحيط اللساني الذي أنتجت فيه

¹ - الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 321

² - ينظر: ياكبسون، رومان - قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومازن حنون، دار توبقال، ط1، الدار البيضاء،

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

العبرة ،ولا يشترط في تلك العناصر الحافة بالعبرة أن تكون قريبة،بل يمكنها أن تكون بعيدة في متن الخطاب " (1).

فالسّياق " يُفسر الكثير من العمليات المصاحبة لأداء اللّغة في وظيفتها التّواصلية والإبلاغية، لدى كلّ من مُنتج الكلام والمتلقي، وأنّه ركن أساس في فهم الرسالة اللّغوية، ويأتي السّياق في نوعين: السّياق اللّغوي والسّياق الحالي " (2)، فالأوّل مُتعلق بالكلمة وعلاقتها مع الكلمات السّابقة أو اللاحقة،فالكلمة تكتسب معناها في الجملة،وقد تأتي في أخرى فيكون معناها مخالفا للمعنى الأوّل، وهنا تكتسب الكلمة من خلال السّياق توجيهها دلاليا يتناسب مع توظيفها في الجملة،أما الثّاني فيُسمى بسياق الموقف أو سياق الحال ،وهو سياق غير لغوي، والمقصود منه هو السّياق الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة،وهذا مرتبط بقرائن تُحدد قصد المتكلم حسب مقتضى الحال،ويتعلق بعناصر متعدّدة تتصل بالمخاطب والمخاطب وما يحيط بالخطاب.

وهذا ما يؤكده تمام حسان إذ يقول " وهكذا تمتد قرينة السّياق على مساحة واسعة من الركائز،تبدأ باللّغة من حيث مبانيها الصّرفية وعلاقتها النّحوية ومفرداتها المعجمية، وتشمل الدلالات بأنواعها من عرفية الى عقلية الى طبيعية كما تشتمل على المقام بما فيه من عناصر حسية ونفسية واجتماعية كالعادات والتقاليد ومآثرات التراث،وكذلك العناصر

¹ - محمد إقبال عروي، دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية،روافد، ط1، الكويت، 2007، ص: 25.

² - خلود العموش، الخطاب القرآني ، ص: 26.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

الجغرافية والتاريخية ، مما يجعل قرينة السياق كبرى القرائن بحق⁽¹⁾ .

ويضيف قائلاً : " فالمبنى الواحد متعدّد المعنى، ومحتمل كلّ معنى مما نسب إليه

وهو خارج السياق، أما إذا تحقق المبنى بعلامة في السياق، فإنّ العلامة لاتنفيد إلا معنى واحدا

تحدده القرائن اللفظية والمعنوية والحالية، وهذا التعدّد والاحتمال في المعنى الوظيفي يقف

بإزائه تعدّد واحتمال في المعنى المعجمي أيضا " (2)

فالنصّ مهما كان نوعه، لا يمكن فهمه والوصول إلى معانيه إلا عن طريق السيّاق

الذي يُعدّ ضروريا في عملية التخاطب، فمن خلاله يمكن تحديد العلاقة الموجودة بين السلوك

الاجتماعي والكلامي ومتى تم الاستغناء عنه فإنّ عملية التّواصل ستكون معقدة.

1 - تمام حسان ، البيان في روائع القراءان، عالم الكتب، ط2، القاهرة، 2000، ج:2، ص: 221-222

2 - تمام حسان ، اللّغة العربية معناها ومبناها ، ص:165

5. التناص⁽¹⁾ (Intertextualité) :

يرى كل من "دي بوجراند ودريسليز" أن عنصر التناص هو أهم العناصر المحققة للنصانية ، فالنصوص في رأيهما، تكتب في إطار خبرة سابقة، فهي ليست إعادات لبعضها، فالنصوص السابقة تُشكّل خبرة لتكوين النصوص اللاحقة والكشف عنها، وتؤسس النصوص اللاحقة — هي بدورها — لنصوص أخرى تأتي بعدها.

ويعرف جيرار جينيت (Gérard Genette) التناص بأنه "علاقة حضور مشترك بين نصين أو عدد من النصوص بطريقة استحضارية وهي في أغلب الأحيان الحضور الفعلي لنص في نص آخر"⁽²⁾.

والتناص بتعريف فيليب سوارس (Philip Soares) : " كل نص يقع في مفترق طرق نصوص عدة، فيكون في آن واحد إعادة قراءة لها واعتقاداً وتكثيفاً ونقلًا وتعميقاً، وبهذا يصبح النص بتعبير " بارت (Barthes) جيولوجيا كتابات تعتمد على تحويل النصوص

¹ - هناك اختلاف في تعريف المصطلح من قبل اللسانيين العرب ، فالبعض يترجمه ويعربه تحت اسم التناص ، بينما يترجمه البعض الآخر بمصطلح التناصية ، وفريق آخر إلى النصوصية ، ومنهم من يطلق عليه اسما مغايرا كتداخل النصوص، غير أن المصطلح الأكثر شيوعا وانتشار بين اللسانيين هو التناص ، وقد أطلق عليه باختين مصطلح الحوارية .

² - محمد خير البقاعي، دراسات في النص والتناصية ، مركز الأتماء الحضاري ، ط1 ، حلب ، 1998 ، ص:125

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

السابقة وتمثيلها في نص مركزي يجمع بين الحاضر والغائب في نسيج متناغم مفتوح قادر على الإفضاء بأسراره النصّية لكلّ قراءة فعّالة تُدخله في شبكة أعمّ من النصوص " (1).

لم يظهر هذا المصطلح عند العرب بمعناه، لكن هناك تلميحات نجدها خاصة عند **حازم القرطاجني** عندما أشار إلى أنّ الشاعر إذا ما أورد كلاماً لغيره أو بعض الكلام أن يورده بشيء من التغيّر فيبني تلك المعاني المتقدمة والمعاني المقاربة لزمان وجود الشعراء، أو يورد معنى في عبارة أخرى أو يحيل بالمعهود على المأثور " (2).

وكان أول ما ظهر هذا المصطلح عند **الناقدة كريستيفا (Julia Kristeva)**، التي استنبطته من باختين في دراسته لدستويفسكي (3)، فقد تم استعمال هذا المصطلح لأول مرة من طرفها في محاضرتها (الكلمة : الحوار والرواية) ، ثم نُشر كمقالة ، بعدها تم طبعه في كتابها الموسوم بـ "Semiotique" ، غير أنّ **الناقدة كريستيفا** لا تنكر جهود دي سوسير في هذا المجال .

¹ - مصطفى السعدني، التناص الشعري (قراءة أخرى لقضية السرقات)، توزيع منشأة المعارف، الاسكندرية، 1991، ص:8.

2 - ينظر : حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص:189.

3 - نور الهدى لوشن ، التناص بين التراث والمعاصرة، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، جامعة الشارقة ، صفر 1424هـ، ج15 : ع26 ، ص:1020 .

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

و التّناص في حقيقته " هو مجموعة من آليات الإنتاج الكتابي لنص ما، تحصل بصورة واعية أو لا واعية بتفاعله مع نصوص سابقة عليه أو متزامنة معه" (1)، فمن خلاله تظهر قوة الشاعر وقدرته على محاكاة غيره، إضافة إلى تشرب الشاعر من الثقافات السابقة، فعند قراءتنا لهذه النصوص، فإن فهمها يتوقف على فهم النصوص السابقة.

وليس التّناص كما يعتقد البعض بأنه سرقة للمعاني أو الألفاظ فحسب، فتشابه النصوص أو تقاطعها لا يعني أن هذا من السرقات الأدبية، وفي هذا يقول بارت " التّناص ليس دائما سرقة ، بل قراءة جديدة ، أو كتابة ثانية ليس لها نفس المعنى الأول، إذ إنّ التّناص يظهر في عالم مليء بالنصوص، فالتّناص يتعلق بالصّلات التي تربط نصا بآخر، وبالعلاقات أو التفاعلات بين النصوص مباشرة أو ضمنا بقصد أو بغير قصد، ويعرفه بعضهم بأنّه فسيفساء من نصوص أخرى أدمجت في النصّ بتقنيات مختلفة " (2) .

إذ يرى كثير من اللسانيين أنّ من السمات الملازمة للنصوص بمختلف أنواعها ما يسمى بالتّناص، والمقصود بذلك " تداخل وتقاطع النصوص في أشكالها ومضامينها . وهم يجزمون بأنّه

1 - نور الهدى لوشن ، التناص بين التراث والمعاصرة ، ص: 1022.

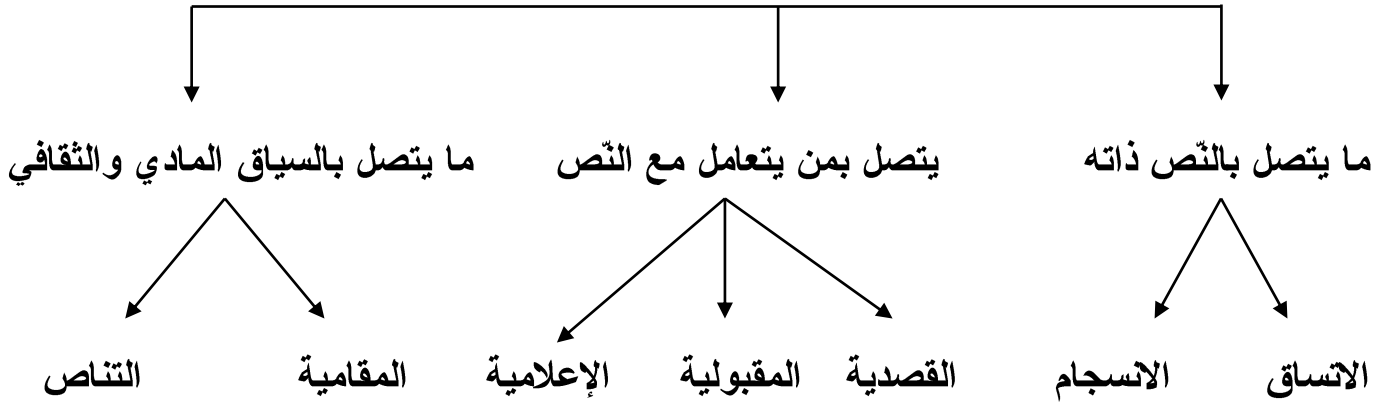
2 - صالح مفقودة، نصوص و أسئلة، دراسات في الأدب الجزائري، اتحاد الكتاب الجزائريين، ط1، الجزائر، 2002،

الفصل الأول **لِسانِيَّات النّصّ نشأةٌ ومفاهيمٌ**

لا يوجد نص يخلو من حضور أجزاء أو مقاطع من نصوص أخرى وأبرز أشكال هذا الحضور الاقتباسات والأقوال التي عادة ما يستشهد بها الكاتب⁽¹⁾

لذلك يعدّ التّناص معياراً أساسياً في نصية النّص ،ويُساعد على فهم النّصوص وتفسيرها،ومن هنا ظهرت أهمية معرفة المجال التناصي، حيث إنّ " معرفة المجال التناصي الفاعل في تكوين عملٍ ما لا تقلّ أهمية بالنسبة لفهمه عن معرفة اللّغة التي كُتِب بها، ذلك أنّ المجال التناصي لأيّ نص يُزوّد القارئ بمجموعة من المعارف الضرورية لفهم النّص أو بالأجرومية الخاصة التي تُمكنه من إدراك مختلف طموحات النّص، وكذلك شفراته المترابطة والمتداخلة معاً"⁽²⁾.

معايير النّصية



¹ -محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النّص، ص: 100

2 - جابر عصفور، المرايا المتجاوزة، دراسة في نقد طه حسين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص: 19.

الفصل الأول = لسانيات النصّ نشأةً ومفاهيم

هذه المعايير التي حددها كل من دي بوجراند وديسلر هي التي تكسب النصّ صفته النصّية، ومن خلالها يمكن لنا أن نفرّق بين ما هو نص وبين اللا نصّ، والجدير بالذكر أنّه لا يجب توافر هذه " المعايير السبعة مجتمعة كي يحقق النصّ نصّيته، بل يمكن أن تتشكل النصوص بأقل قدر منها "(1).

وفي هذا الصدد تقول عزة شبل: " أنّ التركيز في العصر الحالي لم يعد - كما كان سابقاً - على الجملة فقط باعتبارها المكون الرئيسي، إنّما أصبح التركيز على النصّ هو محور الاهتمام في بحث تحليل النصّ، وسمات النصّية التي تفرّق النصّ عن مجموعة من الجمل المتفرقة التي لا تشكل نصاً "(2).

ولعلّ أهمّ هذه المعايير التي يُمكن لها أن تُحقّق النصّية الاتّساق والانسجام لأنّهما من أكثر المعايير النصّية وضوحاً؛ فهما اللذان يرتبطان بظاهر النصّ وبباطنه، كما أنّهما "بينان كيفية تآلف العناصر المكونة للنصّ وإفادتها، غير أنّهما يعجزان عن تزويدنا بحدود فصل مطلقة تميّز بين النصوص وغير النصوص في الاتّصال الواقعي"(3). وعملية إنتاج النصّ تبنى على مجموعة من العناصر لا غنى عنها في هذه العملية التي تسهم في إثراء عملية التّواصل، ومن بين هذه العناصر: "توافر القصدية من قبل المرسل، والمقبولية من قبل المتلقي،

1 - سعيد بحيري، علم لغة النصّ، المفاهيم والاتجاهات، ص: 146.

2 - عزة شبل، علم لغة النصّ، ص: 77.

3- إلهام أبو غزالة، علي خليل أحمد، مدخل إلى علم لغة النصّ، ص: 152 .

الفصل الأول **لسانيات النص نشأة ومفاهيم**

وبذلك تعدّ المقصدية والمقبولية من المعايير التي تتحقّق بها صفة النصّية⁽¹⁾ ، كما أنّ هناك من جعلها أربعة معايير لتُشكل ما يُسمى بالاكتمال النصّي: الرّبط والتّماسك والقصدية والموقفية⁽²⁾، لأنّ التّناص له علاقة بالجانب الأسلوبي، أما المقامية والإعلامية فلهما علاقة بالبلاغة.

¹ - عزة شبل محمد، علم لغة النصّ ، ص: 28 .

² - سعيد بحيري، علم لغة النصّ، المفاهيم والاتجاهات، ص: 146.

الفصل الثاني

آليات الانسجام
النصية والتداولية

1 ـ الانسجام (Cohérence) :

1-1- مفهوم الانسجام :

لم يرد مصطلح الانسجام بالمعنى اللساني الحديث في الدراسات العربية القديمة، غير أنّه ورد بمعان أخر، فهو يتردد بكثرة في المؤلفات النقدية والبلاغية القديمة، ونعني بالانسجام الطريقة التي يتم بها ربط الأفكار داخل النص، ويظهر هنا الربط المنطقي للأفكار التي تعمل على تنظيم الأحداث والأعمال داخل بنية الخطاب، بمعنى آخر ترابط التراكيب على مستوى البنية العميقة.

و البحث في كيفية تماسك النص " لا يقتصر فقط على دراسة وسائل الربط اللفظي بل يتعداه إلى دراسة وسائل أخرى للتماسك، تتجاوز الوسائل الصوتية، والمعجمية، والنحوية إلى مستويات أعلى من التحليل كالمستوى الدلالي، والبرجماتي أو ما يطلق عليه " دي بوجراند " و"دريسلر" مصطلح (Cohérence) وهو أحد المعايير السبعة للنصية " (1) .

¹ - عزّة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص: 481.

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

فالانسجام النصي أحد أهم المعايير التي جاء بها دي بوجراند وتحقق استمرارية النصوص، فهو يهتم ببيان الترابط المفهومي⁽¹⁾ في النص، أي إيضاح العلاقات الدلالية التي تربط معاني الأقوال، وتكمن أهمية هذا المعيار من حيث بناء النص بناءً محكمًا متماسكًا مترابطًا .

1-1-1-الانسجام لغة:

ورد الانسجام في القواميس العربية بمعانٍ مختلفة، فهو في لسان العرب " من سَجَمَتِ العينُ الدمعَ والسَّحَابَةُ الماءَ، تَسْجِمُهُ سَجْمًا وسُجُومًا وسَجَمَانًا: وهو قطران الدمع وسَيْلَانُهُ، قليلًا كان أو كثيرًا... والعرب تقول: دَمَعُ سَاجِمٍ، ودَمْعٌ مَسْجُومٌ، سَجَمَتُهُ العينُ سَجْمًا...وكذا عين سَجُومٍ وسحاب سَجُومٍ، وانسَجَمَ الماءُ والدَّمْعُ، فهو مُنْسَجِمٌ، إذا انسَجَمَ أي انصب، وسَجَمَتِ السحابة مطرها تَسْجِيمًا وتَسْجَامًا إذا صَبَّتْهُ،... وأَسْجَمَتِ السحابة دَامَ مَطَرُهَا"⁽²⁾.

1- الترابط المفهومي: يقابله الترابط الرصفي عند دي بوجراند والذي " يشير إلى كل نشاط وكل إجراء غايته رصف عناصر اللغة في ترتيب نسقي مناسب، بحيث يمكن للكلام أو الكتابة أو السماع أو القراءة أن تتم في توالي زمني، وتستطيع من وجهة النظر إلى التفاصيل أن تدرك السياقات اللفظية المركبة من العناصر الصغرى الصوتية أو الصرفية التي تتطابق مع ما اشتملت عليه الأنظمة من الوحدات الصوتية أو الصرفية على الترتيب " . ينظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 136.

2- ابن منظور ، لسان العرب، مادة (سجم) : ج12، ص: 280

الفصل الثاني **آليات الانسجام النصية والتداولية**

وفي القاموس المحيط: سجم الدمع سُجُوماً وسَجَاماً، ككتاب، وسَجَمَتِ العين، والسحابة الماء تَسْجِمُهُ وتسْجُمُهُ سَجْماً وسُجُوماً وسَجَمَاناً، قَطَرَ دمعها وسال قليلاً أو كثيراً⁽¹⁾.

وفق هذه المعاني اللغوية لمادة (سجم)، يظهر أنها تدور حول القطران والصَّبّ والسيلان، وهي مفردات تتصل بالتتالي والتتابع والانتظام وعدم الانقطاع في الانحدار، وإذا ما ربطنا هذه المعاني بالكلام نجد الانسجام هو أن يأتي الكلام متحدراً كتحدّر الماء المنسجم⁽²⁾.

1-1-2-الانسجام اصطلاحاً :

ترجم مصطلح الانسجام عند كثير من اللسانيين العرب بمصطلحات كثيرة، وهذا ما يجعلنا نصطدم بإشكالية في توحيد المصطلح في الاستعمال اللساني العربي، إذ أصبح الدّارس للسانيات النصّ في غالب الأحيان، يعجز عن التفريق بينهما، لكثرة استعماله بدلالات مختلفة، إلا أنه في المقابل يكثر استعماله بمصطلح الحبك، وقد تبنى هذا المصطلح سعد مصلوح ومحمد العبد⁽³⁾ وقد أقرّ سبب اختياره لفظ الحبك كونه يتسم بالإفصاح والإبانة

1- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر للتوزيع، بيروت- لبنان، 1999م: 1009-1010.

2- ابن أبي الأصبع المصري، تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تقديم وتحقيق: د. حنفي محمد شرف، مطابع شركة الإعلانات الشرقية القاهرة، 1383هـ - 1963م، ص: 429.

3 - سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري، ص: 154 وص: 287.

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

والتساوق ، كما أنه أقرب شيء إلى المفهوم المراد وأكثر شيوعاً ، كذلك نجد أحمد عفيفي يُترجم هذا المصطلح و يشير به إلى التماسك الدلالي أو المعنوي ⁽¹⁾ ، أما تمام حسان فقد فضل الالتحام ⁽²⁾ ، وترجمه أبو غزالة وحمد خليل بالتقارن ⁽³⁾ ، كما ترجمه فالح العجمي بالتناسق ⁽⁴⁾ ، وأطلق عليه إبراهيم محمود خليل الاقتران ⁽⁵⁾ ، ومنهم من يطلق عليه لفظ التماسك كسعيد بحيري ⁽⁶⁾ ، وأطلق عليه محمد خطابي وصلاح فضل بالانسجام ⁽⁷⁾ ، ولم يُفرق كثير منهم بين مصطلحي الاتساق والانسجام فهو عند بعضهم بمنزلة واحدة ⁽⁸⁾ نظراً للتداخل للتدخل الكبير بينهما، غير أن ما نراه أن الاتساق يتعلّق بأدوات كالأحوال والحذف والاستبدال ... ، بينما الانسجام يتعلّق بمجموعة من الآليات والعلاقات الدلالية تعمل على تحقيق الانسجام بين تلك العناصر .

¹ - صبحي الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ج1، ص: 96 .

² - تمام حسان، النص والخطاب والإجراء ، ص: 103

³ - دي بوجراند و دريسلر، مدخل إلى علم لغة النص ، ص: 11

⁴ - فولفجانج هاينه من وديتر فيهفجر ، مدخل إلى علم اللغة النصي ، ص: 38

⁵ - إبراهيم محمود خليل، في اللسانيات ونحو النص، ص: 221

⁶ - سعيد بحيري ، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، ص: 108

⁷ - ينظر: محمد خطابي ، ص: 5، بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص: 63-264 و 236

⁸ - من بين اللسانيين الذين يجعلون الاتساق والانسجام بمنزلة واحدة محمد مفتاح : ينظر دينامية النص ، تنظير وإنجاز ،

المركز الثقافي العربي، ط1، 1987، ص: 100.

الفصل الثاني **آليات الانسجام النصية والتداولية**

وقد آثرنا استخدام مصطلح الانسجام لشيوعه عند كثير من اللسانيين ،وهو من المصطلحات التي وردت بعدة ترجمات، أشهرها الحبك¹، والتماسك الدلالي والاقتران والتلاحم، يُعرّفه محمد مفتاح بقوله : "العلاقات المعنوية والمنطقية بين الجمل؛ حيث لا تكون هناك روابط ظاهرة بينها" (1) .

ويُعرف دي بوجراند الانسجام بقوله : " العمليات الظاهرة والخفية التي تجعل قارئ خطاب ما قادراً على فهمه وتأويله، وهناك مجموعة من المبادئ والعمليات التي تساهم في تحقيق الانسجام والمضامين أو هو مظهر من مظاهر " مقبولية النص " فهو تماسك النص وانسجامه من حيث نقل المعلومات " (2) ، وهو أيضا "خاصية دلالية للخطاب، تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى " (3) .

والانسجام " جزء أساسي كذلك عند تشكيل الكاتب للنص، فهو ينطلق عند تشكيل النص من موضوع أساسي يتمّ توسعته بطرق شتى اعتماداً على المقصد والحالة، وتساعد في ذلك إجراءات التعبير الموجودة في ثقافته، وبهذا المعنى يمكن أن يُنظر إلى الحبك (الانسجام) باعتباره ترابطاً معرفياً متبادلاً. وإذا كان السبك (الاتساق) ظاهرة مرتبطة بالنص، فالحبك (الانسجام) ظاهرة مرتبطة بالنص والقارئ معاً " (4) .

1 - محمد مفتاح، دينامية النص، تنظير وإنجاز، ص: 151.

²- Beaugrande, Texte and sentence in discourse, p :490

³ - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 244.

⁴- حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، ص: 128.

الفصل الثاني **آليات الانسجام النصية والتداولية**

فالانسجام يهتم برصد وسائل الاستمرار الدلالي في النص، والمقصود بالاستمرارية هنا هو تجاوز الجانب الشكلي، ويكون متصلاً بالمعنى، إذ "هو علاقة معنوية بين عنصر في النصّ وعنصر آخر يكون ضرورياً لتفسير هذا النصّ، هذا العنصر الآخر يوجد في النصّ، غير أنّه لا يمكن تحديد مكانه إلا عن طريق هذه العلاقة التماسيكة" (1).

كما ورد مصطلح الانسجام في المعجم الموسوعي للتداولية بأنه : " يُحيل على خصائص النصّ أو الخطاب التي تضمن قابليته للتأويل. وكي يكون النصّ منسجماً ليس من الضروري أن تُشير خصائصه الشكلية -صراحة - إلى العلاقات بين الأقوال، فهذه العلاقات يمكن الحصول عليها عن طريق الاستدلال إمّا بمقدّمة ضمنية أو بفرضية سياقية و إمّا بخطاطة أعمال منمّطة (سكريبت) أو خطّة أو سيناريو" (2).

يرى محمد خطابي أن الانسجام أعمّ من الاتساق وأعمق؛ "بحيث يتطلب بناء الانسجام من المتلقي صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تتظم النصّ وتولّده" (3). ويُعتبر الانسجام "مفهوماً متعلقاً بالخطاب، وهو أوسع من الاتساق وأشمل منه" (1)، ويكون النصّ منسجماً "عندما يمكن للقارئ أن يتحرك بسهولة من جملة إلى أخرى،

1- أحمد عفيفي، نحو النص، ص:90.

2 - جاك موشلر وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من أساتذة والباحثين من الجامعات التونسية

،دار سيناترا، تونس، 2010، ص:500

3 - محمد خطابي، لسانيات النص، ص:5.

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

ويقرأ النص كوحدة واحدة وليس مجموعة من الجمل المنفصلة، فالانسجام هو الكيفية التي تمكن القارئ من إدراك تدفق المعنى الناتج عن تنظيم النص ومعها يصبح النص وحدة اتصالية متجانسة⁽²⁾.

وقد تناولت خولة طالب الإبراهيمي في كتابها (مبادئ في اللسانيات) ، أهم القواعد المبدئية التي " اقترحها اللغوي الفرنسي جان ميشال آدم لإرساء أسس نظرية نصية متكاملة... ،تحدد هذه المبادئ إطار التحليل النصي اللساني التداولي وهي مبنية على أربع فرضيات أساسية أهمها :

الطبيعة النصية لممارستنا الكلامية أو الخطابية .

النصية شروطها وقوامها الترابط والاتساق والانسجام.

ويتفرّع عنها فرضيات فرعية أخرى:

السلوك الإنساني في المجال الرمزي وخاصة منه الرمزي اللغوي يطبع بطابع النصية،يستنتج من ذلك-آدم-أنّ الجملة ليست هي الوحدة القاعدية للتبادلات الكلامية والخطابية بل النص هو وحدة التبليغ والتبادل،ويكتسب النص انسجامه وحصافته من خلال

¹ - أوزوالد ديكرو وجان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي

العربي، ط2، المغرب، 2007، ص:541

²- عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص : 184 .

الفصل الثاني = آليات الانسجام النصية والتداولية

هذا التبادل والتفاعل، ينبغي إذاً أن نتجاوز إطار الجملة لنهتّم بأنواع النسيج النصي التي يُحدثها المتكلمون أثناء ممارستهم الكلامية⁽¹⁾.

فالانسجام أكثر المعايير النصيّة ظهوراً ووضوحاً في النصوص؛ إذ يرتبط بظاهر النصّ وبباطنه، ويقوم الانسجام على رصد جملة من العلاقات التي تُساهم في استمرارية النص، ويكون متّصلاً بالمعنى، إذ "هو علاقة معنوية بين عنصر في النصّ وعنصر آخر يكون ضرورياً لتفسير هذا النصّ، هذا العنصر الآخر يوجد في النصّ، غير أنّه لا يمكن تحديد مكانه إلا عن طريق هذه العلاقة التماسيكية"⁽²⁾.

ونحكم على انسجام النص "عندما يُمكن للقارئ أن يتحرك بسهولة من جملة إلى أخرى، ويقرأ النصّ كوحدة واحدة وليس مجموعة من الجمل المنفصلة، فالانسجام هو الكيفية التي تُمكن القارئ من إدراك تدفق المعنى الناتج عن تنظيم النصّ ومعها يصبح النصّ وحدة اتّصالية متجانسة"⁽³⁾، فالانسجام إذن "هو الكيفية التي تُمكن القارئ من إدراك تدفق المعنى الناتج عن تنظيم النصّ، ومعها يصبح النصّ وحدة اتّصالية متجانسة"⁽⁴⁾.

¹ - خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبّة للنشر، ط2، 2002، ص: 168 بتصرف يسير

² - أحمد عفيفي، نحو النصّ، اتّجاه جديد في الدرس النحوي، ص90.

³ - عزة شبل محمد، علم لغة النصّ النظرية والتطبيق، ص184.

⁴ - المرجع نفسه، ص184.

الفصل الثاني = آليات الانسجام النصية والتداولية

ورد عن ابن أبي الأصبع المصري في حديثه عن الانسجام وهو " أن يأتي الكلام متحدراً كتحد الماء المنسجم، بسهولة سبك وعذوبة ألفاظ، وسلامة تأليف، حتى يكون للجملة من المنثور، والبيت من الموزون وقع في النفوس ، وتأثير في القلوب ما ليس لغيره" (1).

وقد تناول شارول مسألة الانسجام على مستوى فهم الخطاب، و" يؤسس تصوره من منطلق أن الخطاب ليس مجرد تتابع للأقوال يوضع الواحد منها بجانب الآخر، بل إنّ فحصاً بسيطاً لنص ما يسمح باكتشاف عناصر تترابط مع عناصر أخرى حتى تُحقق الاتساق. وتصبح مهمة التحليل اللساني حينئذٍ أن يصف هذه العناصر ويُحدد طبيعة علاقاتها، وكيفية تفاعلها حين يتعلّق الأمر بفهم الخطاب" (2).

يتبين لنا من خلال ما سبق أنّ عناصر الخطاب المنسجم ترتبط بعضها ببعض عن طريق علاقات دلالية تتّصف بالرصف والتتابع المنطقي، فالانسجام يضمن للنص فاعليته واستمراريته ويجعله كلاً موحّداً، فالنص ليس تتابعاً للجمال فحسب، بل هناك عوامل عديدة تتحكم في انسجامه وترابطه.

¹ - جميل عبد المجيد ، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، ص: 78.

² - مفتاح بن عروس ، الاتساق والانسجام في القرآن ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه تخصص لسانيات النص

، إشراف د. الحواس مسعودي ود. زوبير سعدي ، السنة الجامعية 2007/2008 ، ص38.

1-2-الانسجام في الدراسات العربية :

ورد الانسجام في الدراسات العربية البلاغية بمصطلحات كثيرة، ويطلق عليه اللغويون الترابط والتلاحم والحبك وغير ذلك مما له علاقة بالنص، وبيّنوا كيف تترابط النصوص وتتألف مكونة نصاً، غير أنهم لم يكونوا على قدر من الضبط لنظرية لغوية تعنى بالنصوص، إضافة إلى افتقارهم للمنهج العلمي، فكانت آراؤهم مبثوثة هنا وهناك، وركزت دراساتهم على المستوى المعجمي والبحث عن معنى اللفظة ومرادفاتها، وكانت في الغالب صونا للسان من الوقوع في الخطأ، وحفاظاً على النطق العربي نطقاً سليماً، وحماية للغة من الضياع والاندثار، لكن حاجتهم لتفسير النصوص ألزهم البحث عن طرق و كيفيات تساعد على ذلك .

رغم أنّ الدراسات البلاغية العربية القديمة لم تتجاوز المستوى التركيبي "إلى النطاق الدلالي لفقرة الكاملة أو المتتالية النصية، فضلاً عن أنه لم يشمل نصاً تاماً في البلاغة القديمة،" (1) ، بينما يقوم تحليل النصوص على بناء فقرة منه أو يشمل النصّ كلّ، ودراساتهم لم ترق إلى معالجة النصّ معالجةً شاملةً بوصفه وحدةً كليةً، إلا أنّ هناك بعض الجهود العربية لتناول مثل هذه المباحث.

¹ - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص:244.

الفصل الثاني **آليات الانسجام النصية والتداولية**

بعد احتكاك العرب بغيرهم وتمازج الثقافات مع الفرس وغيرهم من الأمم، وقُدِّم العقل على النقل بظهور المنطق، كما ظهر ما يسمى بالفرق الكلامية، كان لزاما إيجاد وسيلة للرد على تلك الشبهات، والبحث في إعجاز القراءان وتماسك بنائه وانسجام معانيه، كل هذا كان بغية تفسير النصوص وإبعاد الشبهات عنها درءاً للطعن في القراءان الكريم، ولعلنا نجد أهم من تناول مفهوم الانسجام بالدراسة والشرح والتحليل :

1-2-1- الجاحظ (159 هـ - 255 هـ) :

تحدّث الجاحظ عن أهمية الانسجام من حيث بناء القصيدة بناءً محكمًا و متماسكًا، ولعلّ الجاحظ من أوائل من تحدّثوا في هذا المجال، ويؤكد الجاحظ على القيمة الجمالية للانسجام فيقول " أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا واحدا وسبك سبكا واحدا . فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان ... وكذلك حروف الكلام، وأجزاء البيت من الشعر تراها متفقة ملساء، ولينة المعاطف، سهلة خفيفة على اللسان حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد " (1) .

فالانسجام عند الجاحظ يقوم على ربط أجزاء القصيدة بعضها ببعض، فتكون الألفاظ ملازمة للمعاني منصهرة في بوتقة واحدة، فتكون القصيدة كالبيت، والبيت ككلمة واحدة ،

1 - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي، ط7، القاهرة ،

الفصل الثاني **آليات الانسجام النصية والتداولية**

والكلمة كالحرف، فارتباطها ببعضها البعض جعل منها كلاً يصعب الفصل بين أجزائه، وهذا ما سماه النّصانيون بالوحدة الكلية المترابطة الأجزاء.

ثم يواصل حديثه فيقول : "ولكنّ القصيدة إذا كانت كلّها أمثالا لم تسر ، ولم تجر مجرى النوادر، ومتى لم يخرج السّامع من شيء إلى شيء لم يكن لذلك عنده موقع" (1).

ويعني **الجاحظ** بالأمثال المعاني المكرورة ، وقد عاب على كثير من الشعراء هذا الصنيع، لأنّه يحدّ من القيمة الجمالية للنص، ويفقد التلاحم بين أجزائه، فإذا كان عكس ذلك فإنّه يجعل أجزاء الكلام بعضها متما لبعض فيكون النّص محكما متلاحم الأجزاء وقد أدرك الجاحظ أهمية هذا من حيث الترابط والتآلف لكلّ عنصر من عناصر النّص .

1-2-2- ابن طباطبا (ت. 322 هـ):

آراء ابن طباطبا من أهم الآراء النقدية التي عبّرت عن فكرة الوحدة الفنية والتحام بنية النّص في الشّعْر والنثر ، وكان في ذلك متأثرا بأفكار **الجاحظ** وآرائه ومُرددا لبعض ألفاظه وعباراته، يقول : " وأحسّنُ الشّعْر ما يُنتظم القولُ فيه انتظاما يتسق به أوله مع آخره، على ما ينسقه قائله، فإنّ قدّم بيت على بيت دخله الخلل، كما يدخل الرسائل والخطب، نقص تأليفها، فإنّ الشّعْر إذا أُسس تأسيس فصول الرسائل القائمة بأنفسها، وكلمات الحكمة المستقلة بذاتها، والأمثلة السائرة المرسومة باختصارها، لم يحسن نظمها، بل يجب أن تكون

1 - الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج1، ص:206.

الفصل الثاني آليات الانسجام النصية والتداولية

القصيدة كلها ككلمة واحدة، في اشتباه أولها بآخرها، نسجاً وفصاحةً وجزالةً ودقةً معان وصواب تأليف، ويكون خروج الشاعر من كل معنى يُصنّفه إلى غيره من المعاني خروجاً لطيفاً ... حتّى تخرج القصيدة كأنّها مفرغة إفراغا ... لا تناقض في معانيها ولا في مبانيها، ولا تُكلف في نسجها" (1).

إنّ المُطلّع لمؤلف عيار الشعر يجد بأنّ ابن طباطبا قد تناول مطولا وحدة القصيدة ويجب أن يحكمها بناءً منطقيّ محكمً ، ويقول في هذا الباب : " وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره وتنسيق أبياته، ويقف على حسن تجاوزه أو قبّحه، فيلائم بينها، لتتنظم له معانيها ويتّصل كلامه فيها، ولا يجعل بين ما قد ابتدئ وصفه وبين تمامه فصلا من حشو ليس من جنس ما هو فيه، فينسى السامع المعنى الذي يسوق القول إليه، كما أنّه يحترز من ذلك في كل بيت، فلا يباعد كلمة عن أختها، ولا يحجز بينها وبين تمامها بحشو يشينها، ويتفقّد كلّ مصراع : هل يُشاكل ما قبله ؟ فربّما اتّفق للشاعر بيتان يضع مصراع كلّ واحد منهما في موضع الآخر، فلا يتنبّه على ذلك إلا من دق نظره، ولطف فهمه " (2).

نجد أنّ ابن طباطبا يركّز كثيرا على وصل أجزاء القصيدة بعضها ببعض فهو يُشبهها بالبنيان المتراس والقصور المتينة، وترتبط هذه الأجزاء لتُشكّل كلا متلاحما كي

1- ابن طباطبا، عيار الشعر، تح محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د.ط)، ص: 167.

2 - ابن طباطبا، المرجع نفسه ، ص: 165

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

يستقيم المعنى، ويولي ابن طباطبا اهتماما كبيرا للمتلقى (السامع)، لأنه في نظره لا يفهم معنى القصيدة إلا هو، كما يؤكد على وحدة المعنى الذي يسميه بوحدة النّسج .

ويقول في موضع آخر " إنّ للشّعر فصولا كفصول الرسائل فيحتاج الشاعر إلى أن يصل كلامه، على تصرفه في فنونه، صلة لطيفة فيتخلص من الغزل إلى المديح ومن المديح إلى الشّكوى بالطف تخلّص وأحسن حكاية بلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله " ⁽¹⁾، ولعلّ في قوله هذا إشارة إلى وجوب وصل الكلام بعضه ببعض، وهذا ما يحققه الانسجام بتعالق آخره بأوله وترابط أجزائه .

1-2-3- الجرجاني (400هـ - 471هـ):

لا يمكن إنكار جهود الجرجاني في نظرية النّظم، والتي تناولها في كتابه دلائل الإعجاز، حيث تُعد النظرية أولى بؤادر البحث اللغوي الذي استقى منه اللّغويون الغرب كثيرا من دراساتهم وبحوثهم ومنطلقاتهم الفكرية، وهذا التقاطع والتّشابه ليس وليد الصدفة بل هو نتيجة لجهود كبيرة أطلقها الغربيون لينهلوا من الثقافة العربية بعد احتكاكهم بها .

والنّظم عند الجرجاني هو " أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه "علم النحو"، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيع عنها وتحفظ الرسوم التي

¹ - ابن طباطبا، عيار الشعر، ص: 44.

الفصل الثاني = آليات الانسجام النصية والتداولية

رسمت لك، فلا تخل بشيء منها " (1) ، فالنظم هنا طريقة تركيب الجمل السليمة بواسطتها يُتوصل إلى التعبير الصحيح عن المعاني وتمييز الجيد من غيره، بالاعتماد على كلام العرب وأشعارهم.

ومن خلال معالجته لمفهوم النظم في "دلائل الإعجاز" يبين الجرجاني أن الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم ديني بحث، يعتمد على إثبات جودة النظم في القرآن، ويسميه "المزّية"، وأكد أن جودة النظم يمكن أن تعلو فوق قدرة البشر، إذ يقول "وذلك أنه لا يثبت إعجاز حتى تثبت مزايا تفوق علوم البشر وتقصر قوى نظرهم عنها" (2) .

فقد قعد الجرجاني لنظرية النظم وفرق بين الألفاظ والمعاني، وعن طريق نظرية النظم يمكن لنا فهم النصوص من خلال فهم مبادئ الفصل والوصل والتقديم والتأخير، هذه المبادئ لها دور كبير في انسجام النص، كذلك نجد أن الباقلاني قد تناول الانسجام عند حديثه عن النظم، وما يتعلق به من تلازم الألفاظ للمعاني، فنراه يركز كثيرا على ثنائية اللفظ والمعنى .

¹ - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تع محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1988، ص: 64.

² - الجرجاني، المرجع نفسه ، ص: 192.

1-2-4- حازم القرطاجني (608 هـ - 684 هـ):

لقد تحدث حازم القرطاجني في مؤلفه منهج البلغاء عن أوليات الدرس اللساني العربي خاصة ما يتعلق بالتماسك النصي، أو التناسب بين الأغراض والأوزان وبين حالة الشاعر النفسية وبين ما ينظمه من شعر، كما تحدّث عن أشكال الترابط المعنوي ضمن أجزاء النصّ واستخدام عدة مصطلحات تقترب من مفهوم الانسجام كالتناسب والاقتران الذي يعد مطابقاً للمفهوم الحديث للانسجام .

يقول عنها القرطاجني مُعلقاً على إحدى قصائد المتنبي " فاطرد له الكلام في جميع أحسن اطراد وانتقل في جميع ذلك من الشيء إلى ما يناسبه ، وإلى ما هو منه بسبب ، ويجمعه إياه غرض ، فكان الكلام بذلك مُرتباً أحسن ترتيباً ، ومفصلاً أحسن تفصيلاً وموضوعاً بعضه من بعض أحكم وضع ، فعلى هذا النحو يجب أن تكون المآخذ في استفتاحات الفصول ووضع بعضها من بعض "(1).

ويضيف القرطاجني الحديث عن الترابط الذي يكون بين عناصر النص ومكوناته فيقول : " فأما المتصل العبارة والغرض ، فهو الذي يكون فيه لآخر الفصل بأول الفصل الذي يتلوه علاقةً من جهة الغرض ، وارتباطاً من جهة العبارة "(2)، ففي هذا القول يُبين القرطاجني أهمية الربط بين أجزاء النصّ.

¹ - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص: 290

² - حازم القرطاجني، المرجع نفسه ، ص: 290

الفصل الثاني **آليات الانسجام النصية والتداولية**

كما تناول تماسك القصيدة وتناسب معانيها، إذ يقول " وينبغي أن تكون النقلة من أحد المعنيين إلى الآخر فيما قصد فيه التفریع متناسبة، وأن يكون المعنى الثاني مما يحسن اقترانه بالأوّل ويفيد الكلام حسن موقع من النفس " (1)، والمناسبة هنا نوع من أنواع الترابط سواءً أكان شكلاً أم مضموناً .

وقد أسهم حازم القرطاجني من خلال مؤلفه منهاج البلغاء وسراج الأدباء في إثراء النقد العربي بالمفاهيم اللسانية الحديثة، كحديثه عن فكرة التماسك النصي، أو كما يسميها التناسب بين الأغراض و الأوزان، وبين الإيقاع الشعري والحالة النفسية التي يعبر عنها الشاعر فما سعى إليه القرطاجني يكاد يوصلنا إلى تحديد منهج نقدي دقيق وثيق الصلة بالنص ويسهم في فهم كينونته، خاصة ما يتعلق بالتناص والنظم والتركيب والتماسك والتذوق النصي والوزن والإيقاع، باعتبار أن الوزن والتناسب الصوتي بين أجزاء الكلام يلعب دوراً مهماً في جذب النفوس، والنفوس لا تتجذب إلا للتماسك والمتآلف.

مما سبق ذكره، يتضح لنا أن الانسجام قد وُجد في الدراسات العربية القديمة، حتى وإن اختلفت التسمية فالمضمون واحد، فالتراث اللغوي والبلاغي والنقدي مليء بمثل هذه المفاهيم، التي أرسى دعائمها النحويون والبلاغيون والنقاد العرب في الكشف عن كثير من القضايا اللسانية الحديثة، ولا يمكن الحديث عن المباحث اللسانية الحديثة دون العودة إلى التراث العربي، الذي أكد فيه البلاغيون العرب أن النص يجب أن يكون كلاً موحداً متماسكاً

1 - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص: 54.

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

الأجزاء ،جود السبك ، وحدّدوا بعض القواعد التي تحكم تماسك النصّ، اعتمد عليها النصّانيون الغرب في إنشاء نظريات لسانية ذات أصول عربية ،فالغرب وإن كان لهم سبق إلا أنّهم كانوا يفتقرون للمنهج ، فقد كانت أفكارهم مبنوثة في بطون الكتب النحوية والبلاغية والنقدية،وعليه وجب استثمار تلك الآراء المبنوثة في الكتب لإغناء اللسانيات العربية الحديثة.

1-2-5- الزركشي(745 هـ - 794 هـ):

يقول الزركشي: "قال بعض مشايخنا المحققين: قد وهم من قال: لا يطلب لآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المتفرقة. وفصل الخطاب أنّها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون مرتبة سوره كلّها وآياته بالتوقيف... والذي ينبغي في كلّ آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملّة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقّت له"⁽¹⁾.

ويقول في موضع آخر: "وقال الشيخ أبو الحسن الشهرستاني أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم تكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري وكان غزير العلم في الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية لم جعلت هذه الآية

¹ - الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار

إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، ط1، مصر، 1957م، ج: 1، ص: 37.

إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة انتهى⁽¹⁾.

1-2-6- السيوطي (849 هـ - 911 هـ):

أما السيوطي فيذكر فائدة المناسبة أي مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها وكذا السورة، فيقول قوله: " وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء " (2).

ويضيف في موضع آخر " وقال: الشيخ ولي الدين الملوي: قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرقة وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سورته كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ففي ذلك علم جم وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقى له انتهى " (3).

¹ - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج: 1، ص: 36

² - أبو بكر جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة

للكتاب، ط 1974، 4م، ج: 3، ص: 371 - 372.

³ - السيوطي، المرجع نفسه، ج: 3، ص: 369 - 370.

الفصل الثاني آليات الانسجام النصية والتداولية

وعلاقة المناسبة بالانسجام كونها وسيلة من وسائله، و بها يتحقق الانسجام والتوافق الشكلي والدلالي بين الجمل وأجزاء النص، أمّا عن الهدف من الدراسات اللغوية العربية فهو ضبط اللسان من اللّحن والحفاظ على النطق السليم ومراعاة البلاغة والبحث في فصاحة الألفاظ والكشف عن جودة هذه الألفاظ و كشف عيوبها وصحتها من زيفها وما ذكره السيوطي تناوله اللّغويون في العصر الحديث، وهدفهم من دراساتهم إيجاد آليات تجعل النص متماسكا .

1-2-7- الطباطبائي (1321 هـ - 1402 هـ):

تناول الطباطبائي مصطلحي الاتساق والانسجام عندما تحدث عن مناسبة الآيات لبعضها البعض فيقول : " ويشبه أن تكون السورة نازلة دفعة واحدة، فإنّ آياتها - وهي مئتا آية - ظاهرة الاتساق والانتظام من أولها إلى آخرها متناسبة آياتها مرتبطة أغراضها "(1) .

الطباطبائي ممن تناولوا المصطلحين، فقد فرق بين الاتساق و الانتظام، ويرى بأنّ العلاقات الدلالية بين الآيات هي التي تحكم انسجامها وترابطها، فوحدات النصّ يجب أن تكون مرتبطة ببعضها البعض ومتسلسلة من أولها إلى آخرها كي يكون النص منسجما، هذا الترابط هو الذي يحقق استمرارية النص ويحدث بنية النصّ .

ويقول في موضع آخر متحدثا عن الانسجام " وأما وقوع الآية بين ما تقدمها وما تأخر عنها من الآيات فهي كالمختلطة المعترضة إلا أنّها هنا احتمالا ربما صحّح هذا النحو

¹ - محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط1، 1997، ج3، ص:5

الفصل الثاني ————— آليات الانسجام النصية والتداولية

من التخليل والاعتراض - وهو غير عزيز في القراءان - وهو جواز أن تنتزل عدة من الآيات ذات سياق واحد متصل منسجم تدريجاً في خلال أيام ثم تمس الحاجة إلى نزول آية أو آيات ولما تمت الآيات النازلة على سياق واحد تقع الآية بين الآيات كالمعتضة المتخللة وليست بأجنبية بحسب الحقيقة وإنما هي كالكلام بين الكلام برفع توهم لازم الدفع " (1).

من خلال ما تقدم يظهر لنا بأن الطباطبائي قد تناول مصطلح الانسجام بمفهومه الحديث عند اللسانيين الغربيين .

¹ - الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ، ج:4، ص:368

1-3- الانسجام في الدراسات الغربية:

لو تأملنا الكتب الأجنبية خاصة الإنجليزية منها، لوجدنا أنّ الكثير منها قد تناول الانسجام بالبحث والدراسة والتحليل ضمن تحليل الخطاب، ولعل أهم هذه الكتب:

1- Discourse Analysis for Language Teachers. Michael MacCarthy, 1991

رغم أنّ الفصلين كانا في الحديث عن قضايا التماسك وعلاقته بتحليل الخطاب و القواعد (النحو) ، إلا أنّ الكاتب تحدث عن ترتيب الجمل الذي يُحدث الانسجام ، خاصة في الإنجليزية ، فالعناصر الأساسية المكونة للجملة هي " فعل + فاعل ... " وهذا يحكمه مبدأ التقديم والتأخير الذي يعتبر أهم عنصر في الانسجام، بحيث يمكن إعادة ترتيب الجملة من خلال وضع عناصر مختلفة ، كتقدم الفاعل على الفعل، ففي الفصول التي تناول فيها الحديث عن خطاب تعليم اللغة وعلاقته بالقواعد (النحو) ، أكد الكاتب أنهما مرتبطان ببعضهما البعض ولا يمكن الفصل بين هيكل العبارة وبين وحدات الخطاب، سواء أكان مفرداً أم جملة، كما تحدث عن علاقات الربط ⁽¹⁾، كما تناول التماسك المعجمي ⁽²⁾، والذي يحوي علاقات أهمها التضام والتكرار.

¹ - Michael MacCarthy, Discourse Analysis for Language Teachers, pp: 46

² - Ipid, pp: 65

2- Text and Context Explorations in the Semantics and pragmatics of Discourse (Teun A. Van Dijk)1977

تناول فان دايك في مؤلفه الانسجام في فصل كامل، وتحدث مطولا عن الأبنية الداخلية والخارجية للنصوص، وبحث عن العلاقات التي تحكم النصوص، وقد أشار إلى المفهوم الحقيقي لمعنى الانسجام (**Coherence**) ، ذلك أنّ الانسجام حسب اعتقاده يحتاج لمفهوم دقيق، فهو قاعدة لا يمكن الاستغناء عنها في أي محاولة لبناء أو إنشاء خطاب متكامل، ويتحقق الانسجام عند فان دايك من خلال مبدأ الحوارية والتي في الغالب تجمع فكرة عامة عن محتوى النص الذي نحاول معالجته، كما ركز في حديثه عن الانسجام عن المبادئ الحتمية المحققة للانسجام وتسمى بعمليات التقريب بين النص والمتلقي ، وذكر فان دايك أهم العناصر المحققة للانسجام كـ:

1- **المعرفة الخلفية** والتي تمثل المخزون الفكري والثقافي الذي يجعلنا نفكك ونؤول

المفردات في النص للتوصل إلى مفهومها ودلالاتها وأبعادها الفكرية .

2- **الانتقال** من العام إلى الخاص وذلك لتنظيم أفكار النص وترتيبها مما يمكن من

خلق إطار مانع لانحراف المعنى الصحيح للمعنى المراد والمقترح .

3- **مبدأ السياق** الذي يتشكل من خلال علاقة النص بالقارئ مما يمكنه من تحديد

ظرف القضية وزمانها وكل ما يخصها .

الفصل الثاني **آليات الانسجام النصية والتداولية**

4- مبدأ التأويل المحلي الذي يرتبط بقرائن النص، فمن خلاله يتحقق التعرف

على عناصر تشكيل النص .

كما تحدث فان دايك عن مبدأ التشابه، التغييض وغيرهما من مبادئ الانسجام ،

كلّ هذا يساعد على إنشاء نص متكامل منسجم " (1) .

كما يؤكد فان دايك في ختام الفصل المتعلق بالانسجام ، أنّ انسجام النص لا يتحقق

بالوسائل اللغوية فقط (2) .

3- Cohesion in English; Long man; 1st pub; New York; 1976.

أعد هاليداي ورقية حسن كتابا عن التماسك في الإنجليزية صدر عام 1976

تناولا فيه أنماط التماسك وصوره بصورة مفصلة، فتحدثا في المقدمة عن بعض المفاهيم

مثل النص والنصية، والتماسك، الانسجام وعلاقة التماسك بعلم اللغة، وعلاقته ببناء الخطاب،

ثم تناولا أسس التماسك أو عوامل التماسك، فخصّصا كتابهما للحديث عن وسائل التماسك

التمثلة في الإحالة، والاستبدال والحذف والربط، وختما كتابهما بالحديث عن التماسك

المعجمي.

¹ - Teun A. Van Dijk, Text and Context Explorations in the Semantics and pragmatics of Discourse, pp: 93- 129

² - IPID; p:126-127

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

وفي الفصل الأخير من الكتاب ذكر هاليداي ورقية ملخصاً لأسس التماسك في الإنجليزية مدعوماً بالأدوات المناسبة لكل أساس من هذه الأسس⁽¹⁾.

وتتحقق وحدة النصّ عندهما بوجود علاقات الترابط التي تحققها الأدوات الموجودة داخل النصّ، وإن كانا قد أشارا إلى أنّ هذا المفهوم إنما هو مفهوم دلاليّ - كما ذكرنا آنفاً - يعنى بالعلاقات المعنوية داخل النصّ الربط ، السببية، والعلاقات والإجمال ، و التكرار، والترادف.

كما تناول الباحثان مسألة " جوهرية لا ينبغي إغفالها ، تلك هي اهتمامهما -بموازاة الاتساق- بالخصائص التي تجعل من عينة لغوية نصّاً، إنّ هدفهما إذن هدف مزدوج يرتبط طرفاه أشدّ الارتباط ...حين يبحثان وسائل الاتساق يبحثان في الوقت نفسه ما يميز النصّ مما ليس نصاً " (2) .

4- Discourse and Language Education. Evelyn Hatch, 1992

وقد خصصت الكاتبة فصلاً كاملاً للحديث عن التماسك وعلاقته بالخطاب، كما حددت أدوات التماسك خاصة ما يتعلق بالعلاقات والروابط، شارحة لكل ما جاء به كل من هاليداي ورقية حسن في كتابهما " Cohesion in English " (3) .

¹ - Cohesion in English, pp: 333- 338, look also: Discourse Studies, P: 37: 42

² - محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص: 12

3- Discourse and Language Education. Evelyn Hatch, pp: 209- 234

الفصل الثاني **آليات الانسجام النصية والتداولية**

إذ تعتبر الخطاب نقطة انطلاق لتعلم اللغة بجميع مستلزماتها ، والنتيجة تكون من خلال انسجام فقرات الخطاب، وذلك من خلال الوسائل المستعملة لربط أجزاء الخطاب خاصة بالاعتماد على أهم وسائل الاقتران (الانسجام) التي تشكل النص ليكون مفسرا ومشييرا إلى العلاقات التي تنشئه.

5- G Broun, and George Yule, Discourse Analysis C.U.P London, (1983)

لقد خصّص الكاتبان فصلا كاملا للحديث عن الانسجام ، وقد أبعدا العنوان عن مظاهر الانسجام ولا يعتبرانه يشكل أهمية في انسجام النص⁽¹⁾ ، غير أنّ رأيهما فيه شيء من الإبهام ، كون النص يفهم من عنوانه ، و العنوان هو العتبة الأولى لفهم النصوص ، فهو يثير المتلقي .

وقد ركز الكاتبان في حديثهما عن الانسجام عن أهم مبادئه خاصة ما يتعلق بالسياق⁽²⁾ الذي أولى له الكاتبان جزءا معتبرا في مؤلفهما ، إضافة إلى المعرفة الخلفية كون المتلقي لا يتلقى النصوص وهو خالي الذهن ، بل هناك مرجعيات تثيره ، فيتلقاها بفهم صحيح ويؤولها،ومما أوردها في مبادئ الانسجام منتج النص وترتيب الجمل .

¹ - SEE G Broun, and George Yule, Discourse Analysis ; P:139

²- IPID P: 25 - 35

الفصل الثاني = آليات الانسجام النصية والتداولية

ويرى براون و يول أنّ النصّية لا تتحقّق فقط بوجود الوسائل الظاهرة أو كما يسميها بالروابط الأدواتية (النحوية) ، ولا يكون النصّ نصّا إلا بوجود علاقات معنوية ضمنية، ففهم النصوص بتلقائيّة ليس بالأمر الصعب حسب اعتقادهما، ومن الطبيعي أن تتوالى الجمل لتتشكّل نصّا، وإنّ القارئ سيفهم الجملة الثانية على ضوء الجملة الأولى، فهو سيفترض وجود علاقات معنوية قائمة بين الجمل (1) .

مما سبق يظهر لنا أن الانسجام لا يتحقّق إلا بوجود آليات تختلف من لساني إلى آخر، غير أن براون و يول " يجعلان المتكلم /الكاتب والمستمع /القارئ في قلب عملية التواصل، وهذه حقيقة لا بدّ من وعيها بدقة لأنها المتحكمة في المؤلف ككل، ويستتبع هذا التذكير التنبيه إلى أنّ هذين الباحثين على خلاف كثير من باحثي الانسجام ،لا يعتبران انسجام الخطاب شيئا معطى، شيئا موجودا في الخطاب ينبغي البحث عنه للعثور عليه (على مستجداته) ، وإنما هو في نظرهما شيء يبني، أي ليس هناك نصّ منسجم في ذاته ونص غير منسجم في ذاته باستقلال المتلقي، بل إنّ المتلقي هو الذي يحكم على نص بأنّه منسجم وعلى آخر بأنّه غير منسجم " (2) .

فلكي يتحقّق الانسجام في النصّ يجب أن يتحد الكاتب مع القارئ، فالقارئ حين يواجه خطابا ما لا يواجهه وهو خاوي الوفاض وإنما يستعين بتجاربه السابقة، بمعنى أنّه لا

¹ - G Broun, and George Yule, Discourse Analysis P: 191-199

² - محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 51

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

يواجهه وهو خالي الذهن " (1) ، فهو "لا يذهب إلى عالم النص وهو عبارة عن صحيفة بيضاء، وإنما تكون له معلومات مختزنة في ذاكرته " (2) تساعد على سد وملء الفراغات وعن طريقها يتم فهم وتأويل النصوص .

وإن كان للمتلقي دور في انسجام النص ، فهناك آليات تساهم وتحقق هذا الانسجام على مستويات عديدة.

2- آليات الانسجام :

2-1- المستوى المعجمي:

2-1-1- علاقة التضاد (Collocation):

هو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك... فالعلاقة "النسقية التي تحكم هذه الأزواج في خطاب ما هي علاقة التعارض" (3)، هذا التوارد يقتضي وجود الأول ويستدعي هذا وجود الثاني وذكره، فذكر الحب يقتضي ذكر البغض أو الكره، وذكر الموت يقتضي بالضرورة ذكر الحياة ، " ويكون للقارئ دور في وضع هذه الأشكال في سياق ترابطي معتمدا على حدسه اللغوي" (4) ، وعلى معرفته بمعاني

¹ - محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 61

² - محمد مفتاح ، دينامية النص تنظير وإنجاز ، ص: 42

³ - محمد خطابي ، المرجع السابق، ص: 25.

⁴ - أحمد عفيفي ، نحو النص ، ص: 113

الفصل الثاني = آليات الانسجام النصية والتداولية

الكلمات وبمدى ارتباط هذه الكلمة بهذه المجموعة أو تلك⁽¹⁾ ، كما يقع بين الأفعال ، وأطلق عليه قديما الطباق في المفردات والمقابلة في الجمل .

ويتم الربط "من خلال توقع القارئ للكلمة المقابلة، فالكاتب يساعد القراء على الإبحار داخل النص من خلال سلاسل الكلمات المترابطة التي تخلق التماسك في النص" (2).

يقول حازم القرطاجني بخصوص المقابلة والطباق : " فإذا أردت أن تقارن بين المعاني وتجعل بعضها بإزاء بعض وتناظر بينها ، فانظر مأخذا يمكنك معه أن يكون المعنى الواحد وتوقعه في حيزين، فيكون له في كليهما فائدة، فتناظر بين موقع المعنى في هذا الحيز وموقعه في الحيز الآخر ، فيكون من اقتران التماثل، أو مأخذا يصلح فيه اقتران المعنى بما يناسبه فيكون هذا من اقتران المناسبة، أو مأخذا يصلح فيه اقتران المعنى بمضاده فيكون هذا مطابقة أو مقابلة" (3).

يأتي التضاد على مستوى الألفاظ، كما يأتي على مستوى الجمل والتراكيب، فبالضد تعرف الأشياء ، وبالأضداد تتضح المعاني، إذ يفيد هذا التقابل في إحداث نوع من الربط

¹ - سوداني عبد الحق، آليات الاتساق الهمزية: بحث مقدم لنيل شهادة ماجستير تخصص لسانيات النص، إشراف د:

فرحات عياش، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008/2009، ص: 33.

² - عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص: 109.

³ - حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء، ص: 14

الفصل الثاني آليات الانسجام النصية والتداولية

المعنوي، فالضدّ يكون أقرب إلى الذهن عند ذكر الضد، حتى إن الذهن ليستحضر الضد على الفور قبل مجئ ضده الآخر، و أطلق عليه قدامة بن جعفر: التكافؤ⁽¹⁾.

ونعني بعلاقة التضادّ امتناع تحقّق الشيء في آنٍ معاً، أو كما يطلق عليها تمام حسن، بأنّها "علاقة عنادية بين مفهومين إذا تحقّق أحدهما امتنع الآخر"⁽²⁾، ويعتمد اعتماداً كلياً "على المعرفة المسبقة للقارئ بالكلمات في سياقات متشابهة بالإضافة إلى فهم تلك الكلمات في سياق النص المترابط"⁽³⁾.

ويعرّف التضاد (Antonyme) أيضاً : "بأنّه علاقة الترابط التي تتمّ بين الكلمات من خلال التقابلات و يستخدم "في الدلالة على عكس المعنى؛ فالكلمات المقابلة (Opposés) هي (Antonymes). لأنّه ملمح دلالي مطرد وطبيعي للغاية للغة، ويمكن تحديده بدقة تامة"⁽⁴⁾، حيث يُسهم وروده في اتّساق النصّ ، وقد صنّفه البلاغيون في باب البديع ، وتكمن أهميته في تحسين الكلام وربط أجزائه، ووظيفته الجمع بين شيئين أو أشياء متعددة ، وتؤدي العلاقات الدلالية في هذا الموضع تماسكا نصيا بدلالاتها المتناقضة والجمع بين الأضداد، ويتحقق الربط عن طريق المتلقي من خلال توقعاته للفظة المقابلة، فتظهر الصورة في ذهن المتلقي

¹ - قدامة بن جعفر : نقد الشعر ، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي ط دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 147 وما بعدها

² - تمام حسن ، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، ط2، القاهرة، 2000، ص: 86.

³ - عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص: 109.

⁴ - بالمر.ف.ب، علم الدلالة إطار جديد، تر: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995، ص: 122.

الفصل الثاني آليات الانسجام النصية والتداولية

واحدة مترابطة يصعب الفصل بين أجزائها، هذا التقابل يُسهم في إحداث نوع من الربط المعنوي و يفضي إلى المعنى مباشرة بعيدا عن التأويل، فيتشكل نص من مجموعة وحدات لغوية متتالية تختزن فيها وتجمع هذه المتضادات، وكل مفردة تلزم ذكر ضدها، وهنا يأتي دور السياق في تحليلها وفهمها، لأنّ المعاني تتوارد بالضد فيأتي دور المتلقي الذي يُعمل ذهنه إلى تفكيكها وتبسيطها، ذلك أنه بالضد تتضح المعاني .

والملاحظ في هذه الوسائل والعلاقات أنها متداخلة تداخلا يصعب فكّه أو فصله ونلاحظ أنّها "علاقة مقيدة، وليست علاقة حرة. فلو ذكر أحدهما، استدعى -على الفور- صاحبه الذي يرتبط به في الكلام العادي دلاليًا وتركيبياً"⁽¹⁾، ومعظم هذه الوسائل تتشكل عن طريق الإحالة التي تندرج تحتها الوسائل الأخرى، كما عرجنا على جميع الوسائل بالشرح والتفصيل وهذه الوسائل هي التي تحقق التماسك النصي وترتبط بين جمل النص ، وتميز النص عن اللانص ، وتسهم في جعل وحدة النصّ وحدة متسقة مترابطة، بفضل مجموعة من العلاقات، منها نظاميّة، وأخرى دلاليّة، وأخرى نحويّة، تعتمد بالدرجة الأساس على دور القارئ/السامع في إيجاد وحدة النصّ، ومن ثم اتّساقه، وكذلك دور البيئة اللغوية في إيجاد العلاقة الرابطة بين أجزاء النصّ.

¹ - محمد العبد، إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي، مدخل لغوي أسلوب، دار المعارف، ط1، مصر، 1988، ص: 103.

2-1-2- التكرار⁽¹⁾ (Reccurence)⁽²⁾:

يعتبر التكرار أهم الظواهر التي ميّزت اللغات الإنسانية باختلافها، خاصة اللغة العربية، والحديث عن التكرار يقودنا إلزاماً العودة إلى ما قال به كل من هاليداي ورقية حسن اللذان جعلاً منه وسيلة من وسائل اتساق النص، وهو "شكل من أشكال التماسك المعجمي التي يتطلب إعادة عنصر معجمي أو وجود مرادف له، أو شبه مرادف" (3)

¹ - يرجح بعض النحويين مصطلح التكرير ، لأنه مصدر صريح مشتق من الفعل المضعف العين كرّر ، وهنا يقع الخلاف بين النحويين : هل هو مشتق من الفعل المضعف العين المشدد كرّر ؟ أم أنه مشتق من الفعل المخفف كرر بدون تشديد ، فالبصريون يرون بأنه مشتق من الفعل المخفف وجيء بالمصدر على ذلك الوزن للتكثير ، بينما يرى الكوفيون بأنه مشتق من الفعل المضعف العين كرّر ، وقد تبعهم في ذلك ابن مالك ورجح قولهم ، فقال في التسهيل : وقد يغنى في التكثير عن " التفعيل " " التفعال " انظر تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، ابن مالك ، تحقيق محمد كامل بركات ، دار الكتاب العربي ، 1387 هـ : ص: 206 . وقد استعملت التكرار بدلا من التكرير لأن الصيغة الأولى اقدر على الإيحاء وأبلغ في تصوير تكرار الفعل ، أما الصيغة الثانية فلا تعد سوى صيغة نحوية صرفية لا غير تتضمن حدثا ، أما عن فتح الأول أو كسره فقد ذهب النحويون إلى ذلك مذاهب ، غير أن الراجح هو فتح التاء ولا يصلح لها إلا هو ولا يجوز كسرها لأن أصل المصادر أن تأتي على التفعال بفتح التاء ومثل لذلك ابن منظور بالتذكّار والتكرار .

² - ورد هذا المصطلح عند الغربيين بطرق مختلفة فمنهم من أطلق عليه لفظ (Reiteration) ومنهم من أطلق عليه

(La Répétition) ومنهم من فضل مصطلح (La Fréquence)

3- محمد خطابي: لسانيات النص، ص: 18-24-25، ودي بوجراند ،النص والخطاب ، ص: 300 و أحمد عفيفي، نحو النص ، ص: 106.

الفصل الثاني **آليات الانسجام النصية والتداولية**

أو " التضمّن (superordinate)، أو باستعمال الكلمة العامة عن طريق إحالتها إلى المفردة المعجميّة السابقة، وعادة ما تكون المفردة المكرّرة مصحوبة بـ(أل) ⁽¹⁾.

من خلال هذا التعريف نجد بأنّ اللسانيين قد أفردوا للتكرار مساحة كبيرة ، بينوا فيها سُبُل إفادة التكرار تماسك النصّ ، إذ تعددت أنواعه لتعدد صوره وأشكاله، فمنهم من نظر إلي التكرار بصورته اللفظية، ما بين تكرار كلي أو جزئي، أو تكرار صيغة أوزن، والبعض الآخر نظر إلي التكرار بصورته المعنوية، ومنه التكرار بالمرادف وبالمشترك، والتضاد، والتضمين، وبالحقل، والمعاني العامة، وعليه فقد جعلوا هذا التكرار في أربع درجات ⁽²⁾، هي:

أ- إعادة العنصر المعجمي (Repetition of Lexical item):

وينقسم على قسمين :

1- أداة التعريف السابقة الذكر الكثير من اللسانيين من يجعلها قسما مستقلا ، ذلك أنها تسبق العبارة التي تحيل إلى ما سبق ذكره ، ويطلق عليها آل العهدية لأن ما اتصلت به معهود وموجود في ذهن السامع أو المتلقي .

2 - يرى بعض اللسانيين أن النوع الثالث والرابع (الكلمة الشاملة ، وألفاظ العموم) لا علاقة لها بالتماسك المعجمي ، وعليه وجب دراستهما في المستوى الدلالي ، ويأتي التكرار أيضا عند بعض اللسانيين على ثلاثة أنواع ، انظر أبو زنيد، عثمان حسين مسلم، نحو النص (دراسة تطبيقية على خطب عمر بن الخطاب ووصاياه ورسائله للولاة)، رسالة ماجستير غير منشورة، 2004 م، الجامعة الأردنية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ص: 116 نقلا عن محمود سليمان حسين الهواوشة: أثر عناصر الاتساق في تماسك النص دراسة نصية من خلال سورة يوسف، بحث مقدم لنيل شهادة ماجستير ،إشراف د:فايز محاسنة، جامعة مؤتة 2008.ص:93.

أولاً- التكرار التام أو المحض (Full Reccurence):

وهو تكرار الكلمة كما هي دون تغيير، بمعنى آخر تكرار اللفظ والمعنى والمرجع واحد.

ثانياً - التكرار الجزئي (Partail Reccurence):

وهو ما يكون بالاستخدامات المختلفة للجذر اللغوي مع اختلاف العنصر الإشاري المتصل به، نحو تكرار الفعل لعدة أحوال مختلفة، أي تكرار الجذر اللغوي في عدد من الصيغ داخل النص الواحد.

ولا يمكن لنا أن ننكر دور التكرار في انسجام النص، فلوعدنا إليه عند القاء لوجدناه ملتصق بالكلام وهو سنة من سنن العرب وأسلوب من أساليبهم، ويؤدي في كثير من الأحيان دوراً إيجابياً، لقدرته على تأدية أغراض جمالية وفنية ترفع وتزيد من قيمة النص وهذا هو الجانب الإيجابي فيه، غير أن هناك جانباً سلبياً في التكرار يقبح الكلام به، وفي هذا يقول الزركشي " وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة وظننا أنه لا فائدة له، وليس كذلك بل هو من محاسنها لا سيما إذا تعلق ببعضه ببعض، وذلك أن عادة العرب في خطاباتها إذا أبهمت الشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه، أو قصدت الدعاء عليه، كررت توكيدها وكأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه أو الاجتهاد في الدعاء عليه حين تقصد الدعاء، وإنما نزل

الفصل الثاني ————— آليات الانسجام النصية والتداولية

القرءان بلسانهم وكانت مخاطبتهم جارية فيما بين بعضهم وبعض، وبهذا المسلك تستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة⁽¹⁾،

أما الجرجاني فقد جعل التكرار من معاني النحو التي تبث في النظم (الكلام) الانسجام والاتساق والتناسق، وقد يكون التكرار جزئيا ، أي يكتفي فيه الناظم بتكرير جزء - فونيم - مثلا ، كقول البحتري :

فكالسيف إن جئته صارخاً وكالبحر إن جئته مستثيبا⁽²⁾

يعلق على البيت قائلا: إنَّ الشاعر ربط بالعطف (الفاء) وكرر الكاف مع حذفه المبتدأ، لأنَّ المعنى - لا محالة - هو كالسيف، ثم كرّر الكاف في قوله وكالبحر، وهذا سبب واضح لمحاسن النظم فيه، يضاف إلى تكراره للشرط المتضمن جوابه: إن جئته صارخا إن جئته مستثيبا، وردا في الشطرين من البيت⁽³⁾، وبما أنَّ التكرار أنواع منه الجزئي مثلما مر ومنه الكلي، وهو الذي تتكرر فيه جملتان أو أكثر باللفظ والمعنى، ومنه ما يكون تكرارا في المعنى لا في اللفظ، فتكراره: إن جئته صارخا وإن جئته طالبا مستثيبا، مختلفتان في اللفظ وإن

¹ - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص: 9.

² - البحتري ، الديوان ، تحقيق عمر فاروق الطباع ، دار الأرقم ، ط1 ، بيروت ، (د ت) ج: 1 ، ص: 121 .

³ - البيتان لجندب بن عمار من طيء ذكرا في حماسة أبي تمام ، تحقيق عبد المنعم صالح ، دار الشؤون الثقافية ، ط1 ، بغداد ، 1987 ، ص: 96 مع بعض الاختلاف في الرواية ، نقلا عن إبراهيم محمود خليل، في اللسانيات ونحو النص ، دار المسيرة ، ط3 ، عمان، 2015 ، ص: 233.

الفصل الثاني **آليات الانسجام النصية والتداولية**

اتفقتا في المعنى، لأنّ كلتيهما معناهما إن جنّته طالبا المساعدة، وقد يكون التكرار تكرارا محضا كتكراره كلمة العواذل في البيت الثاني من بيتي جندب بن عمار :

زعم العواذل أن ناقة جندب بجنوب خبت عريت وأجمت

كذب العواذل لو رأين مناخنا بالقادسية قلن : لـجّ ودلت

فلو قال القائل كذبن مكان كذب العواذل لكان من الناحية النحوية الخالصة مصيبا غير مخطئ، ولكنّه تعمد أن يكرر كلمة العواذل التي ذكرت في أول البيت السابق فأفاد كلامه قوة، لكونه مستأنفا من حيث وضعه وضعا لا يحتاج فيه إلى تذكر ما قبله، وأتى به مأتى ما ليس قبله كلام (1).

وقد نقل محمد مفتاح تعريف التكرار للسجلماسي من كتابه المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع فقال : "هو إعادة اللفظ الواحد بعينه وبالعدد أو بالنوع مرتين فصاعدا، وأدخل ضمنه الاتحاد أي اتحاد اللفظين من كل وجه ، وعلى الإطلاق " (2) ، إذ يُعد إعادة اللفظ في العبارة السطحية التي تتحد محتوياتها المفهومية وإحالاتها من الأمور العادية في المرتجل من الكلام (3) .

¹ - ينظر : إبراهيم محمود خليل ، في اللسانيات ونحو النص ، ص: 233.

² - ينظر : محمد مفتاح ، سيمياء الشعر القديم ، ص: 34

³ - دي بوجراند ، النص والخطاب ، ص: 303

الفصل الثاني ————— آليات الانسجام النصية والتداولية

إضافة إلى أنّ إعادة اللفظ تعطي "منتج النص القدرة على خلق صورة لغوية جديدة لأن أحد العنصرين المكررين قد يسهل فهم الآخر"⁽¹⁾ ، ومن شأن إعادة اللفظ من الناحية النفسية أن تركز الانتباه ، فإنّ "العناصر المكررة ينبغي أن تتطبع في الذاكرة ، ومن ثم ينبغي للعملية الإجرائية أن تكون سهلة ، إذ إن نقطة الاتصال في نموذج العالم ذي الاستمرار النصي أن تكون واضحة ... كي يكون للتكرار مبررات أعمق"⁽²⁾ ، قصد الوصول إلى أي غرض من أغراض التكرار، فاستعمال هذه الخاصية سواء أكانت عن قصد أو غير قصد هي تعبير عن خوالج النفس ومكنوناتها، فلا يوجد خاصية أفضل من التكرار للوصول إلى المقصود، ولعلّ أهم أغراضه التأكيد، إذ لا يخفى على أحد أنّ للتكرار دورا مهما في تأكيد المعنى وتقويته، فالمتكلم "لا يكرر كلامه عبثا بل قصد إقناع السامع والتأثير فيه، وجلب انتباهه، وقد أجاز النحويون وخاصة الفراء التكرار ويرى بأن تكرار اللفظ أو المعنى إذا كان للتوكيد جائز"⁽³⁾ .

1- دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ص: 306

2- دي بوجراند ، المرجع نفسه، ص: 304-305.

3- الفراء ، معاني القرآن، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة مصر، 1980 ، ج:1، ص: 177 ،

هناك أغراض كثيرة للتكرار تفهم من سياق الكلام .

والجدير بالذكر أنّ للتكرار شروطا حددها العلماء القدماء والمحدثون، ومنها: أنّ يكون للمكرر نسبة ورود عالية في النص، وأن يساعد رصده علي فك شفرة النص وإدراك دوره الدلالي فيه، وأن يقع التكرار من أكثر من كاتب، أو في النص الواحد.

2-2- المستوى الدلالي:

2-2-1- العلاقات الدلالية (1) :

إن الانسجام "يختصّ بالاستمرارية المتحققة في عالم النص (Textual Word) ونعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم (concepts) والعلاقات (relations) الرابطة بين هذه المفاهيم. وكلا هذين الأمرين هو حاصل العمليات الإدراكية المصاحبة للنص إنتاجاً وإبداعاً، أو تلقياً واستيعاباً"، وبها يتم حيك المفاهيم من خلال "قيام العلاقات" (2) وهذا التعريف "يتضمن عنصرين أساسيين: المفاهيم: الصورة الذهنية عن الشيء، وتتخذ أكثر من شكل أو مسمى وتتباين فيما بينها؛ فبعضها خاص بتمركز حوله جزء من النص، وبعضها عام يشمل النص كلّهِ. والعلاقات: وهي الروابط التي تصل بين المفاهيم، سواء كانت علاقات اتصال أو علاقات انفصال" (3).

¹ - يطلق عليها أيضا التعالق (relation) ويقوم على شرط يتمثل في كون الانسجام بين مقطعين نصيين يقتضي بالضرورة ترابطا بين الأحداث أو الأشياء التي يُحيل عليها .

² - سعد مصلوح، نحو أجرومية النص الشعري، ص : 154 .

³ - حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، ص:128.

الفصل الثاني **آليات الانسجام النصية والتداولية**

فالعلاقات الدلالية" مصطلح حديث يدل على العلاقات بين الكلمات من نواح متعددة كالترادف والاشتراك والتضاد ونحو ذلك، وقد تولد هذا المصطلح من دراسة الحقول الدلالية، إذ تبين أن معنى الكلمة لا يتضح إلا من خلال علاقاتها مع الكلمات الأخرى ضمن الحقل الدلالي الذي تنتمي إليه" (1).

ويعرفها سعد مصلوح بأنها: " حلقات الاتصال بين المفاهيم، وتحمل كل حلقة اتصال نوعاً من التعيين للمفهوم الذي ترتبط به بأن تحمل عليه وصفاً أو حكماً، أو تحدد له هيئة أو شكل، وقد تتجلى في شكل روابط لغوية، واضحة في ظاهر النص، كما تكون أحياناً علاقات ضمنية يضيفها المتلقي على النص، وبها يستطيع أن يوجد له مغزى بطريق الاستنباط، وهنا يكون النص موضوعاً لاختلاف التأويل" (2).

لعل أهم شيء يميز العلاقات الدلالية (العناصر المنطقية) كونها جوهرًا للدراسات النصية، ولأنها تجعل النص مترابطاً، لذا وجب البحث في مكن التماسك والترابط والتعالق بين الجمل والعلاقات التي ترتبط " بمرسل للفعل اللغوي ومتلق له، وقناة اتصال بينهما، وهدف يتغير بمضمون الرسالة، وموقف اتصال اجتماعي يتحقق فيه التفاعل" (3)، فيسهم هذا كله في تماسك النص دلاليًا، وهذا ما جعل دي بوجراند يربط المفاهيم والعلاقات بهذا

1 - أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر ، ط 3 ، دمشق ، 2008 ، ص: 369-370.

2- سعد مصلوح، نحو أجرومية النص الشعري ، ص: 154.

3 - ينظر: سعيد حسن البحيري ، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، ص: 110

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

الانسجام الذي "يتطلب من الإجراءات ما تنتشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي واسترجاعه وتشتمل وسائل الالتحام على:

1- العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص.

2- معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف.

3- السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية، ويتدعم الالتحام بتفاعل

المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم" (1).

فالعلاقات الدلالية تعمل على جمع أطراف النص و" ربط متوالياته الجمالية بعضها

ببعض، دون ظهور وسائل شكلية في ظاهره" (2).

وقد أشار السيوطي إلى بعضها فقال " لا يكون الكلام لخلوه من العقادة متحرراً

كتحدر الماء المنسجم ، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقّة والقرآن كله

كذلك....وقد جاءت قراءته موزونة بلا قصد لقوة انسجامه " (3)، ويبدو لنا من قول السيوطي

أنّه لا يشير إلى العلاقات المنطقية التي تحكم النص وتسيره والتي تقوم بربط التراكيب

اللغوية في النص الواحد والتي تتمثل في علاقات السببية، والإجمال والتفصيل، والشرط

والجزاء.

¹- دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 103.

²- ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 268.

³ - السيوطي، الإتقان، ص: 261.

الفصل الثاني آليات الانسجام النصية والتداولية

وفي " مقابل هذه المعالجة للعلاقات الدلالية التي لا تتجاوز في معظمها العلاقة بين الجملتين، هناك معالجة حاولت أن تنظر إلى هذه العلاقات في مستوى أكبر هو النص" (1) ، ولا يشترط في أي نص وجود جميع العلاقات الدلالية بل تتحقق بوجود بعض منها أو أقلها لأنّ غرض العلاقات ربط أجزاء النصّ المتناثرة ، فالعلاقات تتواجد في النصّ بتفاوت وهي بذلك تحقق التواصل والاستمرارية، رغم أنّه "قد يوحي بعدم الخضوع لهذه العلاقات، ولكنّه ما دام نصّاً تحكمه شروط الإنتاج والتلقي فإنّه لا يتخلّى عن هذه العلاقات، وإنّما الذي يحصل هو بروز علاقة دون أخرى" (2) .

لذلك فـ " الخطاب كلُّ موحد متجانس مرتب منتظم، ولتحقيق هذا التوحد والتجانس والترتيب والانتظام والانسجام والتماسك ... ، لابد من علاقات...، وهي علاقات تتجاوز النظر إلى الارتباط الشكلي إلى ما هو أعمق، ومن العلاقات التي يشيرون إليها... الإجمال، التفصيل، العموم، الخصوص... " (3) .

وتُحقق هذه العلاقات ترابط أجزاء النصّ، الذي لا يمكن أن يتحقق وجوده إلا من خلال هذه العلاقات القائمة بين العناصر، فالنص الأدبي "يرتكز في بنائه على مجموعة

¹ - مفتاح بن عروس ، الاتساق والانسجام في القراءان ، ص: 127

² - محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 269 .

³ - خلود العموش ، الخطاب القراءاني (دراسة في العلاقة بين النص والسياق) ، عالم الكتب الحديث ، ط1 ، 2008، ص:

الفصل الثاني **آليات الانسجام النصية والتداولية**

العلاقات الدلالية التي تتجلى بين متوالياته وتتلاحم في بناء منطقي محكم سواء كان ذلك على مستوى البنية السطحية أو البنية العميقة" (1) .

وتكمن أهمية العلاقات الدلالية ربط أجزاء النص محققة بذلك انسجامه، حيث " ينظر عادة إلى العلاقات التي تجمع أطراف النص أو تربط بين متوالياته (أو بعضها) ، دون بدو وسائل شكلية تعتمد في ذلك عادة، ينظر إليها على أنها علاقات دلالية ، كعلاقات العموم / الخصوص، المجل / المفصل.... " (2) ولعل أهم ما يُحقق الانسجام في الخطاب الشعري وجود مجموعة من العلاقات الدلالية (relation) تعمل مجتمعة على انسجام مضامين الخطاب ، ولعل أهمها :

2-2-1-1- علاقات الربط (Conjunction):

أجمع اللسانيون على أنّ النص مجموعة من الجمل المتتالية خطياً، وعليه يجب أن تكون هذه الجمل مترابطة فيما بينها حتى تشكل نصاً متماسكاً ، وهذا عن طريق روابط ، إذ تعتبر هذه الروابط من وسائل الاتساق النحوية أيضاً.

وهذه الروابط من المباحث الهامة التي أولى البلاغيون اهتمامهم بها، ذلك أنّ هذا المبحث رغم كونه تراثاً عربياً، إلا أننا نجد فيه تداخلاً بينه وبين اللسانيات النصية الحديثة،

¹ - فوزي عيسى، النص الشعري وآليات القراءة. منشأة المعارف الإسكندرية، 1997م، ص : 8

² - محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص:168-169

الفصل الثاني **آليات الانسجام النصية والتداولية**

فالحديث عن هذا المبحث يدور حول " ما ينبغي أن يُصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض ، أو ترك العطف فيها ، والمجيء بها منثورة تُستأنف واحدة منها بعد أخرى " (1). فالروابط من الآليات التي تجعل بناء النص محكما وتتحكم في انسجام عناصره ، وتساعد هذه الآلية في عملية فهم وتأويل النصوص دون قيد، وهذه الروابط هي التي تشكل في النص عنصرا مهما في تماسك النص وتكوينه، فالجملة عنصر بناء النص والنص يتكون من جملة واحدة أو أكثر (2) ، ولكي يتم الربط بين هذه الجمل لا بدّ من وجود واسطة يلجأ إليها المرسل لأمن اللبس، واستعمال هذه الروابط استعمالا دقيقا يجعل من النص محكم البناء.

و قد أفردتها علماء اللغة قديما بالبحث والدراسة ، كابن جني الذي قال في معرض حديثه عن الفاء : " إنّما دخلت الفاء في جواب الشرط توصلا إلى المجازاة بالجملة المركبة من المبتدأ والخبر، أو الكلام الذي يجوز أن يبتدأ به ، فالجملة في نحو قولك : إن تحسن إليّ فالله يكَافئك، لولا الفاء لم يرتبط أول الكلام بآخره " (3)، لذا فحين يوصف الترابط على أنّه "علاقة اتّساقية لا يقصد بذلك العلاقة الدلالية في حدّ ذاتها، وإنّما يقصد جانب واحد منها

1 - الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص: 222

2- الأزهر الزناد ، نسيج النص ، ص : 35-36.

3- ابن جني، سر صناعة الإعراب ، تحقيق حسن هنداوي ، دار القلم ، ط1 ، دمشق ، 1985، ص: 252-253

الفصل الثاني = آليات الانسجام النصية والتداولية

محدد، هو الوظيفة العلائقية الموجودة في كل العناصر اللغوية الأخرى، التي تنشأ في السلسلة اللغوية المكوّنة للنص⁽¹⁾.

والروابط مجموعة من العلاقات اللغوية التي تربط بين المعاني الخاصة حتى تكون صالحة عند نظمها في بيان المقصود منها، وعوامل الترابط السطحي للنص، علامات العطف والوصل والفصل والترقيم، وتقوم أدوات الربط بين الجمل النصية على ربط أجزاء الجملة على أن تكتمل الدلالة فيها، بربط " خطي يقوم على الجمع بين جملة سابقة وأخرى تلحقها، فيفيد مجرد الترتيب في الذكر مثل الواو في العربية أو ربط خطي يقوم على الجمع كذلك، ولكنه يدخل معنى آخر يتعين به نوع العلاقة بين الجملة والأخرى مثل (الفاء) و (ثم) و (أو) وغيرها في العربية، إذ تربط وتعبّر عن علاقة منطقية بين العنصرين المربوطين، و تجمع في قسم الأدوات المنطقية (Particules Logiques) لأنها علاقات على أنواع العلاقات القائمة بين الجمل، وبها تتماسك الجمل وتبين مفاصل النظام الذي يقوم عليه النص⁽²⁾.

وعدّ الجاحظ الفصل والوصل على لسان الفارسي " البلاغة كلها "⁽³⁾، وهذا الباب " موضوع نحويّ بلاغيّ بحث، وقد تناوله البلاغيّون بالدراسة كونه مبحثاً تركيبياً ودلالياً

1- محمود سليمان حسين الهواوشة، أثر عناصر الاتساق في تماسك النص دراسة نصية من خلال سورة يوسف، ص: 65.

2- الأزهر الزناد ، نسيج النص ، ص: 36.

3 - ينظر : الجاحظ ، البيان والتبيين : ج 1، ص: 111.

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

يتمثلُ في بنيةٍ صغرى هي الجُملة، وبنية كبرى هي النصّ باعتباره آلياتٍ، وفي الخطابِ باعتباره بنية تحكمها آليات وأطرافُ تخاطبٍ وظروفُ خطابٍ.

والعطف بصفته واحداً من التوابع ، بل أكثرها وروداً ...، قد نال حظاً كبيراً من الدراسة، فلا ترى كتاباً من كتب النحو العربي قديماً وحديثاً خالياً من الحديث عنه" (1) .

وقد تناول علماء البلاغة قضية العلاقات بين الجمل عطفاً وتركاً للعطف تحت مسمى (الفصل والوصل). فالوصل في اللغة خلاف الفصل: " اتصل الشيء بالشيء لم ينقطع. ووصل الشيء إلى الشيء وصولاً وتواصلًا انتهى إليه وبلغه " (2) .

جاء في القاموس المحيط: " وصل الشيء بالشيء ووصله بالكسرة والضمّة: بلغه وانتهى إليه واتصل: لم ينقطع". (3)

أما الفصل فقد جاء في لسان العرب: " الفصل بون ما بين الشيئين" (4)، وفي القاموس: " الفصل الحاجز ما بين الشيئين " (5).

فالكلام عند البلاغيين إما أن يتصل بعضه ببعض أو ينفصل فيكون هناك قطع بين أجزائه، وهذا ما أطلق عليه بمصطلح الفصل والوصل، فالوصل هو عطف الجملة على

1- صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي، ج:1 ، ص :247.

2- ابن منظور، لسان العرب، مادة وصل.

3- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، دار إحياء التراث العربي ، ط1 ، بيروت، 1991، مادة وصل.

4- ابن منظور ، المرجع السابق ،مادة فصل.

5- الفيروز آبادي، المرجع السابق، مادة: فصل.

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

الجملة أمّا الفصل فهو ترك العطف، لأنّ العطف كما يكون في المفردات يكون كذلك في الجمل، يقول السكاكي: " اعلم أنّ تمييز مواضع العطف من غير موضعه في الجمل كنحو أن تذكر معطوفاً بعضها على بعض تارة ومتروكاً العطف بينها تارة أخرى هو الأصل في هذا الفن" (1) ، فالبلاغيون يركزون على العلاقات التي تربط الجمل بعضها ببعض فيكون الوصل، وتحذف في مواضع أخرى فتقتضي الفصل، غير أنّ الوصل عندهم في هذا الباب يتم بواسطة أداة تربط ما بين طرفي الكلام وعليه فإنّهم يعرفون الوصل بقولهم: " الوصل هو عطف جملة على جملة أخرى ، والفصل ترك العطف " (2) ، ويقول القزويني: " الوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه " (3) .

ويعد الجرجاني معرفة هذه الروابط من معرفة معاني البلاغة ، ويعرفها فيقول :
" العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى " (4) .

ولو تأملنا جميع تعريفات الوصل لوجدنا أنّ علماء البلاغة يتفقون في تعريف الفصل والوصل وجعلوه محدداً بجملتين، جملة سابقة وأخرى لاحقة، وقد عمد اللغويون إلى جعل الفصل والوصل ضرورة تقضي إلى الوصل والجمع بين جملتين يكون فيها المرسل

1- السكاكي، مفتاح العلوم ، ضبط وشرح: نعيم زرزور ، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت ، (د.ت) ، ص: 249 .

2- الجرجاني، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق: د. عبد القادر حسن، ط/ دار مصر للطباعة (د.ت) ص: 121.

3- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبدیع ، ط/ دار الكتب العربية (د.ت) ، ص: 151 .

4 - الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ج: 1 ، ص: 174 .

الفصل الثاني = آليات الانسجام النصية والتداولية

قاصدا إشراك الجملتين عطفًا على بعضهما، وفي هذا يرى محمد خطابي بأنّ العلاقة بين الجملتين إن كانت تضادا أو شبه تضاد أو تماثلا أو شبهه وجب وصل الجملتين " (1) بمعنى أنّ الجملة الثانية متممة للجملة الأولى، لأنّ قصد المتكلم هو إثبات المعنى في ذهن المرسل إليه دون وقوع لبس، وهذا لا يتم إلا عن طريق هذه الروابط وتعالق عناصرها، ويقوم المتكلم " بتعليق دلالات الألفاظ في عقله أولا ، وذلك بضم بعضها إلى بعض وترتيبها بحسب معاني النحو ، وفقا لمقدرة المتكلم اللغوية ، فتكون النتيجة نظمها وترتيبها ... " (2).

يعرف هاليداي ورقية حسن الوصل بأنه "تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم" (3) ، فالنص كما يقول النّصانيون هو عبارة عن متتالية جمالية متعاقبة خطيا ولكي تشكل كلا متلاحما يجب أن تتوافر على جملة من العناصر لتحقيق الترابط وتشكل النص .

وقد قسم هاليداي ورقية حسن الوصل على أربعة أقسام (4) حسب وظيفته :

1 - ينظر: محمد خطابي ، لسانيات النص : ص:139

2 - مصطفى حميدة ، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط 1، لونغمان ،

1997 ، ص: 11

3- محمد خطابي ، المرجع السابق ، ص: 23.

أولاً- الربط الإضافي (Additive) : وهو الربط الذي يتم عن طريق أحرف العطف "

الواو " و " أو " ، إضافة إلى أدوات أخرى تملك خاصية التماثل الدلالي المتحقق في الربط بين الجمل كـ (مثلما ، مثل ، نحو) أو ما له علاقة بالشروحات كـ (أعني ، أو بعبارة أخرى) وهذه الروابط تضيف معنى اللاحق إلى السابق ، وقد سماه تمام حسن (الربط الجمعي) منعاً للبس بينه وبين مصطلح الإضافة في العربية⁽¹⁾ .

ثانياً- الربط العكسي (Adversative): يتم عن طريق مجموعة من الأدوات التي

تجعل من اللاحق في النصّ على عكس ما كان يتوقعه المتلقّي، وأهم هذه الأدوات (لكن وما في معناها ، بيد أن غير أن ، أما) (مع ذلك)، غير أن هاليداي ورقية حسن يرون بأن الأخيرة هي التي تعبر عن الترابط العكسي أكثر من غيرها⁽²⁾ ، والتعبيرات (خلاف ذلك وعلى العكس ، وفي المقابل) إلى غير ذلك من التعبيرات التي تحمل المعنى نفسه .

ثالثاً- الربط السببي (Casual) : وهو الربط الذي عن طريقه يمكن إدراك

العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر، وأدواته كثيرة منها : هكذا ، و إذن ، و لذلك ، وبالتالي ، لهذا السبب ، إذا ، من أجل هذا ، لكي ، لأن ، سبب ذلك ، وغيرها ، كل هذه الأدوات هي علاقات منطقية يكون اللاحق تبعا للسابق ، بمعنى آخر العلاقة بين السبب والنتيجة ،

¹ - دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ص: 35

² - Helliday, and R. Hassan , cohesion in english. P 350.

الفصل الثاني = آليات الانسجام النصية والتداولية

وهناك من أطلق على هذا القسم بـ (الاتباع) وآخرين بـ (التفريع) Subordination⁽¹⁾.

فإذا كانت وظيفة هذه الأنواع المختلفة من الوصل متماثلة ، فإن معانيها داخل النص مختلفة ، فقد يعني الوصل تارة معلومات مضافة إلى معلومات سابقة أو معلومات مغايرة للسابقة أو معلومات (نتيجة) مترتبة عن السابقة (السبب) ، ولأن وظيفة الوصل هي تقوية الأسباب بين الجمل وجعل المتواليات مترابطة متماسكة فإنه لا محالة يعتبر علاقة اتساق أساسية في النص⁽²⁾.

وقد أورد المؤلفان نوعا رابعا وهو الترابط الزمني (Temporal) الذي يقوم على التسلسل الزمني فيكون علاقة بين جملتين فأكثر، فجمل النص يمكن أن تتبع الواحدة الأخرى ضمن تسلسل زمني يضمن لها اتساقا عن طريق تتابع الأفعال الزمني، وكما هو واضح في المثال السابق من تتابع زمني بين الفعلين (جلس) و (يستريح).

وهذا النوع يجسد علاقة بين أطروحتي جملتين متتابعتين زمنيا؛ مثل: عند، بعد، حين، إلى آخره. وأدوات الوصل الزمني داخل النصوص كثيرة تدل عليها الأفعال التامة

¹ - إلهام أبو غزالة ، علي خليل حمد ، مدخل إلى علم لغة النص ، ص: 107.

² - سوداني عبد الحق ، آليات الاتساق الهمزية، بحث مقدم لنيل شهادة ماجستير تخصص لسانيات النص إشراف د:

فرحات عياش، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2008-2009 ، ص: 31.

الفصل الثاني **آليات الانسجام النصية والتداولية**

والناقصة، وكذلك ظروف الزمان وبعض البنى التركيبية الأخرى في الجملة، ولكن الأفعال تبقى أوفر تلك الوسائل دقة واستعمالاً .

خلاصة القول : إنّ أدوات الربط بجميع أنواعها تجعل من النص متواليّة خطيّة رغم اختلاف معانيها ، فتارة تكون لإضافة معلومة إلى معلومات سابقة ضمن سلسلة من الجمل، وتارة أخرى تأتي بمعلومات معاكسة لما هو متوقع، أحيانا آخر تكون سببا أو علّة، بإضافة معلومة هي نتيجة تترتب على معلومات سابقة لها. أو قد تكون العلاقة تراتبيّة زمنيّة تعمل على تسلسل الزمن داخل النصّ ، و" البحث في علاقات الخطاب يتعلق بتلك الروابط بين هذه اللبّات ،حيث يكشف الربط بين الجمل عن الطريقة التي تدرك بها العلاقات الدلالية التحتية في الخطاب " (1).

2-1-2-2- السببية :

السببية هي إحدى أهم العلاقات التي تربط النصّ بعضه ببعض و" تجعله كلا متلاحما متراسا الأجزاء،وهي من العلاقات التبعية التي قد تكون واضحة وقد تكون غير واضحة" (2) لا تظهر مباشرة في النصّ،بل يكون القارئ مستنتجا لها ، فيربط أجزاء النصّ بحسب تصوراتّه " أي إنّها غير متمثلة بصراحة في النصّ،أي إنّها لا تحظى باستثارة مباشرة من خلال ظاهرة النصّ،وإنّما يقوم المتلقي بتزويد و إمداد ما يلزم من العلاقات

¹ - عزة شبل ، علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص: 187

² - جميل عبد المجيد ، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، ص: 142.

الفصل الثاني آليات الانسجام النصية والتداولية

لاستخراج المعنى من النص " (1)، فعلاقة الإجمال/التفصيل يشتمل عليها الخطاب من خلال مستويين: سواء أكان ذلك في مستوى المقطع الواحد، أو في مستويات مقاطع متتالية .

يُعرف اللغويون السببية على أنها " الطرق والوسائل التي فيها يؤثر موقف أو حدث على الظروف المهيئة لوقوع حدث آخر " (2) ، فهذه الطرق والوسائل هي عبارة عن علاقات " تعطي معقولية لكيفية تتابع قضايا النص ، وتسمها دائماً بسمة المنطقية ، خاصة وأنها من العلاقات ذات الحضور المكثف ، وانتشارها يؤدي إلى قوة البناء " (3).

ويعرفها كل من دي بوجراند ودريسلر بأنها " علاقة تربط بين مفهومين أو حدثين أحدهما ناتج عن الآخر " (4)، ويكون الرابط بين الحدثين منطقي ، بحيث لا يمكن الفصل بينهما لأنّ كلا منهما مكمل للآخر، و" يقتضي سياق الجملة من المتكلم أن يلجأ -أحيانا- إلى هذه العلاقات لتكون معينا له على بيان سبب وقوع الحدث " (5).

وتعتبر هذه العلاقات " حلقات وصل بين المفاهيم التي تظهر معا في العالم النصي، وتحمل كل حلقة وصل نوعا من التعيين للمفهوم التي ترتبط به " (علم النص أسسه المعرفية) وتكون لربط سبب بنتيجة ، فيكون معنى الجمل غير تام إلا بالرجوع لمعنى الجمل

¹ - دي بوجراند و دريسلر ،مدخل إلى علم لغة النص ، ص: 27

² - صلاح الدين صالح حسين ،الدلالة والنحو ، مكتبة القاهرة ،(ط.دت) ص:228

³ - حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، ص : 143 وما بعدها.

⁴ - جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، ص: 142

⁵ - مصطفى حميدة ، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، ص: 176-177

الفصل الثاني **آليات الانسجام النصية والتداولية**

السابقة ، وهذا التلاحم والتماسك بين الجمل هو الذي يخرج المعنى للوجود ويسمح للنص بالديمومة والاستمرارية، وبهذا نبتعد عن التأويل الذي يكون في الغالب سببا في وجود ثغرات تعيق فهم النص .

وفي هذا يقول عادل مناع: " الروابط الدلالية جميعا تقوم مقام الإحالة على السابق البعيد وأرى أنّ تماسك النص السردي وانسجامه-كما يُرى في القصص القرآن الكريم- يتوقف على الترابطات السببية داخل جمل النص، فتذكر قضية في النص ثم يذكر بعدها الشيء المتسبب فيها فتكون علاقة السببية هي الرابطة بين هذين المعنيين (القضية-سببها) " (1).

يقول الغزالي في ردّه على الفلاسفة بخصوص السببية : " إنّ هذا الاقتران الملاحظ في الوجود بين الأسباب والمسببات، اقتران تلازم بالضرورة، فليس في المقدور، ولا في الإمكان إيجاد السبب دون المسبب، ولا وجود المسبب دون السبب " (2).

وتلعب هذه العلاقات دورا كبيرا في ربط النص بالسياق، إضافة إلى ربط المعاني بعضها ببعض، مما يُسهم في بناء النص رغم كونه في كثير من الأحيان جملا غير متجاورة فتُسهم هذه العلاقات بتتابع الجمل ضمنيا وارتباطها دون الاعتماد على أدوات أو روابط ظاهرة في النص، ذلك أنّها " حلقات الاتصال بين المفاهيم ، وتحمل كل حلقة اتصال نوعا

¹ - مناع عادل، نحو النص، اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية، مصر العربية للنشر، ط1، القاهرة، 2011، ص: 255.

² - أبو يعرب المرزوقي، مفهوم السببية عند الغزالي، دار أبو سلامة للطباعة، ط2، تونس، ص: 27.

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

من التعيين للمفهوم الذي ترتبط به بأن تحمل عليه وصفاً أو حكماً، أو تحدد له هيئة أو شكلاً، وقد تتجلى في شكل روابط لغوية واضحة في ظاهر النص، كما تكون أحياناً علاقات ضمنية يضيفها المتلقي على النص، ويستطيع بها أن يوجد للنص مغزى بطريق الاستنباط، وهنا يكون النص موضوعاً لاختلاف التأويل ⁽¹⁾

يرى (فان دايك) أن عملية الربط بين القضايا لا تقتصر فقط على العلاقات الدلالية بين الجمل، ولكنها تعتمد على العلاقات الإحالية، فيقول: "ترتبط قضيتان ببعضهما، إذ ترتبط معانيهما الإحالية، الوقائع التي تحيل إليها القضايا في تفسير ما مرتبطة بعضها ببعض" ⁽²⁾ ولا يمكن لمجموعة من الجمل "أن تشكل نصاً إلا إذا كانت مجموعة من العناصر الدلالية والإحالية مستمرة من جملة إلى أخرى محققة بذلك لمجموع هذه الجمل حداً أدنى من الاستمرارية" ⁽³⁾.

فالربط هنا لا يكون بين جملتين متتابعيتين، بل يتعدى ذلك إلى جمل تكون الأولى منها سبباً بينما الأخرى تكون نتيجة، وهذا يجعل المتلقي شريكاً في ربط سياق النص واستقبال الرسالة مبتعداً عن التأويل والشك، باعتماده على هذه العلاقات ليوحد نوعاً من

¹ - سعد مصلوح، نحو أجرومية النص الشعري، ص: 154

² - فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ص: 53

³ - مفتاح بن عروس، الاتساق والانسجام في القرآن، ص: 208

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

الربط تكون الأدوات فيه غائبة ، كما يلجأ المرسل إلى هذه العلاقات لتساعده على فهم الأحداث وتبيان سبب وقوعها .

كما " يستعين الكاتب بعلاقة السبب والنتيجة بين القضايا في ربط النص بالسياق الخارجي من خلال إحالة النص على السياق الخارجي مستخدماً فكرة الإسقاطات "(1)

2-2-1-3- علاقة الإجمال والتفصيل :

ترتبط مقاطع النص عن طريق "علاقات دلالية متمثلة في الإجمال والتفصيل ، ونعني بهذا إيراد معني على سبيل الإجمال ثم تفصيله أو تفسيره أو تخصيصه" (2)، عندما يكون المرسل مهتماً بمعني دون غيره ، وهذه العلاقات لا يكون لها وجود لفظي ظاهر، بل هي منطقية محضة، يلجأ أيها المرسل (منشئ النص) عندما يريد التفصيل فيه لفكرة مجملة ذكرت سابقاً، قصد التأثير في المتلقي، عن طريق تشريح جزئياتها تأكيداً للمعنى، وجعل المتلقي في خضم الأحداث كي يبعده عن التأويل والإبهام، فالقارئ المبدع تتولد في نفسه الرغبة في الإلمام بالموضوع وفهم حيثياته ، لأنّ علاقة الإجمال/التفصيل تمثل آلية من آليات استمرارية النص باعتبار أنّ كل كلمة أو دلالة فيه مبنية على ما سبقتها من كلمات في بنية النص ، و" تعدّ إحدى العلاقات الدلالية التي يشغلها النص لضمان اتصال المقاطع ببعضها عن طريق استمرار دلالة معينة في المقاطع اللاحقة، وقد أشرنا أيضاً إلى أنّ هذه العلاقة

1 - عزة شبل ، علم لغة النص ، النظرية والتطبيق ، ص: 209

2 - جميل عبد الحميد، البديع بين البلاغة واللسانيات النصية.ص: 146

الفصل الثاني آليات الانسجام النصية والتداولية

تسير في اتجاهين: إجمال تفصيل وتفصيل إجمال، مما ينقل النص من رتبة الوتيرة الواحدة إلى تنامٍ مطرد⁽¹⁾، حيث تعدّ هذه العلاقة ذات ازدواجية ، يكون الإجمال أولاً ثم يتبعه التفصيل، وهذا الأخير يفسّر الأول عن طريق تشريحه وتجزأته بصورة لا تقبل التأويل ولا تحتمل التقدير ، فالتفصيل يساعد بشكل مباشر على ربط التراكيب اللغوية عن طريق جسور منطقية تُدرك مباشرة من قبل المتلقي ، وهذا ما يجعل النص منسجماً محكم الترابط ، بحيث لا تظهر فيه الثغرات التي تعيق الفهم الصحيح ، فلو كان الإجمال دون ذكر التفصيل لكان النص مفتقراً للهدف الذي من أجله أنشئ ، ولغاب دور التأثير في المتلقي عن طريق هذه العلاقات، وهذه الأخيرة " لا يكاد يخلو منها نص يحقق شرطي الإخبارية والشفافية مستهدفا تحقيق درجة معينة من التواصل، سالكا في ذلك بناء اللاحق على السابق ، بل لا يخلو منها أي نص يعتمد الربط القوي بين أجزائه " (2) .

وقد عرّف الإجمال والتفصيل بعضهم فقال : " أن يأتي المتكلم بشرط بيت من شعر له متقدم في نثره أو أنظمه صدرا كان أو عجزا، يفصلّ به كلامه بعد أن يوطئ له توطئة ملائمة " (3) ، " فمن القصائد ما يكون اعتماد الشاعر في فصولها على أن يضمّن معاني جزئية لكون مفهوماتها شخصية، ومنها ما يقصد في فصولها أن تكون المعاني المتضمنة

¹ - محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 272.

² - محمد خطابي ، المرجع نفسه ، ص: 269

³ - علي صدر الدين ابن معصوم المدني، أنوار الربيع في أنواع البديع ، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان ط1 ،

النجف، 1969، ج: 6، ص: 166

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

إياها مؤتلفة بين الجزئية والكلية، وهذا هو المذهب الذي يجب اعتماده لحسن موقع الكلام به من النفس" (1) .

وعلاقة الإجمال والتفصيل من العلاقات الدلالية "التي ارتبط وجودها بوجود الشعر، فالكاتب حينما يذكر الشعر في رسالته فهو إما يبدأ فكرة ما ثم يعود فيكرر تناوله لها بشكل مجمل ، أو أنه يبدأ الفكرة نثرا ثم يعود فيكررها بشكل مجمل شعرا ، وسواء كان هذا أم ذاك فالكاتب يرغب في إظهار القضية بشكل جلي فيؤكد على وجودها بأن يظهرها مجملة بعد أن فصل فيها القول" (2) ، حيث تسهم هذه العناصر في شرح وتفسير العناصر المرتبطة بها.

كل هذا يضمن استمرارية النص ويحقق الغاية التي من أجلها وُجد النص ، ومن خلال هذه الاستمرارية تتحقق غاية التأكيد على ذكر التفاصيل التي يتشوق المتلقي لسماعها ، لأن المتلقي تتولد في نفسه رغبة معرفة التفاصيل، وهنا تنشأ بين المرسل والمتلقي علاقة وطيدة تحكمها هذه العلاقة الدلالية .

أما السيوطي فيرى بأنّ " المجمل ما لم تتضح دلالاته " (3) ، فيكون التفصيل صياغة للموضوع بنحو نبيّن من خلاله معالم الموضوع بحيث تتّضح أجزاؤه ومستوياته

¹ - القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص: 295.

² - حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، ص : 145 وما بعدها.

³ - السيوطي، الإتقان، ج 3، ص: 53

الفصل الثاني **آليات الانسجام النصية والتداولية**

وحدوده بشكل مفصّل بحسب متطلبات السياق ومعنى النص، فتكون التفصيلات بمثابة تشرّيح وتفسير لما سبق ذكره، وإذابة للمعنى وكون علاقات النص مرتبطة ببعضها ارتباطاً وثيقاً .

وقد عرفه الجرجاني بقوله " المُجمل ما خفي المراد منه بحيث لا يُدرك بنفس العبارة " (1)، فالمجمل عنده ما استعصى على المتلقي فهمه ، لذلك وجب على المرسل التنويع في الخطاب لإدراك المعنى من قبل المتلقي ، لأن المجمل لا يُفسّر اللفظ نفسه وعليه وجب الاستعانة بلفظ آخر من غير جنسه لتفصيله وشرحه وإيضاحه ، فيكون اللفظ المُفصّل مفسراً لمعرفة لدلالة المجمل ومزيلاً للإبهام الذي قد يقع فيه المتلقي ، لأن المجمل قد يفتح الباب للتأويل كونه منفتحاً على عدة معان ، فالمجمل يشحذ ذهن المتلقي ويثير الرغبة وحب التطلع لمعرفة المعنى المراد ، فيزداد شوقه لمعرفة التفاصيل ، فالتفصيل هنا كل كلام مفسر وشارح لمجمل لكلام موجز سبق ذكره ، والغرض منه بلاغي بحت ، وهو تبيان ما خفي من المجمل ، فمن خلاله يزال الإبهام والتأويل ، فعلى المتلقي ربط الكلام بما قبله وما بعده ، ووجب عليه مراعاة السياق ، وربط الأجزاء ببعضها ببعض كي تتضح الصورة ويظهر المقصود ، فكل إجمال يحتاج إلى تفصيل وبيان ، وبذلك يصبح النص كتلة متلاحمة يصعب الفصل بين أجزائه .

والإجمال والتفصيل، يتخذ أشكالاً متنوعة :

¹ - الجرجاني، التعريفات ، تحقيق: إبراهيم الأبياري، مطبعة دار الكتاب العربي - بيروت، 1409هـ، ص: 261

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

- 1- الشكل المباشر: وهو أن يأتي الإجمال أولا ، ثم يفصل بعده مباشرة في السياق نفسه .
 - 2- الشكل غير المباشر: وهو أن يأتي الإجمال في النص أولا ثم يفصل في أجزاء متفرقة من النص .
 - 3- الشكل البنائي: وهو أن يطرح الشاعر أو الكاتب الموضوع في بداية النص بنحو مجمل، ثم يفصل الموضوع في النص بأكمله .
 - 4- الشكل المتدرج: وهو أن يطرح الشاعر أو الكاتب الموضوع مجملا، ثم يفصل تدريجيا بحيث تُراعى من خلاله مستويات فهم للقارئ
- وقد يرد التفصيل قبل الإجمال وهذا قليل الحدوث ، فيكون الإجمال ملخصا لما سبق ذكره.

2-2-1-4- علاقة الشرط والجزاء:

الشرط في اللغة يعني الإلزام أو الالتزام، جاء في اللسان: "الشرطُ إلزامُ الشيء والتزامه في البيع ونحوه والجمع شروط." (1) ، ونقصد به هنا ربط جملتين بأداة؛ بحيث يتوقف وجود إحداها على وجود الأخرى.

فالجملة الشرطية هي التركيب المبني على تألف جملتين بعلاقة إسنادية مركبة تحصل منها الفائدة المطلوبة بعلاقة ومصاحبة، وتكون بمنزلة الجملة الواحدة، فالجملة الشرط بمنزلة الكلمة المفردة، التي تألف مع كلمة مفردة أخرى هي جملة الجواب، ومن مجموع الجملتين لا في واحدة منهما دون الأخرى يكون استقلال الكلام وإفادته، قال الجرجاني :

¹- ابن منظور لسان العرب ، مادة(شرط)

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

" إنَّ الشرط والجزاء جملتان وجب تصاحبهما فجزتا مجرى الجملة الواحدة ، فقولك : إن تكرمه بمنزلة أخوك، وقولك :يكرمك بمنزلة منطلق في احتياج أحدهما إلى صاحبه وامتناعه من أن يستقل بنفسه " (1).

فعلاقة الشرط علاقة ارتباط وتلازم، بحيث يتم تعليق حدوث الجواب على حدوث الشرط، ذلك أنَّ الشرط افتراض لمضمون قد يقع أولاً يقع، فإذا وقع حدث الشرط كان جوابه ونتيجته، وإذا لم يقع الشرط فقد انتفى الجواب، وتكمن العلاقة في الشرط بين سببين يكون أحدهما متما للآخر ومسببا له، فأسلوب الشرط يستعمل للربط بين جملتين يكون حصول مضمون الأولى منها شرطاً في حصول مضمون الثانية عن طريق توفر أكثر أركان الجملة الشرطية ، وتكون العلاقة التي تنشأ بين جملتي الشرط منطقية تبعية، فـ " الاتباع قد يكون على أنَّ وضع المقدم وهو المنسوب إليه، وهو المقرون به الحرف الأول للشرط الذي يقتضي جواباً هو الجزاء، يقتضي لذاته أن يتبعه التالي ...، يتناول ابن سينا في قوله العلاقات الضمنية بين مكوني القضية الشرطية، حيث أسماهما بالمقدم، أي جملة الشرط والتالي أي جواب الشرط، واعتبر أنَّ هذه العلاقات تتراوح بين العلة (السبب) واللزوم والتلازم (حين تستلزم القضيتان بعضهما بعضاً) " (2) .

¹ - ليث أسعد عبد الحميد، الجملة الوصفية في النحو العربي ، دار الضياء للنشر والتوزيع ، ط1 ، عمان-الأردن، 2006،

2 - مروان مولاي العلوي، الشرطيات في لسانيات الخطاب، دراسة في ضوء المنطق والدلالة الصورية، نور

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

فالجملـة الشرطية " تنشئ علاقة منطقية بين جملتين، قد تكونان متتابعـتين بحيث يدعو السياق الذهن إلى إدراك العلاقة بينهما، وحينئذ يكون أحد المورفيمات عادة هو دليل هذه العلاقة ، وتلك هي الحالة الشرطية " (1).

2-2-1-5- العموم والخصوص:

يعرف العام بأنه لفظ "دال على جميع أجزاء ماهية مدلوله" (2) ، وفي ضوءه حدد الخاص بأنه "قصر العام على بعض أجزائه" (3) .
ونمثل لهذه العلاقة بالعلاقة بين عنوان النص ومحتواه، فالعنوان "يأتي بصيغة العموم بينما بقية النص هي تخصيص له" (4) ، كما أن العنوان مجمل لما سيأتي مفصلاً، وقد يكون العنوان منطلقاً عاماً يخصص عن طريق القصائد .

ومما لا يخفى على أحد، أن مثل هذه العلاقات تساهم بشكل كبير في انسجام النص عن طريق استمرار معنى أو دلالة في النص، لما لها من وظيفة الربط عن طريق تواردها في ظاهر النص، فتترتب الأفكار وتتنظم وفقاً لمقصدية المرسل، فيكون معنى علاقة العموم

¹ - هنري فليش ، العربية الفصحى دراسة في البناء اللغوي، تحقيق عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب، ص: 304

² - مصطفى السعداني ، مدخل إلى بلاغة النص ، منشأة المعارف الإسكندرية ، ص : 53

³ - نفسه، ص : 53

⁴ - محمد خطابي، لسانيات النص، ص : 272

الفصل الثاني ————— آليات الانسجام النصية والتداولية

والخصوص ظاهراً ولا يحتاج إلى تأويل، وهذه العلاقة تساعد على ربط الوحدات المتجاورة فتجعل النص محكماً منسجماً .

2-2-1-6- قاعدة التدرج:

كل العلاقات السابقة تقودنا للحديث عن التدرج ، فالنص لا يكون منسجماً في كل مستوياته إلا إذا تدرج، فليس من المعقول أن نتصور نصاً دون وجود تدرج ، والذي هو آلية من آليات الانسجام النصي ، ويعمل على ربط المعاني السابقة باللاحقة، ويظهر حسن التخلّص وجودته بحسن التدرج والانتقال من معنى لآخر يقول **حازم القرطاجاني** إنّ الكلام يكون: " غير منفصل بعضه من بعض، وأن يحتال فيما يصل بين حاشيتي الكلام، ويجمع بين طرفي القول، حتى يلتقي طرفا المدح والنسيب أو غيرهما من الأغراض المتباينة التقاء محكماً"⁽¹⁾.

2-2-1-7 - الترادف (Synonyme):

ونعني به تكرار المعنى دون اللفظ ، وقد يتكرر أكثر من مرة في النص، ولأكثر من كلمة ، ومن ثم تتسع المساحة التي يحدث فيها سبكا .
ويعدّ التّرادف وسيلة من وسائل الانسجام النصي الذي يربط بين كلمتين لهما نفس المعنى تقريباً، " ينفي الشعور بالرتابة مع إضافته تنوعاً إلى المحتوى، يعمد إلى تأكيد فكرة

¹ - القرطاجاني، منهاج البلاغة، ص: 319.

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

ما أو إثباتها أو الحث عليها"⁽¹⁾. ويقدم المحاور الرئيسة التي تتواجد "بتواجد الكلمات الأساسية (المفاتيح) المترادفة فيما بينها أحياناً والمكررة لفظاً ودلالة في أحيان أخرى"⁽²⁾.

للترادف أشكال ربط متعددة، فقد يقع داخل الجملة الواحدة، "عندئذ يكون مدى الربط قصيراً نسبياً، وقد يقع بين جملتين، عندئذ يكون المدى الربط طويلاً نسبياً"⁽³⁾.

2-2-2- مبدأ التغريض (The Matisation):

يقوم مبدأ التغريض بالبحث في العلاقة التي تربط موضوع الخطاب (النص) بالعنوان، ذلك أنّ العنوان هو العتبة الأولى لفهم النصوص، ولقد اهتمت الدراسات الأدبية والنقدية بالعنوان لأنه عن طريقه تُفك شفرات النص وتحل مغاليقه وطلاسمه، "وهو أول لقاء مادي محسوس يتم بين المرسل (الناص) والمتلقي أو مستقبل النص"⁽⁴⁾، فتكون عناصر الخطاب حديثاً عن موضوع واحد، ذلك أنّ للتغريض "علاقة وثيقة مع موضوع الخطاب ومع عنوان النص"⁽⁵⁾ والموضوع في أيّ خطاب (نص) يعتبر نقطة الانطلاق والركيزة الأساسية التي يعتمد عليها المرسل لجذب انتباه المرسل إليه (المتلقي)، كونه "نقطة بداية

¹ - حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، ص: 109.

² - المرجع نفسه، ص: 110.

³ - عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص: 149.

⁴ - بسام قطوس، سيميائ العنوان د.د.، ط1، الأردن، 2001، ص: 36

⁵ - محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 293.

الفصل الثاني آليات الانسجام النصية والتداولية

قول ما⁽¹⁾، فهو يثير في المتلقي ويجعله يتوقع كل ما يتضمنه النص ، وعده كل من براون ويول أهم الوسائل وأقواها⁽²⁾ ، إذ يحوي هذا المبدأ على كم هائل من الرموز، يقوم المتلقي بتأويلها لفهم نقطة بداية خطاب ما.

فالعنوان "يقدم لنا معونة كبرى لضبط انسجام النص وفهم ما غمض منه، إذ هو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه، وهو الذي يحدد هوية القصيدة ، فهو - إن صحت المشابهة- بمثابة الرأس للجسد، والأساس الذي تبنى عليه"⁽³⁾، فهو في هذه الحال يساعد المتلقي على أن يفهم بقيّة النص ويؤوله أيضاً، انطلاقاً من الجملة الأولى التي "تشكل جزءاً من تعليمات تتطور وتتراكم لتعلمنا كيف نبني تصوّراً مترابطاً للخطاب"⁽⁴⁾، ولأنّه أيضاً " يتولّد من القصيدة ، وما من شاعر حق إلا ويكون العنوان عنده آخر الحركات ، وهو عمل في الغالب عقلي ، وكثيراً ما يكون اقتباساً محرفاً لإحدى جمل القصيدة ، وعلى الرغم من لا شاعرية العنوان فإنه أول ما يداهم بصيرة القارئ"⁽⁵⁾ .

¹ - براون ويول، تحليل الخطاب، ص 147.

² - ينظر : محمد خطابي، لسانيات النص ، ص 60.

³ - محمد مفتاح ، دينامية النص ، تنظير وإنجاز ، ص 72

⁴ - براون ويول، المرجع السابق ، ص 155.

⁵ - عبد الله الغدامي ، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريرية، نظرية وتطبيق ،المركز الثقافي العربي ، ط 6 ،

الفصل الثاني **آليات الانسجام النصية والتداولية**

يعتمد هذا المبدأ على استناد المتلقي لثيمة النص ، والثيمة هي بداية قول ما، فقد تكون العنوان أو جملة البداية ، فللعنوان " أداة إبراز لها قوة خاصة ... لو استعملنا عبارة أكثر دقة للحديث عن هذه العلاقة لقلنا أننا عندما وجدنا اسم رجل مبرزاً في عنوان النص توقعنا أن يكون ذلك الشخص محور الحديث، ويترتب عن خاصية خلق التوقعات هذه والموجودة في عملية صياغة الخبر وخاصة صيغة العنوان ، إنّ العناصر المبرزة لا تمدنا فقط بنقطة انطلاق نبني حولها كل ما يكمن في صلب الخطاب ، بل إنّها تمدنا كذلك بنقطة انطلاق تحد من إمكانيات فهمنا لما يلحق"(1) .

يرى محمد خطابي أنّ " مفهومي التّغريض والبناء يتعلّقان بالارتباط الوثيق بين ما يدور في الخطاب وأجزائه ، وبين عنوان الخطاب أو نقطة بدايته "(2) ، فهو "ينتظم على شكل متتاليات من الجمل متدرجة لها بداية ونهاية فإنّ هذا التّنظيم، يعني الخطيّة، سيتحكم في تأويل الخطاب بناء على أنّ ما يبدأ به المتكلم أو الكاتب سيؤثر في تأويل ما يليه"(3).

فالتّغريض "كإجراء خطابي يطرّ وينمي به عنصر معين في الخطاب ، وقد يكون هذا العنصر اسم شخص أو قضية ما أو حادثة ...أما الطرق التي يتم بها التّغريض فمتعددة

¹ - براون ويول، تحليل الخطاب ، ص:162.

² - محمد خطابي، لسانيات النص، ص:59.

³ - محمد خطابي، المرجع نفسه ، ص:59.

الفصل الثاني **آليات الانسجام النصية والتداولية**

نذكر منها ،تكرير اسم الشخص ، واستعمال ضمير محيل إليه،تكرير جزء من اسمه،استعمال ظرف زمان يخدم خاصية من خصائصه ، أو تحديد دور من أدواره في فترة زمنية "(1).

ويرى صلاح فضل أنّ للعنوان " أهمية بارزة في تحديد النص الأدبي، فعن طريق هذا العنوان تتجلى جوانب أساسية،أو مجموعة من الدلالات المركزية للنص الأدبي...ويصبح الشروع في تحليل العنوان أساسيا عندما يتعلق الأمر باعتباره عنصرا بنيويا يقوم بوظيفة جمالية محددة مع النص " (2).

كما أكدّ فان دايك على أهمية العنوان ودوره في بناء وفهم النصوص،لأنّ نقطة انطلاق أي نص هي عنوانه ، إذ له "وظيفة إدراكية مهمة تهيء القارئ أو السامع لأن يبني التفسير الأكبر(الصحيح) للنص، فهو يتلقى بذلك وسيلة معينة لتخمينه،يمكن من خلالها أن يعالج النص " (3).

وقد استعمل غريماس مفهوما أعمّ منه إذا اصطلح عليه بمفهوم البناء الذي هو "كل قول، كل جملة، كل فقرة، كلّ حلقة،وكلّ خطاب منظم حول عنصر خاصّ يتّخذ كنقطة بداية"(4) فالبناء عند غريماس مجموعة من العناصر المتماسكة فيما بينها بحيث يتوقف كل عنصر على باقي العناصر ويتحدد من خلال علاقته بمجموعة العناصر الأخرى،فالعنوان

¹ - محمد خطابي، لسانيات النص ، ص:59.

² - خلود العموش ، الخطاب القراءاني، ص: 411

³ - فان دايك ، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ص: 88

⁴ - محمد خطابي، المرجع السابق، ص:59.

الفصل الثاني آليات الانسجام النصية والتداولية

والجملة الأولى من أهم وسائل التغريض كونهما منطلق النصوص ،وكون النص متوالية من الجمل فإنّ لها بداية ونهاية ، يتكئ عليها المتلقي في تأويله للخطابات ، وهذا ما أكدّه الأزهر الزنّاد عندما عدّ الجملة الأولى في أي نص "تمثل معلما عليه يقوم اللاحق منها ويعود، وداخل تلك الجملة نفسها يمثل اللفظ الأول منها معلما تقوم عليه سائر مكوناتها"¹

ويعتبر العنوان مدخلا رئيسا لفهم مغزى النص ،فمن خلاله تتضح الرؤى وتفك الشفرات .

¹ - الأزهر الزنّاد ، نسيج النص ، ص: 67

3-2- الجانب التداولي:

2-3-1- السياق:

يعتبر السياق أهم الآليات المحققة للانسجام، فبه يُكتشف الغموض واللبس في النصوص، وقد اهتم بدراسته اللغويون الغربيون وأسسوا له مدراس خاصة كفيرث (Firth) صاحب نظرية السياق⁽¹⁾، وهي من النظريات الحديثة و تعني بدراسة المعنى عن طريق توظيف كل ما يحيط بالموقف الكلامي من قرائن لفظية وحالية ومقامية، فهذه النظرية وإن كانت حديثة إلا أنّ لها جذورا في الدرس العربي النحوي والبلاغي والأصولي.

فالسّياق قرينة من القرائن المساعدة على فهم الخطاب، و يكون ظاهرا بارزا لا يحتاج إلى تفسير أو تأويل، وأحيانا آخر يحتاج إلى شيء من ذلك، وهو إما أن يكون مقاليا (لغويا) أو مقاميا (غير لغوي)، إن كان الفقهاء والأصوليون قد اهتموا بالسّياق اهتماما كبيرا وذلك لعلاقته بعلم الدلالة، كما كان البلاغيون قديما لا يتجاوزون الوصف في حديثهم عن السّياق، فلم يتناولوا سوى بعض الإشارات والملاحظات لهذا الاستعمال، كما أنّ للسّياق بعدا تداوليا كون الاتصال بين المرسل والمرسل إليه لا ينشأ من فراغ، وإنما يكون التواصل لهذا الغرض الاجتماعي معبرا عن مواقفه بكلمات تتوافق مع ما يقتضيه المقام، ومعنى هذه الكلمات لا يتحدد إلا من خلال علاقة الكلمة بغيرها في تتابع الكلام

1 - قسم فيرث السياق إلى : سياق لغوي، وسياق الموقف، وسياق عاطفي، وسياق ثقافي .

الفصل الثاني **آليات الانسجام النصية والتداولية**

الذي يكون كـ " السلسلة المتتابعة على هيئة صور في رسم أي مجموعة فعلية من الأحداث يمكن ملاحظتها " (1).

وللسياق ألفاظ كثيرة تؤدي المعنى نفسه ؛ كالمقام (2)، ومقتضى الحال، والقرينة، وكلّ هذا التنوع والتفاوت تؤدي فيه الألفاظ والمصطلحات المعنى نفسه، والحديث عن السياق في المعاجم العربية يقودنا للحديث عن المعاني المختلفة للسياق، لما لهذا اللفظ من معان متعددة بعيدة كلّ البعد عن التعريف اللساني الحديث، لهذا ارتأينا أن نبدأ بالتعريف الذي وضعه الزمخشري في مؤلفه أساس البلاغة، حيث قال: " وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يُساق الحديث " وهذا الكلام مساقاة إلى كذا، وجئتُك بالحديث على سَوّقه: على سرده " (3) ، فالزمخشري استعمل معنى مختلفاً للسياق الذي نحن بصدد دراسته، فالسياق هنا مرتبط بكل حديث كلامي، أي أثناء التداول.

يرى الجرجاني بأنه ليس للألفاظ مزية وهي منفردة ولا تعرف دلالتها إلا من خلال سياقها، إذ " إنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة ،

¹ - بالمر ،علم الدلالة إطار جديد، ص: 77

² - يجب التفريق بين مصطلح المقام المستعمل من قبل البلاغيين العرب قديما وبين مصطلح السياق حديثا ، فالمقام عناصره ثلاثة: 1- المخاطب، 2- المخاطب، 3- الخطاب ، أما السياق بالمعنى اللساني الحديث فيعدّ في الدرس اللساني علماً غربياً حديث النشأة، سنتطرق لاحقا إلى أهم عناصره ، وأمام فوضى المصطلحات وكثرتها والخلط بين المصطلحين ، وجب على الدارسين التفريق بينهما.

³ - جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: عبد الحليم محمود، دار المعرفة، بيروت، (د ت). ص: 225.

الفصل الثاني آليات الانسجام النصية والتداولية

وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ⁽¹⁾.

ونلاحظ من خلال تعريف الجرجاني أنه حصر مصطلح السياق في مجال الجملة أو الكلمة المفردة وائتلافها مع لاحقها ولم يتطرق إلى مصطلح السياق وعلاقته بالنص، لكن مهما يكن، فإنّ التعريف لم يتناول الاعتبارات المقامية أو المعرفية، فرغم كثرة المصطلحات الدالة عليه إلا أنّها متقاربة في المعنى في معظمها، فليس معنى السياق وليد الدراسات الغربية الحديثة، بل هو متجذر في كتب التراث، ولعل قول القرطاجني خير دليل على ذلك إذ يقول: "وأحسن مواقع التخيل أن يناط بالمعاني المناسبة للغرض الذي فيه القول كتخيل الأمور السارة في التهاني والأمور المفجعة في المراثي، فإنّ مناسبة المعنى للحال التي فيها القول وشدة التباسه بها يعاون التخيل على ما يراد من تأثر النفس لمقتضاه، ويحسن موقع التخيل من النفس أن يترامى بالكلام إلى أنحاء من التعجب فيقوى بذلك تأثر النفس لمقتضى الكلام" (2).

ففي قول القرطاجني وجوب ارتباط المعاني بالألفاظ، أي توافق المعاني مع المقام أو ما يصطلح عليه حديثاً بالسياق، ويعتبر من المصطلحات الشائعة والمؤثرة في الدرس اللغوي الحديث، خصوصاً في الدراسات التداولية، التي تعدّه أساساً من أسسها المكيّنة،

¹ - الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 46

² - القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص: 90

الفصل الثاني = آليات الانسجام النصية والتداولية

وأصبحت تعرف مجموعة الظروف التي تحفّ حدوث فعل التلّفّظ بموقف الكلام، في بعض الأحيان، بالسياق (contexte)⁽¹⁾.

وقد تعدّدت تسميات اللسانيين للسياق، فيطلق عليه محمود السعران في مؤلفه " علم اللغة مقدمة للقارئ العربي " بالموقف الكلامي وذلك عند حديثه عن المدارس الغربية ونظريات اللغويين في علم الدلالة في الباب الرابع من مؤلفه ، حيث يرى محمود السعران ما يراه أستاذه فيرث مؤسس نظرية السياق بأنّ المعنى " كل مركب من مجموعة من الوظائف اللغوية ، وأهم عناصر هذا الكل هو الوظيفة الصوتية ثم المورفولوجية والنحوية والقاموسية والوظيفية الدلالية لـ(سياق الحال) ولكل وظيفة من هذه الوظائف منهجها الذي يُراعى عند دراستها " (2) .

ويعرف السعران السياق بقوله " هو جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي أو للحال الكلامية " (3).

أما العناصر المكونة للموقف الكلامي عند محمود السعران فهي :

1- شخصية المتكلم والسامع ، وتكوينهما (الثقافي)، وشخصيات من يشهد الكلام

غير المتكلم والسامع - إن وجدوا - وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي .

¹- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 41.

²- محمود السعران، علم اللغة، (مقدمة للقارئ العربي) ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (دط، دت)، ص: 312

³- محمود السعران ، المرجع نفسه ، ص: 311

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

2- العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة وبالسلوك اللغوي لمن يشارك في

الموقف الكلامي كحالة الجو إن كان لها دخل وكالوضع السياسي وكمكان الكلام... إلخ

3- أثر النص الكلامي في المشتركين كالاقتناع أو الألم أو الإغراء أو الضحك... إلخ⁽¹⁾.

كما يركز السعران على الدور الاجتماعي الذي يقوم به المتكلم مع مشترك العملية التخاطبية التواصلية، ويجب مراعاة هذا الموقف الكلامي، وهذا الذي قال به أستاذه فيرث، الذي يجعل من السياق أساساً لصحة الكلام خلافاً لما اعتمدته البلاغيون العرب في الحكم على بلاغة الكلام.

كما يعرف تمام حسان السياق بقوله "المقصود بالسياق (التوالي) ، ومن ثم ينظر إليه

من ناحيتين :

- أولاًهما :توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك ، والسياق من هذه الزاوية يسمى

(سياق النص) .

- والثانية : توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال ومن هذه

الناحية يسمى السياق " سياق الموقف " ⁽²⁾ .

¹- محمود السعران، علم اللغة، ص: 311.

² - تمام حسان، قرينة السياق ، بحثُ قدّم في (الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المؤي لكلية دار العلوم) مطبعة عبير للكتاب،

1993م، ص: 375.

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

وأطلق عليه أيضا تمام حسان المقام⁽¹⁾ فيقول : " فالمعنى بدون المقام سواء أكان وظيفيا أم معجميا، متعدد ومحتمل لأنّ المقام هو كبرى القرائن، ولا يتعين المعنى إلا بالقرينة " (2) ، ثم يواصل تمام حسان حديثه عن المقام فيقول : " المقام هو حصيلة الظروف الواردة طبيعية كانت أو اجتماعية، أو غير ذلك في الوقت الذي تم فيه أداء المقال، أما الظروف غير الواردة فلا ضرورة لإرباك خطة تحليل المعنى بذكرها وشرحها وما دام المعنى على إطلاقه مركبا على هذا النحو ... ولا يكفي أن نفهم المعنى المعجمي لحشد كبير من كلمات هذه اللغة أيضا لأن نفهم المعنى فهما كاملا مادام (المقام) غير مفهوم " (3) .

ويعرفه أحمد عمر بأنه "استعمال الكلمة في اللغة أو الطريقة التي تستعمل بها ، أو الدور الذي تؤديه" (4) .

من خلال هذه التعريفات نلاحظ أنّ كل التعريفات وإن اختلفت فهي تحمل معنى واحدا يتمثل في كل ما يتعلق بالعوامل الخارجية المساهمة في تكوين وإنشاء السياق وما يتعلق بالظروف الاجتماعية والنفسية والثقافية.

أما السياق في المعاجم اللغوية الغربية، فنجد أن مصطلح (context) ، الذي يتألف من " السابقة (con) تعني المشاركة، أي توجد أشياء مشاركة في توضيح

¹ - ينظر : تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص:20 و 39.

² - تمام حسان، المرجع نفسه ، ص: 40

⁴ - المرجع نفسه ، ص:41

⁴ - ينظر: أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، عالم الكتب، القاهرة ط5، 1998، ص: 86

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

النصّ، "With The Text" وهي فكرة تتضمن أموراً أخرى تحيط بالنصّ كالبينة المحيطة، والتي يمكن وصفها بأنّها الجسر بين النصّ والحال" (1).

وقد ورد تعريف السيّاق في معجم اللسانيات " نسمي السيّاق الموضوعي أو سياق الحالة هو مجموعة الظروف الاجتماعية والثقافية الطبيعية التي يقع فيها الملفوظ وهو الخطاب ، هذه هي البيانات (المعطيات) المشتركة بين المرسل والمستقبل على الوضع الثقافي والنفسي ، والخبرات والمعرفة لكل منهما" (2).

فمفهوم السيّاق عند جون دي بوا (Jean Dubois) محدّد بمراحل ثلاث ، بدءا بالسياق/السياق اللغوي ، والسياق الموقفي/سياق المواقف، ومجموع الظروف الاجتماعية والثقافية المتعلقة بالملفوظ/ خطاب، و يساعد على فهم المعنى، هذا المعنى يقول عنه جون لاينز : " أما المعنى فهو هبة العلاقات ونتيجتها فمعنى أي تعبير هو مجموع العلاقات القائمة بينه وبين التعابير الأخرى. وبعبارة أخرى المعنى هو القيمة الدقيقة التي يكتسبها المدلول المجرد من سياق ما، وأما الدلالة فتمثل العلاقات القائمة من حيث الأساس بين التعابير

¹ - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة التطبيقي، ج1، ص: 108.

²- «On Appelle Contexte Situationnel Ou Contexte De Situation L'ensemble Des Conditions Naturelles Sociales Et Culturelles Dans Lesquelles Se Situe Un énoncé ; Un Discours . Ce Sont Les Données Communes àl'émetteur Et Au Récepteur Sur La Situation Culturelle et Psychologique , Les Expériences et Les Connaissances De Chacun Des Deux » Jean Dubois et autres, Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, Larousse . P116

الفصل الثاني = آليات الانسجام النصية والتداولية

والكيانات المادية في العالم الخارجي " (1) ، فهو إطار عام " تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية ومقياس تتصل بواسطته الجمل فيما بينها وتترابط، وبيئة لغوية وتداولية، ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النص للقارئ، فلا يفهم معنى كلمة أو جملة إلا بوصفها بالتالي قبلها أو بالتالي بعدها داخل إطار السياق " (2).

فالسّياق هو ما يصاحب اللفظ " ممّا يساعد على توضيح المعنى، وهو التّتابعات الأسلوبية التي يجري عليها الكلام وهيكلته، أي التي تنسج مدخلاتها، ومخرجاتها، وفق المنهج السّياقي (Approche Contextuelle) الذي يسميه بعض اللسانيين منهج الدراسة العملي (Operational Approach)، ويمثّل المكونات الرأسيّة التي تحيط بالنّصّ وتتجدّد من خلاله أبعاده الدلالية، والجوّ العام الذي يحيط بالكلمة وما يكتنفها من قرائن وعلامات، فالكلمة الواحدة والجملة الواحدة قد تحمل كلّ منهما مدلولين متناقضين تمامًا، دون أن تختلف الكلمة في بنائها الدّخلي، وإنّما الذي يتغيّر هو السّياق والقرائن المحيطة، فالسياق يعني في دلالاته الأولى البنية اللغوية التي تتّصل بما قبلها وبما بعدها وهو ما نطلق عليه السّياق

¹ - جون ليونز، اللغة والمعنى والسياق بتصرف، ص: 62-63 .

² - عبد الرحمن بو درع، أثر السياق في فهم النص القرآني، مجلة الإحياء المغربية، عدد/ 25، جمادي الثانية

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

اللغوي أو المقالي، ويعني في دلالاته الأخرى الظروف والملابسات التي تحيط بالحدث اللغوي أو غيره وهو ما ندعوه بالسياق غير اللغوي أو المقامي " (1).

أما ديكرو (O. Ducrot) فيجعل السياق مرتبطاً بمقام الخطاب الناتج شفاهة أو كتابة، لذا "يجب أن نفهم من هذا المحيط المادي والاجتماعي الذي يأخذ الظرف فيه مكانه، والصورة التي تكون للمتخاطبين عنه، وهويّة هؤلاء، والفكرة التي يصطنعها كلّ واحد عن الآخر (بما في ذلك التمثيل الذي يمتلكه كل واحد عما يفكر به الآخر)، والأحداث التي سبقت التعبير (لاسيما العلاقات التي كان يمتلكها المتخاطبون من قبل، وتبادلات الكلام حيث يحشر التعبير المعني نفسه) " (2).

يرى هاليداي أنّ النصّ والسياق يشكّان وجهين لعملة واحدة، ذلك أنّ السياق بحسب مفهوم هاليداي هو النص الآخر، أو النصّ المصاحب للنصّ الظاهر، والنص الآخر لا يشترط أن يكون قولياً، إذ هو يمثّل البيئة الخارجيّة للبيئة اللغويّة بأسرها، وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثّل اللغوي ببيئته الخارجيّة، ونظراً لأنّ السياق يسبق في الواقع العملي

¹ - فاطمة الشيدي، المعنى خارج النص، أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب دار نيوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، 2011، ص: 20-21.

² - أوزوالد ديكر و جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، ط2، المغرب، 2007، ص: 677.

الفصل الثاني آليات الانسجام النصية والتداولية

النص الظاهر أو الخطاب المتصل به، فقد رأى هاليداي أن يعالج موضوع السيّاق قبل أن يعالج موضوع النص (1).

و يجعل هاليداي السيّاق ما يُتوقع أو ما يفسّر قول الآخرين، وهذا ما يجعل عملية الاتصال ممكنة وسهلة، لذا فمهمّة اللغوي حسب هاليداي تتركّز في معرفة الوسائل التي تمكّن المشاركين في الخطاب اللغوي من تأسيس تلك التوقّعات، وفي مقدمة تلك الوسائل يأتي السيّاق (2)، و لهذه التوقّعات أثر بارز في التغلب على " التنظيم العرفي للنظم الافتراضية، فإن من الممكن أن يجري هذا المصدر عندئذٍ تعديلات على التوقّعات المستندة إلى المصادر السابقة الأخرى" (3)، ويكون "الانتقاء الخاص للبدائل وتخطيطها من بين النظم المشاركة في نص ما بمفرده، أو مجموعة من النصوص، أو نوع نص ما، أو عصر تاريخي بأكمله، أو لغة بأكملها تشهد بقدرة مستعملي اللغة على إيجاد توقّعات محددة من أجل مواقف من جميع الأحجام. فإذا كان نص ما ينتمي إلى نوع متخصص جداً، فلربما يصبح بهذه الصفة سهل التوقع فيلزمه أن ينفصل عن الأسلوب الذي أنشأه بنفسه" (4). وهذا ما يجعل النصوص الشعرية والأدبية، تمتاز "بانتزاع اهتمام خاص بأساليبها مما يفرض على المنتجين إنفاق قدر ملحوظ من الانتباه والعناية على إجراءات الاختيار، غير أنّه من الممكن إحداث زيادة

¹ - ينظر: يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، ص: 29.

² - يوسف نور عوض، المرجع نفسه، ص: 30 .

³ - إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد، مدخل إلى علم لغة النص، ص: 197.

⁴ - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 265.

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

في الإعلامية أحياناً، عند خروج المرء على أسلوبه الثابت الخاص ، وإن كان الإكثار والتشدد في اتباع هذا الاتجاه يمكن أن يُدخل من الإرباك في أذهان المستقبلين ما يجعلهم عاجزين عن استغلال النص⁽¹⁾.

وتختلف مقومات السياق من لساني لآخر ، فهو عند براون ويول مكوّن من المتكلم والمستمع⁽²⁾ ، وكلاهما يلعب دور المشارك في الحدث الكلامي ، ويضيف إليهما يول وبراون الزمان والمكان ، وينبغي على محلل الخطاب " أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي ورد فيه مقطع الخطاب ، والسيّاق عندهما يتشكل من : المتكلم والمتلقي ، والإطار الزمني والمكاني للحدث اللغوي " ⁽³⁾ ، لأنه يؤدي دوراً فعالاً في تأويل الخطاب.

فمحلل الخطاب "لا يهدف إلى وضع قواعد صارمة وإنما إلى تتبع مظهر خطابي معين للوقوف على درجة تكراره من أجل صياغة اطراد به بمعنى أن هدفه هو الوصول إلى اطرادات وليس إلى قواعد معيارية باعتبار أن معطياته خاضعة للسياق الفيزيائي والاجتماعي وأغراض المتكلمين واستجابة المستمعين..."⁽⁴⁾ ، لذلك فإنّ محلل الخطاب يتّبع " المنهجية التقليدية للسانيات الوصفية، فهو يسعى إلى وصف الأشكال اللغوية التي تقع في أمثله في

¹ - إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد، مدخل إلى علم لغة النص ، ص:197.

² - ينظر: براون ويول ، تحليل الخطاب ، ص: 45

³ - المرجع نفسه: ص:35.

⁴ - محمد خطابي، لسانيات النص، ص:49.

الفصل الثاني **آليات الانسجام النصية والتداولية**

إطار علاقتها بالسياقات التي ترد ضمنها... ، إنَّ محلل الخطاب يسعى إلى اكتشاف مظاهر الاطراد في مادته اللغوية ووصفها" (1).

2-3-2-أهمية السياق:

للسَّيِّاق دور مهم في تحديد المعنى ، وقد أكَّد اللسانيون في دراساتهم لهذه النظرية على الوظيفة الاجتماعية للغة ودور السياق في تنوع الدلالة ، فالسَّيِّاق آلية من آليات الانسجام ، فمن خلاله يمكن الوصول إلى معنى النص ، ويتغيَّر المعنى بتعدد السَّيِّاق ، ولا يمكن أن يُنتَج نصًّا بمعزل عن سياق ، فهو "متضمن داخل التعبير المنطوق بطريقة ما ويقوم السياق في أحيان كثيرة بتحديد الدلالة المقصودة من الكلمة في جملتها ، ومن قديم أشار العلماء إلى أهمية السَّيِّاق أو المقام وتطلبه مقالا مخصوصا يتلاءم معه" (2) ، فالتعريف هنا يركز على اللغة المنطوقة ، وتبيان أهمية العلاقة بين المتكلم وما يريد إيصاله من معنى والمتلقي وما فهمه من الرسالة بعيدا عن التأويل ، والأحوال المحيطة بالعملية التواصلية فالمعنى لا يتحدد خارج السَّيِّاق ، والذي " يعيِّن قيمة الكلمة في كل الحالات التي ناقشناها إنّما هو السَّيِّاق ، إذ إنّ الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جوٍّ يحدد معناها تحديدا مؤقتا .

¹ - براون ويول ، تحليل الخطاب ، ص : 28 .

² - محمد حماسة عبد اللطيف ، النحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي) ، دار الشروق ، ط1 ، القاهرة 1420 هـ

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

والسِّيَاق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدلّ عليها ، والسِّيَاق أيضاً هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها . وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية " (1)

يرى محمد حماسة أن أهمية السِّيَاق تساعدنا في الوصول إلى (المعنى النحوي الدلالي) فيقول: " ولا تكون للعلاقة النحوية ميزة في ذاتها، ولا للكلمات المختارة ميزة في ذاتها، ولا لوضع الكلمات المختارة في موضعها الصحيح ميزة في ذاتها ما لم يكن ذلك كله في سياق ملائم " (2).

كما تناول محمد حماسة " التفاعل بين العناصر النحوية والدلالية، فكما يمد العنصر النحوي العنصر الدلالي بالمعنى الأساسي في الجملة الذي يساعد على تمييزه وتحديد، يمدّ العنصر الدلالي العنصر النحوي كذلك ببعض الجوانب التي يساعد على تمييزه و تحديده، فبين الجانبين أخذ وعطاء وتبادل تأثيري مستمر... فلا يمكن بحال نكران تأثير دلالة سياق النصّ اللغوي وسياق الموقف الملابس له على العناصر النحوية من حيث الذكر والحذف، والتقديم والتأخير ، والتعريف والتتكير ... ولا يُنكر أن دلالة السِّيَاق تجعل الجملة ذات الهيئة

¹ - فندريس، اللغة، ترجمة الدواخلي والقصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، 1950، ص: 231.

² - محمد حماسة ، النحو والدلالة ، ص: 98.

الفصل الثاني ————— آليات الانسجام النصية والتداولية

التركيبية الواحدة بمفرداتها نفسها إذا قيلت بنصها في مواقف مختلفة، تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه مهما كانت بساطة هذه الجملة وسذاجتها ⁽¹⁾ .

يؤدي السياق دورا كبيرا في الكشف عن معاني النص، "فالمكونات الدلالية لأي نص لا تظهر إلا من خلال السياق، ومن ثم يصرح فيرث بأنّ المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة سواء كانت هذه السياقات لغوية أم اجتماعية، وهي ما أطلق عليها فيرث "سياق الموقف"، أو ما أطلق عليها بالمر "السياق غير اللغوي" حيث يراعي ذلك السياق ثقافيا أو عاطفيا ومن هنا فمن الأجدى أن تتداخل كل السياقات وتتآزر في التحليل النصي إلى الحد الذي يمكن لنا أن نستخدم كلمة السياق دون تمييز بين السياق اللغوي من جانب، والسياق الاجتماعي من جانب آخر" ⁽²⁾ .

وقد أنكر بالمر على رافضي السياق أو من استبعده فقال: " من السهل أن نسخر من النظريات السياقية - مثلما فعل بعض العلماء - وأن نرفضها باعتبارها غير عملية. لكن من الصعب أن نرى كيف يمكننا أن نرفضها دون إنكار الحقيقة الواضحة التي تقول بأنّ معنى الكلمات و الجمل يرتبط بعالم التطبيق" ⁽³⁾ .

¹ - محمد حماسة ، النحو والدلالة ، ص: 113

² - أحمد عفيفي ، نحو النحو ، ص: 47-48

³ - بالمر، علم الدلالة، ص: 80.

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

وتظهر أهمية السياق أيضا في تأكيده على الدور الاجتماعي للمعنى ، فاللغة لا تكشف عن معناها إلا إذا سيقّت في مستواها الثقافي والاجتماعي ، فالكلمة لا تؤدي معناها إلا عن طريق سياقها، فمثلا كلمة شكرا تحمل عدة معان، فتستعمل للشكر الحقيقي عند أداء خدمة معينة، كما تستعمل للغضب أو السخرية عند العجز على المساعدة .

2-3-3-أقسام السياق:

ينقسم السياق عند اللسانيين إلى نوعين:

2-3-3-1- السياق اللغوي (Verbal Contexte):

يمثل السياق اللغوي مجموع العناصر اللغوية المحيطة بجزء من الملفوظ، أي بعبارة أخرى، "البيئة اللغوية للنص من مفردات وجمل وخطاب حتى أصبح عند ستيفن أولمان (Stephen ullman) يشمل القطعة كلّها والكتاب كلّها، فالنصّ -من وجهة نظر أصحاب هذه النظرية- يجب أن يحلّ وفق المستويات اللغوية المختلفة: المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى النحوي، والمستوى المعجمي، كخطوة أولى في طريق فهم المعنى"⁽¹⁾.

ويشمل السياق اللغوي أيضا " كل العلاقات ، وهي العلاقات التي تتخذها الكلمة في داخل الجملة ، وهذه العلاقات الأفقية (syntagmatic relations) على عكس العلاقات

¹- عرفات فيصل المنّاع،السياق والمعنى، دراسة في أساليب النحو العربي، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2013،

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

الجدولية (paradigmatic relations) ، وهي العلاقات الاستبدالية التي تتخذها الكلمة

مع كلمات أخرى ، يمكن أن تحل محلها ، وإيضاح هذا بالأمثلة على النحو التالي :

- أمثلة العلاقات الأفقية : قام بواجبه ، شجرة باسقة ، كتاب قيم ، علم الدلالة.

- أمثلة العلاقات الجدولية : جلس الطالب على الكرسي ، جلس الأستاذ على الكرسي ، جلس

المدير على الكرسي ...⁽¹⁾.

2-3-3-2- السياق غير اللغوي (سياق الموقف)⁽²⁾ (Contexte Of

: Situation)

وهو كل ما يتعلق بالسياق الخارجي للغة، ويشمل كل ما يحيط باللفظ من عناصر غير لغوية تتصل بالمكان والزمان، أو شخصية المتكلم، أو السامع وكل ما يسهم في تحديد دلالة الكلمة، ويُعرف أيضا بـسياق الحال، فهو "الذي يجري من خلاله التعامل اللغوي الفعلي الحادث من الأفراد في مجتمعهم، وهذا السياق الذي نظر له علماء اللغة، وعلماء الاجتماع. ويمثل السياقات الخارجية والضمنية، والموجهات النصية الخارجة عن سياقات اللغة، والإشارات البعيدة، والمعينات الخارجية التي تحدّد معنى النصّ واتجاهاته، كالسياقات

¹ - محمود فهمي حجازي ، مدخل إلى علم اللغة ، دار قباء ، القاهرة ، 1997، (د ط) ، ص: 159

² - يطلق عليه أيضا سياق الحال ، أو الماخریات.

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

النفسية، والاجتماعية والثقافية التي تفرض هيمنتها الفكرية على النص والنص، فلا يمكن دراسة اللغة منعزلة عن أطرها الاجتماعية أو الثقافية⁽¹⁾.

وأما عناصر سياق الحال، فقد رأى " فيرث " أنها جزء من أدوات عالم اللغة، ولهذا اقترح الاعتناء بالعناصر التالية:

1- الملامح الوثيقة بالمشاركين، كالأشخاص، والخصائص الذاتية المميزة للحدث الكلامي أو غير الكلامي لهؤلاء المشاركين.

2- الأشياء ذات الصلة بالموضوع والتي تفيد في فهمه - .

3- تأثيرات الحدث الكلامي⁽²⁾.

هذا عن محاولات فيرث ، أما هايمز (Dell Hymes)، فقد وضع "مجموعة من المفاهيم لوصف سياق الموقف الذي ينتج فيه الخطاب، لخص فيه مكونات (الحدث الكلامي événement de communication) بالنسبة لسياق المحادثة. وميز هايمز (16) مكونات، عند وقوع حدث (التكلم speaking).

¹ - فاطمة الشديدي، المعنى خارج النص، ص: 29.

² - بالمر، علم الدلالة، ص: 77.

الفصل الثاني آليات الانسجام النصية والتداولية

نموذج Speaking لهايمز:

S	←	Setting (المحيط): الزمان والمكان، والشروط الماديّة الأخرى المحيطة بالحدث الكلامي.
S	←	Scene (المشهد): الجانب السيکولوجي المتمم للمحيط.
P	←	Participants (المشاركون): المتكلم أو المرسل، والمخاطب أو السامع أو المتلقي.
E	←	Ends (الحدود): الغرض-النتائج، والغرض-الأهداف.
A	←	Act sequences (تتابعات الفعل): شكل ومحتوى الرسالة.
K	←	Keys (المفاتيح): نغمة المحادثة، مثل: جادة/سخرية/تهكم.
I	←	Instrumentalities (الوسائل): القنوات، مكتوب، برقية. . . الخ، وأشكال الكلام؛ لهجات، اللغة المعيارية. . . الخ.
N	←	Norms (القواعد): قواعد التفاعل، مثل المقاطعة أثناء المحادثة، وقواعد التفسير من قبل المستمع.
G	←	Genres (الأنواع): الحكاية الشعبيّة، الإعلان . . . الخ.

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

هذا النموذج أصبح مشتهراً على نحو واسع، إلا أن هذا المخطط غير مكتمل؛ فليس واضحاً فيه الخلفية المعرفية المشتركة بين المتكلم والسامع، والاختلافات الممكنة والعلاقات الاجتماعية بينهما التي يمكن أن تؤثر في الخطاب⁽¹⁾. ويندرج تحت هذا النوع عدة سياقات منها:

أولاً-السياق العاطفي:

يمثل هذا السياق "درجة القوة والضعف في الانفعال مما يقتضي تأكيداً أو مبالغة أو اعتدالاً، فهو يبين درجات العمق العاطفي وتصنيفها حسب القوة والضعف، بالاستعانة بالقرائن البينانية التي توضح عمق الانفعال أو سطحيته"⁽²⁾. وبهذا التحديد الذي تنتفي به "الكلمات ذات الشحنة التعبيرية القوية حين الحديث عن أمر فيه غضب وشدة انفعال، مثال ذلك أن المتكلم الذي يكون في حالة من الشعور الجامح يغالي في استعمال كلمات بحيث لا يقصد معناها الحقيقي، ويحملها ما يعتوره من اندفاع"⁽³⁾ فإذا ما استعمل المتكلم كلمات تعبر عما يحزّ في نفسه عن احتقار شديد، أو عما يعبر عن القتل وما شابهه، فإن المتكلم في هذه الحالة، لا يقصد دلالتها الموضوعية، إذ لا يعدو ذلك كونه مبالغة في التعبير عن حالته

¹- عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص:04-05.

²- فاطمة الشيدي، المعنى خارج النص ، ص:29.

³- المرجع نفسه ، ص:30.

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

العاطفية، وتكون طريقة الأداء الصوتية كافية لشحن المفردات بالكثير من المعاني الانفعالية والعاطفية⁽¹⁾.

ثانيا :السياق النفسي:

هذا النوع من السياق يتناول الأثر الذي تحدثه النصوص في نفسية مستعملي اللغة، وهذا الاستعمال هو الذي يحدد درجة القوة والضعف في الانفعال، ومنه يتحدد معنى اللفظة (الكلمة) ، فلفظة قتل، غير لفظة اغتال أو أعدم، فهذان الفعلان الأخيران يحملان في طياتهما كل مشاهد القسوة، ويدل هذا السياق على "الدافع الذي يكون وراء كل ما ننطق به، والمنطلق الذي يحرك الذات نحو القيام بالفعل اللغوي، أو لإرسال رسالة ما"⁽²⁾، فالدافع النفسي للمستعمل اللغة لاستعمالات غير محدودة بوسائل محدودة، عن طريق التحويل (transformation) والتركيب (construction)؛ فتصويت المتكلم بتنغيم صاعد (rising ntonation) وتنغيم هابط (falling intonation) ووفق طريقة الأداء الخاصة، فإنه يحدث معاني متعددة لكل كلمة، كما يحدث تأثيرات مختلفة لكلمة واحدة عند المتلقي، وذلك وفق مستوى السياق النفسي للإبلاغ، فالهمس والجهر، وعلو الصوت

¹- فاطمة الشبيدي، المعنى خارج النص ، ص:30.

2- نفسه ، ص:37.

الفصل الثاني = آليات الانسجام النصية والتداولية

وانخفاضه، والشدة والضعف في نطق الأصوات، كلها ناتجة من السياق النفسي الذي ينطلق منه المتكلم وتصل بذات الدرجة للمتلقي الذي يستوعب دلالاته المباشرة⁽¹⁾.

وقد أجمع النّصانيون على أنه لا يمكن عزل النص "عن سياقاته النفسية، والاجتماعية، فالسياق النفسي طريق إلى اكتناه الدلالات النفسية الكامنة فيه، والقابعة في لاوعي المبدع كالأحلام والأساطير والرموز"⁽²⁾.

ثالثا-السياق الثقافي:

يمثّل هذا السّياق مجموعة من الظروف التي تتعلق بالحدث الكلامي، وكل ما يتعلق به من مرسل، مرسل إليه والمحيط الذي يعيش فيه، فالسياق الثقافي هو المحيط الثقافي والاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة، ويرتبط هذا بالمحيط الذي نشأ فيه النص، لأنّ " اللغة وليدة الاحتكاك في المجتمع ،فهي بطبيعتها اجتماعية، ومن ثم فالمجتمع يحيط باللغة، وبيان معناها بالتأكيد يرجع إلى المجتمع "⁽³⁾ ، فالسياق هنا مرتبط "بالاعتقادات المشتركة بين

1- فاطمة الشيدي، المعنى خارج النص ، ص:39.

2- المرجع نفسه ، ص:38.

³ - صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي ، ج 1 ، ص:106

أفراد البيئة اللغوية والمعلومات التاريخية، والأفكار والأعراف المشاعة بينهم، فهذا السياق هو المعين على فهم... ما هو مرتبط بالحياة الاجتماعية أو له صلة بثقافة المجتمع بوجه عام⁽¹⁾.

3- مقبولة النص بين السياق والتلقي:

بين النص والسيّاق علاقة وطيدة ، كعلاقة النص بالمنتج والقارئ ، فالقارئ والنص يشكلان أهمّ الركائز التي بنيت عليها نظرية التلقي ، "إذ لا وجود لنصّ من غير قارئ، ولا وجود لقارئ من غير نصّ"⁽²⁾ فالنصّ دون قارئ هيكّل دون روح وهو بأمس الحاجة إلى من يقرؤه، لأنّ القارئ " بعمله (قراءة النص وتقبله) يصنع تماسكاً من نوع مختلف لما يقرره علم القواعد، فهو عندما يستنتج فهو يقوم بذلك لعمل سياق من أجل تفسير المعلومات الجديدة لكي يصنع التماسك والاستمرارية في النص. وقدرة القارئ على استخراج المعلومات وعمل الاستنتاجات الضرورية يعتمد على مدى اتساع وتنوع المعلومات المخزونة المشتملة على معرفة العالم والقصدية والسببية وأعراف المحادثة. وبدمج المعاني التي يدركها من الخطاب مع المعلومات التي يعرفها بالفعل؛ فإنّ القارئ يحدّد السياق الذي يفهم من خلاله أجزاء النص"⁽³⁾. فهو الذي " يمثّل على مستوى الوعي منظومة تتفاعل مع

¹- محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط2، 2007.

ص:161.

²- فاطمة الشديدي، المعنى خارج النص، ص:102.

³- حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، ص:54.

الفصل الثاني = آليات الانسجام النصية والتداولية

النص في المستوى المعرفي والمستوى الإيديولوجي على السواء، حيث يمثل المعرفي مرجعية التفسير ويتجسد في النظام اللغوي، في حين يمثل الإيديولوجي مرجعية التقييم ويتجسد في نظام النص⁽¹⁾.

فالقارئ لم يعد كما كان في السابق مجرد قارئ متلقٍ فقط، بل تعدى ذلك إلى كونه مشاركاً في إنتاج النصوص، فهو " يتأثر بما في النص وبما يوحي به المؤلف ، ضمن قراءة لها خصوصيتها المتكونة من القارئ ومرجعياته ،ومن ثم رؤيته المتبلورة من قراءة النص ، فالقراءة تلعب الدور الأساسي الذي يمارسه العمل الأدبي في القارئ، فالمنتج للنص أو المرسل لرسالة معينة، لا يحقق غايته الحقيقية من إنتاج العمل إلا من خلال استجابة المتلقي لمضامين ذلك النص أو الرسالة ، وردة فعله حولها"².

ولكي يتوغل - كقارئ - داخل النص، فلن يكون ذلك إلا عن طريق وجود رغبة تدفعه إلى أن يتقبل ذلك النص محلّ القراءة، لأنّ في قراءته تنشأ "رغبات متوالية تدفع لاستكمال قراءته؛ فيكون النصّ منجزاً للرغبات. وكل نص بدوره به فجوات تثير القارئ وتدفعه لاستكمال القراءة فيه"⁽³⁾ ،

1- حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، ص: 54.

2 - فاطمة الشيدي، المعنى خارج النص، ص: 102

3- المرجع نفسه، ص: 54.

الفصل الثاني آليات الانسجام النصية والتداولية

فالعلاقة بين النصّ والقارئ علاقة متينة، إذ "القارئ يكتسب بقراءته النصّ صفة المبدع المنتج الذي لا يستهلك نصًّا، بل يبدع، أو ينتج، نصًّا على نصّ"⁽¹⁾. لأنّ "القراءة ليست مسحًا بصريًّا لسطح النصّ، ولا هي إرجاع آلي لألفاظه إلى معانيها أو تشكيل لمعان محددة سلفًا، إن القراءة على الضد من ذلك، فالقراءة فعل والقارئ فاعل يتعدّى الفعل عبر جسد النصّ الذي تشيّد الألفاظ، ويخترق سطحها بحثًا إلى أعماقها. إنّ في النصّ نداء والقراءة تلبية لهذا النداء، فالقراءة ليست فعلًا انعكاسيًا للكتابة أو عملاً بسيطًا يؤديه القارئ بأن تمرّ العينان على حروف النصّ... إنّها فعل خلاق يصبّ على الأثر المقروء احتمالات وتفسيرات ومعاني غير محتسبة"⁽²⁾.

4-عناصر العملية التواصلية:

يعرف جون ديبيو التواصل بقوله "الاتصال هو التبادل اللفظي بين المتحدث (المتكلم) الذي ينتج ملفوظًا موجهًا لمتكلم آخر الذي يبادلّه الرغبة في السماع أو الإجابة الصريحة أو الضمنية وفقًا لنموذج الملفوظ"⁽³⁾

¹-قاسم مومني، في قراءة النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1بيروت، 1999، ص:27.

²-قاسم مومني، المرجع نفسه، ص: 28.

³ - « la communication est l'échange verbal entre un sujet parlant qui produit un énoncé destiné à un autre sujet parlant et un interlocuteur dont il sollicite et/ou une réponse explicite ou implicite (selon le type d'énoncé» Jean Dubois et autres, Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, P64

الفصل الثاني **آليات الانسجام النصية والتداولية**

تعتبر نظرية التواصل اللغوي، من أهم النظريات اللسانية الحديثة، مُنظرها جاكسون الذي حدّد وجدّد عناصر هذه العملية عند حديثه عن وظائف اللغة وخاصة الوظيفة التواصلية، ركز جاكسون على هذه العناصر الستة التي تساهم في عملية التواصل اللغوي رغم اختلاف وظائف هذه العناصر إلا أنّ السمة التواصلية تجمع بينهم، وهذه النظرية ليست وليدت الصدفة بل إنّ جاكسون " حاول إخراج اللسانيات من مأزق القصور على المنظومة اللغوية المعتمدة على جملة من العلامات والرموز ، فأرسى الأسس المنهجية ⁽¹⁾ التي أخذها عن سابقه وطوّرها وأضاف إليها ، فأخذ عن دي سوسير نظرية التواصل التي قال فيها بأن أية عملية للتواصل تشترط وجود عنصرين مرسل ومرسل إليه لتفسير دورة الكلام ، وتتغير الأدوار بحسب المواقف، إضافة إلى السنن والرسالة ، فالتواصل "في الحدث الكلامي إنما يستدعي في العملية التواصلية (الإبلاغية) ستة عوامل، ذلك أنّ المرسل يرسل رسالة لغوية إلى المرسل إليه ، غير أنّ هذه الرسالة لكي تكون مؤثرة في المستمع المتلقي ؛ فهي تقتضي بداءة سياقاً -أو مرجعاً- تحيل عليه ، ثم سننا مشتركاً بين المرسل والمرسل إليه ،

¹- الطاهر بن حسين بومزير، التواصل اللساني والشعرية: مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكسون منشورات الاختلاف ،

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

وأخيرا تقتضي الرسالة وسيلة اتصال ، أو قناة فيزيائية -الصوت الكتابة - لتتمكن من تثبيت الاتصال " (1).

كما اعتمد جاكبسون على ما قال به بوهلر الذي ركز على ثلاثة عناصر، هي: المرسل والمرسل إليه والمرجع (الموضوع) ، ما يُؤلّد " ثلاث وظائف: الانفعالية والإفهامية والمرجعية ، فضمير المتكلم يمثل "المرسل" ذي الوظيفة الانفعالية، وضمير المخاطب يمثل المرسل إليه ذي الوظيفة الإفهامية ، بينما يُمثّل الوظيفة المرجعية ضمير الغائب أي الشيء المتحدث عنه" (2)، وقد اعتمد جاكبسون على هذه الوظائف ووسّع العملية التواصلية إلى ستّ عناصر وهي على النحو التالي :

1-4- المرسل (Destinateur) (3) :

يمثّل المرسل "الذات المحورية في إنتاج الخطاب؛ لأنه هو الذي يتلفّظ به، من أجل التعبير عن مقاصد معينة، وبغرض تحقيق هدف فيه ويجسّد ذاته من خلال بناء خطابه، باعتماد استراتيجية خطابية تمتدّ من مرحلة تحليل السياق ذهنياً والاستعداد له، بما في ذلك

¹ - حنفي بناصر و مختار لزعر ، اللسانيات منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2009، ص: 118

² - ينظر : ياكبسون، رومان، قضايا الشّعريّة، ترجمة: محمّد الولي ومازن حنون، دار توبقال، ط1، الدّار البيضاء، المغرب، 1988م، ص : 30.

³ - هناك تسميات كثيرة كالمخاطب والباث والناقل والمتحدث والمتكلم .

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

اختيار العلامة اللغوية الملائمة، وبما يضمن تحقق منفعة الذاتيّة ؛ بتوظيف كفاءته للنجاح في نقل أفكاره بتتوّعات مناسبة⁽¹⁾.

و المرسل وهو المتكلّم الذي يوجّه الرّسالة ويلعب دورا مهما في تسهيل فهمها. وغالباً ما يكون الكاتب، إذ يعتبر الركيزة الأساسية في العملية التواصلية، ويمكن أن يكون فرداً، كما يمكن أن يكون جماعة، فهو منشئ الخطاب و المسؤول عن إرسال الرّسالة واختيار السياق وقناة الاتّصال وتوظيف الرّمز لإنجاز عملية التشفير، "فرغم اختلاف المصطلحات المستخدمة للتعبير عن هذا العامل، (فإنه طرف أول في جهاز التخاطب) ويستحيل على أي تصور لوضع تخاطبي لفظي أن يستغني جزئياً أو كلياً عن المرسل"⁽²⁾ .

2-4- المرسل إليه (Destinataire)⁽³⁾ :

وهو مؤوّل الخطاب ومتلقي النص، يمثّل الطّرف الثاني الذي يستقبل الخطاب ومن أجله ينسج الخطاب وتبعث الرسالة، ويبذل جهداً لفهمها وقراءتها "فيستطيع تحقيق تأويل موضوعي للمعنى الذي عبر عنه المؤلّف (الشاعر)، وما قصد إليه، لذلك هو بالنهاية معنى

¹ - عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 45.

² - الطاهر بن حسين بومزبر، التواصل اللساني والشعرية، ص: 23.

³ - أطلق عليه أيضا المخاطب ، المتلقي ، السامع والمستقبل .

الفصل الثاني **آليات الانسجام النصية والتداولية**

قابل للتحديد حيث المبدأ ويبقى ثابتاً عبر الزمان يستطيع استعادته وإنتاجه كل قارئ كفاء" (1).

وهو "كالمؤلف مُعرّض للمؤثرات الأيديولوجية في عصره، ومن هنا فلا إمكانية لتفسير أو تقييم موضوعي للنص الأدبي، بل إنّ ما يحدث هو أنّ القارئ إمّا أن يُطبع النصّ - في حالة اتّفاق أيديولوجيته كقارئ مع أيديولوجية الكاتب - فيمنح خصائص النصّ الموضوعيّة والفنيّة صفة العالمية والديمومة، أو أن يستعيد النصّ - في حالة اختلافه مع الكاتب - بإسقاط فرضياته على ذلك النصّ" (2).

ويقوم المرسل إليه " بعملية (التفكيك **décodage**) لكل أجزاء الرسالة سواء أكانت كلمة أم جملة أم نصاً" (3).

ويكون التّواصل في الحالة العادية ثنائي الاتجاه أي تفاعل شخصين في حوار أو ما شابه ذلك، بينما يكون التواصل أحادي الاتجاه عندما يكون المرسل إليه في حالة الاستماع.

¹ -ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط4، المغرب، 2005. ص: 90.

² -ميجان الرويلي وسعد البازعي، المرجع نفسه، ص 81.

³ - الطاهر بن حسين بومزبر، التواصل اللساني والشعرية، ص: 25.

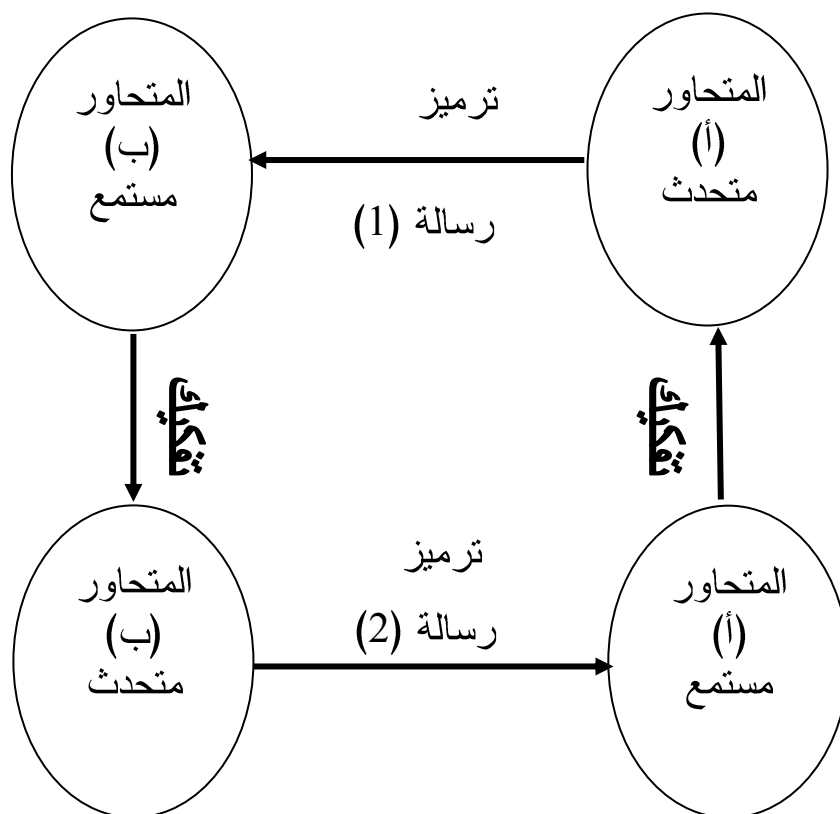
الفصل الثاني آليات الانسجام النصية والتداولية

وإذا كان " المخاطب والمخاطب أساسيين في أي خطاب ويتفق الكل على ضرورة تصدرهما مجموع العوامل المكونة لدارة التواصل، فإنّ الذات التي تُقدم بواسطتها التفسيرات وإن اختلفت مع وضع خطابي إلى آخر - تبقى موضوع الخطاب أو مرجعه الذي ينطلق منه ويدور حوله ويعود إليه ، لأنه يشكل في النهاية " أنطولوجيا الخطاب " (1)

وعملية الاتصال عملية مشتركة بين قطبي هذه العملية، وهي عبارة عن نقل واستقبال للمعلومات بين طرفين أو أكثر، وقد يتبادل الطرفان الأدوار عن طريق التفاعل ، بمعنى أن المرسل يصبح مستقبلاً والمستقبل يصبح مرسلًا ، فعملية الاتصال لا تسير باتجاه واحد ، بل باتجاهين ، وقد ذهب دي سوسير " بعيدا في التدقيق الموضوعي لهذا العامل التواصلية عندما أطلق عليه مصطلح «المتحدث (ب)» ذلك أن المتحدث (أ) عندما يرسل خطابا معينا إلى المرسل إليه ، أي المتحدث (ب) ، يكون هذا الأخير هو مستقبل الرسالة، بينما لحظة الرد على الرسالة التي استقبلها (تعقيا ، إضافة ، تساؤلا ، رفضا...) يصير المتحدث (أ) هو المستمع ، والمتحاور (ب) هو المتحدث كما يبدو في الرسم التالي (2) :

¹ - الطاهر بن حسين بومزبر، التواصل اللساني والشعرية ، ص: 21

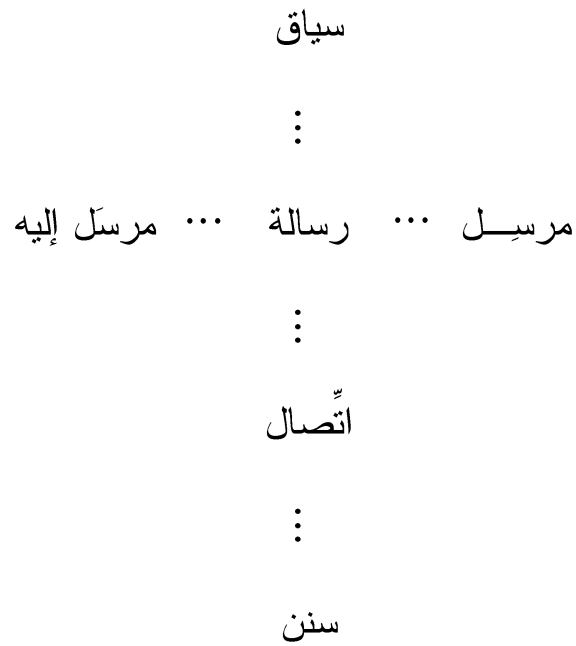
² - المرجع نفسه ، ص: 25-26



(الشكل -1- يمثل مخطط التواصل عند دي سوسير)

الفصل الثاني _____ آليات الانسجام النصية والتداولية

وقد ممّثل ياكبسون هذه العناصر بالمخطط الآتي ⁽¹⁾ :



(الشكل -2- يمثّل مخطط عناصر عمليّة التّواصل حسب ياكبسون)

¹ - ياكبسون، رومان، قضايا الشّعريّة، ص : 27.

4-3- الرسالة (Message):

وهي المضمون أو الفكرة " التي يرسلها المرسل إلى متلق، وتتم من خلال الكلمة المكتوبة أو المنطوقة أو من خلال الإشارة أو علامة (شفرة) تتضمن المعنى المقصود من الرسالة الاتصالية"⁽¹⁾، وهنا يتعين التركيز على المرسل والأهداف والدوافع التي جعلته يرسل الرسالة .

كما أنها تمثل الجانب الحسي في العملية التخاطبية التواصلية، أين تتشكل و تتجسّد أفكار المرسل في صور سمعية أو كتابية ، وهي بذلك "مضمون وموضوع الخطاب في عملية التواصل اللغوي ، ومن خلالها نبث أفكارنا ومشاعرنا الانفعالية ، ويجب أن تكون ملائمة للمرجع وللمخاطب المستقبل وتكون مقبولة من طرف هذا الأخير، فلا يمكن أن تحدث عملية تواصل إلا بوجود سجل معرفي وقيمي له مضامين ودلالات متعارف عليها بين طرفي الخطاب؛ لأن التواصل لا يكون نافذا إلا إذا استطاع المتلقي تفكيك الرسالة ، مما يؤدي إلى ترك تأثير يعبر عنه من خلال رفع الصدى"⁽²⁾.

¹ -محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي، دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، دار النشر للجامعات، ط1، القاهرة

مصر، 2005، ص:24

² - صالح بلعيد ، دروس في اللسانيات التطبيقية ، دار هومة ، الجزائر ، 2003 ، ص:46

الفصل الثاني **آليات الانسجام النصية والتداولية**

فالرسالة " خطاب إبداعي بالدرجة الأولى، أحادي الأداة، تقوم به: صوتاً، نحواً، ودلالةً قوانينه الخاصة التي بها يصير إلى وجوده متميزاً ضمن النظام اللغوي العام" (1).

فهي عبارة عن معلومات مرسله من قبل المرسل، تتغير بتغير مدتها ومحتواها، فالرسالة في الخطاب الثنائي تتلاءم و المستمع، بينما في الخطاب الجماعي تكون جامدة وثابتة و تكون لغتها سهلة مناسبة، خالية من التعقيد حتى يفهمها المرسل إليه (المستقبل) وتتوقف فاعليّة الاتصال على مدى الفهم السليم للموضوع الذي يدور حوله مضمون الرسالة وكذلك اللغة المقدّمة بها.

وقد أطلق عبد السلام المسدي على الرسالة الخطاب الأصغر (2) فهي تمثل محتوى الإرسال.

4-4- السنن (Code):

" لقد تعددت اصطلاحات اللسانيات بشأن هذا العامل (3)، فبعضهم استعمل مصطلح «اللغة Langue» وبعضهم فضل «النظام Système» فيما أطلق عليه البعض

¹ - منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، ط1، حلب، سوريا، 2002، ص: 111.

2 - ينظر عبد السلام المسدي، الأسلوبية و الأسلوب. الدار العربية للكتاب. ط3، دت، ص: 98.

³ - استعمل جاكسون مصطلح السنن (code)، ودي سوسير استعمل مصطلح اللغة (Langue)، وهيلمسليف استخدم

مصطلح النظام (système)، و أمّا نعوم تشومسكي فقد استعمل مصطلح الكفاءة أو القدرة (compétence)، ينظر :

الطاهر بن حسين بومزبر، التواصل اللساني والشعرية، ص: 28.

الفصل الثاني — آليات الانسجام النصية والتداولية

الآخر «القدرة Compétence» ، وعلى اختلافها في الدوال فإنها ذات مدلول واحد يحيل على «نظام ترميز Un Code» مشترك كلياً أو جزئياً بين المرسل والمرسل والمتملقي⁽¹⁾.

هي في الغالب رموز مشتركة بين المرسل والمرسل إليه ، وهي الوسيط الحامل لمضمون الرسالة، يقوم المرسل بإرسال رسالته فيفكك المرسل إليه شفرتها بحثاً عن القيم الإخبارية للرسالة ، ولضمان نجاح العملية الإبلاغية يجب أن تكون " لكل جماعة لسانية ولكل ذات متكلمة لغة موحدة؛ إلا أن هذا السنن الشمولي يمثل نسقا من الأنواع النسقية الفرعية في التواصل المتبادل ، فكل لغة تشمل العديد من الأنساق المترامنة التي يتميز كل نسق منها بوظيفة مختلفة" (2)

كما يجب أن يعتمد نجاحها أيضا على مدى تمكن المرسل والمرسل إليه من هذا النظام الذي يتفرّع بدوره إلى "كم هائل من الأنظمة الصغرى الفرعية ويتفرّع السنن الشمولي إلى أربعة فروع و هي: المسننات الصوتية والمسننات الصرفية والمسننات التركيبية والمسننات الدلالية، تساعد على فصل الجملة النحوية عن الجمل غير النحوية (أو اللاحقة) استناداً إلى الجهاز الداخلي الذهني للمتكلمين بدل الاهتمام فقط بسلوكهم اللفظي، وبذلك يشكل

1 - الطاهر بن حسين بومزير، التواصل اللساني والشعرية، ص: 27-28

2 - رومان جاكسون، قضايا الشعرية، ص: 62

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

النظام الذهني عنصراً أساسياً في النشاط اللساني والمرجع الذي يلجأ إليه كل سلوك لفظي سليم من اللحن والخطأ" (1) .

4-5- السياق (Contexte):

" لكل رسالة مرجع تحيل إليه ، وسياق معين مضبوط قبلت فيه ، ولا تفهم مكوناتها الجزئية ، أو تفكك رموزها السننية إلا بالإحالة على الملابسات التي أنجزت فيها هذه الرسالة قصد إدراك القيمة الإخبارية للخطاب" (2) ، لذلك يعتبره جاكبسون طاقة مرجعية يقوم المرسل إليه (المتلقي) من تفسير ما أرسل إليه من خطاب ، فهو المرجع الذي تحيل إليه الرسالة ، ويحيل أيضا إلى المعلومات المشتركة بين المتكلمين لحظة إنشاء وإرسال الرسالة ، ولا تفهم هذه الرسالة إلا إذا فُكَّت رموزها ، لذلك نجد جاكبسون يركز على السياق باعتباره " العامل المفعّل للرسالة بما يمدها به من ظروف وملابسات توضيحية " (3) ، ويطلق عليه أيضا المرجع " باصطلاح غامض نسبيا سياقاً قابلاً لأن يدركه المرسل إليه ، وهو إما أن يكون لفظياً أو قابلاً لأن يكون كذلك " (4) .

1 - الطاهر بن حسين بومزبر، التواصل اللساني والشعرية، ص: 28-29-30

2 - الطاهر بن حسين بومزبر، المرجع نفسه، ص: 30

3 - المرجع نفسه، ص: 28

4 - رومان جاكسون، قضايا الشعرية، ص: 27

وفي هذا النوع من السياق يعبر المرسل "عن مكونات العالم الحقيقي ، أو عن العالم الممكن بتعبيرات لغوية ، فإن السياق المقامي يوفر جزئياً بعض العوامل أو محددات التي تسهم في تحديد معاني التعبيرات اللغوية"⁽¹⁾ .

4-6- القناة (Canal):

إن عملية الاتصال قائمة على وجود قناة سواء أكانت فيزيائية (صوتية) أم فيزيولوجية (ملامح ، إشارات ،كتابة...) ، وهي متنوعة تبعاً للوسائل المستعملة من طرف المرسل والمرسل إليه، وذلك بغية السماح بانتقال الرسالة بين طرفي الخطاب(الحوار)،عن طريق وصف وتحليل كل الجوانب التي تتعلق بجدوى القناة المستعملة ، لإيصال الرسائل(الخطاب) التي يكون هدف المرسل من إرسالها إحداث التأثير في المرسل إليه،بحيث تكون لها وظيفة وصفية ميتالغوية يقوم من خلالها المرسل إليه بفك شفرة الرسالة عن طريق ما يملكه من مخزون لغوي مشترك بينهما .

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 43.

5- خصائص السياق:

يعرف النص على أنه " مجموعة من الأحداث الكلامية التي تتكون من مرسل للفعل اللغوي، ومتلق له، وقناة اتصال بينهما ، وهدف يتغير بمضمون الرسالة وموقف اتصال اجتماعي يتحقق فيه التفاعل " (1) ، فإذا كان النص بنية لغوية منطوقة فإنها ترتبط في استمراريتها بأركان التواصل ، وهي : المرسل ، والمتلقي ، والتفاعل بين الطرفين من خلال عملية التلقي .

فكل النظريات اللسانية الحديثة اهتمت بدور القارئ أو المتلقي كونه يمثل ركنا أساسياً من أركان الحدث التواصلية ، وقد ذكر هايمز (Hymes) الخصائص المميزة للسياق والتي يمكن أن تكون لها علاقة بتحديد نمط من الأحداث الكلامية و هي: الباث وهو المتكلم أو الكاتب الذي يحدث القول ، والمتلقي وهو المستمع أو القارئ ، والأشخاص المشاركون وهم مستمعون آخرون حاضرون يسهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي ، والموضوع وهو مدار الحدث الكلامي ، والقناة كيف تم التواصل بين المشاركين في الحدث الكلامي : كلام . كتابة ، إشارة ، والمقام وهو زمان ومكان الحدث التواصلية ، والشفرة، وصيغة الرسالة، والحدث والغرض وهو قصد المتكلم من إيراد الكلام (2).

¹ - سعيد بحيري ، علم لغة النص، ص: 110 .

² - ينظر: براون ويول، تحليل الخطاب ، ص: 47-48.

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

كما نجد محاولة أخرى الفيلسوف لويس (Lewis) الذي يركّز على المؤشرات الخاصة التي تمثل مجموعة متكاملة من العوامل المهمة والتي تشكل السياق الذي يجب تحديد صحّة الجملة بالعودة إليه، وتحدّد هذه المؤشرات كما يلي:

* مؤشر العالم الممكن: وذلك لتفسير حالات يمكن أنة توجد أو من المفترض أن تكون موجودة أو هي موجودة فعلاً.

* المؤشر الزمني: وذلك لتفسير الأزمنة اللغوية في الجمل، ظروف الزمان مثل اليوم أو الأسبوع القادم.

* المؤشر المكاني: وذلك لتفسير جمل مثل هاك/خذ هذا.

* مؤشر المتكلم: (أنا، لي، نحن، لنا...الخ).

* مؤشر المستمعين: وذلك لتفسير جمل تحتوي على أنت، لك، أنت نفسك ...

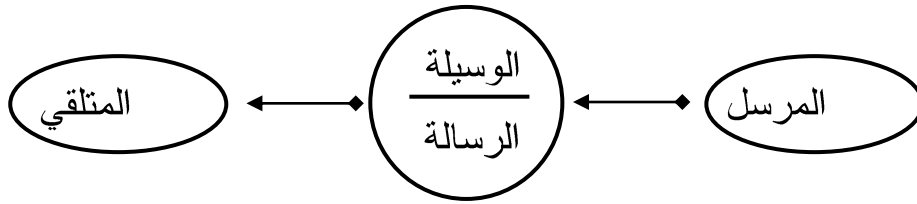
* مؤشر الشيء المشار إليه: وذلك لتفسير جمل تحتوي على أدوات الإشارة مثل: هذا، أولئك...الخ.

* مؤشر الخطاب السابق: وذلك لتفسير عبارات مثل: الأخير، السابق الذكر...الخ.

* مؤشر الإسناد: ويشمل مجموعة مفتوحة لا نهاية لها من الأشياء (مجموعات، حلقات...الخ).

الفصل الثاني آليات الانسجام النصية والتداولية

ولقد اقترح علماء ممّن يهتمون بإنشاء مجالات شكلانية للخطاب قوائم مشابهة ولكننا سنكتفي هنا بملاحظة أن قائمة لويس -شأنها شأن قائمة هايمز - تحيل على المتكلم والمستمع حتى تعطي معنى للوظائف الإشارية للمتكلم والمستمع (الباث/المتلقي) والتي تتحقق عن طريق استعمال ضمائر المتكلم وضمائر المخاطب، وهكذا يمكن تطوير ما يسميه هايمز بالظرف أو الإطار لتقديم تفسير دقيق وواضح للزمان والمكان⁽¹⁾.



هذه الخصائص هي "مجموع العناصر الخارجية (غير اللغوية)، التي تساعد في نقل المعلومة أو تنشيط التفاعل، ضمن مفهوم التعاون، بين المرسل والمتلقي، يمكن أن نلاحظ تأثيرها في خطابات متنوعة، مجتمعة أو متفرقة، وهي المرسل والمتلقي، والجمهور، والموضوع، والمقام، والقناة، والنظام، وشكل الرسالة، والمفتاح، والغرض"⁽²⁾.

وقد صنف هايمز خصائص السياق على النحو التالي⁽³⁾:

1- الباث: هو المتكلم أو الكاتب الذي يحدث القول.

¹ - براون ويول، تحليل الخطاب، ص 51.

2 - عمر أبو خرمة، نحو النص، ص: 11-12.

³ - ينظر: براون ويول، المرجع السابق، ص: 47-48.

الفصل الثاني **آليات الانسجام النصية والتداولية**

- 2- المتلقي : وهو القارئ الذي يستقبل القول.
 - 3- المستمعون : يحددون معنى الحدث الكلامي.
 - 4- الموضوع : محور الحديث .
 - 5- الظرف : السياق الزماني والمكاني للحدث الكلامي .
 - 6- القناة : كيفية التواصل بين الأطراف المشاركة في الحدث الكلامي
 - 7- الصيغة : الأسلوب المستعمل في الحدث الكلامي.
 - 8- الحدث: طبيعة الحدث التواصلية.
 - 9- الطابع: يتضمن تقييم الكلام.
 - 10- الغرض: النتيجة المراد التوصل إليها من خلال الحدث الكلامي /التواصلية.
- وقد أشار فان دايك إلى مجموعة من المعطيات يجب أن تأخذ بعين الاعتبار في إطار توضيح (سياق الفهم)، (فهم النص):
- 1- الاستعانة بمعرفة العالم انطلاقاً من مكتسباته المعرفية المخزونة في الذاكرة.
 - 2- لأجل فهم النص ، فمن المهم جداً أن تكون كميات المعلومات الكبرى التي يمكن استخلاصها من نص ما منظمة ومبنية ومختصرة... فالقارئ لا يستطيع أن يكرر النص كلمة كلمة ولا حتى جملة جملة عملية ، فبعد أسابيع قليلة من قراءة النص ، فلن يتذكر سوى أهم موضوعات هذا الأخير.

الفصل الثاني آليات الانسجام النصية والتداولية

3- لكي نتمكن من إضفاء ترابط خطي على نص معين ،يجب أن تحفظ بعض

المعلومات في الذاكرة العملية ،

4- كما أن السياق مقارنة متعددة الأبعاد تفرض الربط بين مختلف المستويات،

فالمقصود هنا ليس قراءة النص فقط ، وإنما يجب فهم وتحليل مختلف وظائف

النص في هذه السياقات (1).

¹ - علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري، من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، ص: 84 بتصرف

2-3-2- مبدأ التأويل المحلي (Local interpretation):

يُعد هذا المبدأ من العلاقات غير الظاهرة التي تكون بين أجزاء النص، فلا يكاد يخلو منها أي نص، إذ " يهدف هذا المبدأ إلى تعيين عملية التأويل للنص من قبل المتلقي وضبطها، حيث يضع بعض الحدود التي تؤثر عملية التأويل وذلك من خلال بعض المفاتيح في الخطاب، مثل أسماء الأشخاص، ألفاظ الزمان والمكان، أي أن يدخل المتلقي الذي يعد من أهم الركائز في نظرية تحليل الخطاب [...] ويتحقق الانسجام في الخطاب بناء على مبدأ التأويل المحلي من خلال اضطرار المتلقي إلى البحث عن المفاتيح والقرائن الموجهة للتأويل في مختلف أجزاء الخطاب"⁽¹⁾.

والتأويل عملية ذهنية، وهو تجسيد لعملية الفهم، وقد أسال الكثير من الحبر واختلف في معناه، خاصة وأن بداياته كانت مع إشكالية تأويل النص القراءاني مروراً بالنص الأدبي، فالتأويل هو " رسم لخارطة تتحكم فيها الفرضيات الخاصة بالقراءة ، وهي فرضيات تسقط انطلاقاً من معطيات النص ، مسيرات تأويلية تطمئن إليها الذات المتلقية"⁽²⁾، فـ"عندما نذكر التأويل فإننا نكون بصدد استحضار مفاهيم علم النص ونظرية القراءة

¹ - خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ، دار جرير، ط1، عمان الأردن ، ص :161

² - أمبرتو إيكو ، التأويل بين السيميائيات والنفيكية ، ترجمة سعيد بنكراد ، المركز الثقافي العربي ، ط2، 2004، ص:11

الفصل الثاني ————— آليات الانسجام النصية والتداولية

والتلقي، ذلك أنّ هؤلاء الثلاثة متصلون اتصالاً وثيقاً، بحيث يستحيل الفصل بينهم، خاصة في مجال تحليل النصوص " (1) .

يرى محمد خطابي أنّ هذا المبدأ مرتبط " بما يمكن أن يعتبر تقييداً للطاقة التأويلية لدى المتلقي باعتماده على خصائص السياق، كما أنه مبدأ متعلق أيضاً بكيفية تحديد الفترة الزمنية في تأويل مؤشر زمني مثل الآن ، أو المظاهر الملائمة لشخص محال إليه بالاسم " (2) ، فالتأويل بهذا المفهوم يرتبط بقرائن النص التي يؤول بعضها بعضاً، ويقوم على تقييد وحصر مفاهيم النصوص ، اعتماداً على السياق وطبيعة الخطاب اللذان يساعد على فهم النص، فالمتلقي هنا مقيد بالنص دون الخروج عن الأطر والمفاهيم المتعلقة به، وهنا تظهر التأويلات الممكنة للنص ، لأن النص ليس مغلقاً على نفسه وذاته ، بل هو مفتوح وللقارئ الحق في إنتاج نصوص جديدة من خلال عملية التأويل، كما أنه يكون " محكوماً بمرجعياته وحدوده وقوانينه وضوابطه الذاتية " (3) ، وهذه المفاهيم مرتبطة " بخطة مغايرة تطلب من المتلقي/القارئ أن يقلل من عمليات التحليل قدر الإمكان، وأن يقتصر على تكوين تصوّر على درجة كافية من التخصيص، يسمح له بفهم يتناسب مع ما يرى المتلقي أنه غرض القول " (4)، كما أنه ملزم بعدم " إنشاء سياق يفوق ما يحتاج إليه للوصول إلى فهم معيّن

¹ - فيصل الأحمر ، معجم السيميائيات ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط1، 2010، ص:181

² - محمد خطابي، لسانيات النص، ص:56

³ - أمبرتو إيكو ، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية ، ص:11

⁴ - براون ويول، تحليل الخطاب ، ص:73.

الفصل الثاني آليات الانسجام النصية والتداولية

لقول ما⁽¹⁾. فهو ينطلق من معطيات وخلفيات سابقة، وهنا يتم "استبعاد التأويل غير المنسجم مع المعلومات الواردة في الخطاب"⁽²⁾، ف"المتلقي هو الذي يحكم على النص أنه منسجم وعلى آخر أنه غير منسجم... بتعبير آخر، يستمد الخطاب انسجامه من فهم وتأويل المتلقي ليس غير... وكل نص قابل للفهم والتأويل فهو نص منسجم"⁽³⁾.

كل هذا "يمنح المفسر الآليات الضرورية لاكتشاف المعاني الخبيئة والمبهمة في النصوص، فهي تباشر عملها انطلاقاً من الصعوبات الموجودة داخل النص"⁽⁴⁾، هذا الأخير على نوعين، نصّ موجه لعامة الناس بأسلوب سهل لا يحتاج المتلقي إلى جهد في فهم معناه، ونصّ يحتاج إلى قراءة متأنية وإعمال فكر، ليفهمه المتلقي ويؤوله، "وعلى هذا فإن النص لا يتمظهر في شاكلة واحدة وإنما في كفاءات مختلفة وراءها مقصدية المرسل ومراعاة مقصدية المخاطب، والظروف التي يروج فيها النصّ، وجنس النصّ، وهذه الماورائيات نفسها تؤدي إلى اختلاف إستراتيجية التأويل من عصر إلى عصر ومن مجموعة إلى مجموعة ومن شخص إلى شخص، بل إن الممارسة التأويلية الشخصية دينامية"⁽⁵⁾

¹ - براون ويول، تحليل الخطاب ، ص: 71.

² - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 57.

³ - المرجع نفسه، ص: 51-52.

⁴ - مليكة دحامنية، هرمنيوطيقا النص أو فلسفة التأويل النصوص، محاولة لتحديد المصطلح، مجلة الخطاب، عدد ماي،

2006، ص: 85.

⁵ - محمد مفتاح، مجهول البيان، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1990، ص: 89.

الفصل الثاني آليات الانسجام النصية والتداولية

يظهر لنا مما سبق أنّ التّأويل هو "كلّ فعل قرائي يروم بناء المعنى، استنادًا إلى أدوات ومرجعيات وقواعد في العمل، والتزام مطلق بحدود البلاغة التّأويلية، وهي خلاصة تجارب جماعية في تطير الفهم وبلوغ الدّلالة"⁽¹⁾، و"تقتضي قراءة النصوص وتأويلها تفاعلا حيويًا من القارئ، إنه هو الذي يحيي فعل القراءة وينشطها، حتى يستخرج من النص ما لا يقوله النص، وأن يعيد بجديّة ملء الفضاءات الفارغة إن كانت ظاهرة، إنه يتكفل بعملية بناء دلالات موازية للنص الأصلي، فيسهم بذلك في إثراء وإخصاب مضامين النصوص وتوسيع دائرة المعلومات التي تتضمنها"⁽²⁾.

وهذه التجارب تكون مع "أحداث مماثلة هي التي تمكنه من الحكم على المقصد الذي يمكن أن يهدف إليه الكلام كما أن معرفته هي التي تحدد فهمه المحلي"⁽³⁾، فالتّأويل "في أدقّ معانيه هو تحديد المعاني اللغوية في العمل الأدبي من خلال التحليل وإعادة صياغة المفردات والتركيب ومن خلال التّعليق على النصّ. مثل هذا التّأويل يركز عادة على مقطوعات غامضة أو مجازيّة يتعذّر فهمها. أمّا في أوسع معانيه فالتّأويل هو توضيح مرامي العمل

¹ - محمد بازي، التّأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص: 21.

² - إدريس بلمليح، القراءة التفاعلية دراسات لنصوص شعرية حديثة، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء المغرب، 2000، ص: 7-8 نقلًا عن ليندة قياس، لسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمداني أنموذجًا، مكتبة الآداب، ط1، 2009، ص: 153.

³ - براون ويول، تحليل الخطاب، ص: 73.

الفصل الثاني ————— آليات الانسجام النصية والتداولية

الفني ككل ومقاصده باستخدام وسيلة اللغة⁽¹⁾، وهو بهذا المفهوم ينطوي على "شرح" خصائص العمل وسماته مثل النوع الأدبي الذي ينتمي إليه، وعناصره وبنيته وغرضه وتأثيراته⁽²⁾.

2-3-3- مبدأ التشابه (Similarité)⁽³⁾:

لا يتم فهم النصوص إلا إذا ربطت بمعرفة سابقة ، وهذا ما يمكننا من توفير إطار واسع لفهم هذه النصوص ، فـ "من ضمن ما تزود به التجربة السابقة المتلقي ، القدرة على التوقع ، أي توقع ما يمكن أن يكون اللاحق بناء على وقوفه (أي المتلقي) على السابق"⁽⁴⁾ ، فالمتلقي يتلقى النصّ وفقا لتجارب ومعارف سابقة، إضافة إلى ما يكتسبه من خبرات تساعد على فهم النصّ، فمن خلال تجارب المتلقي السابقة وخبراته في اكتشاف وتحديد

¹ - ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص: 88.

² - المرجع نفسه، ص: 88.

³ - هناك خلط بين هذا المبدأ وبين مفهوم التناص ، فالتناص له مفهومان ، في سياقين معرفيين مختلفين التناص الذي حددته جوليا كريستيفا وأسس له رولان بارت وهذا يعني أنه لا نص يولد من فراغ ، فكل النصوص هي فسفساء نصوص أخرى ، بمعنى كل نص هو متناص .وهو هذا المفهوم الأكثر ذيوعا وشيوعا بين النقاد واللسانيين، وهو شيء آخر غير التشابه ، أما التناص الآخر الذي هو تعالق نصي ، يحدث في النص علاقة تلاقي نصي داخلي في النص الواحد وهذا يحقق الانسجام في النص الواحد وهذا هو مفهوم فان دايك في كتابه النص والسياق ، إضافة إلى أن التناص عبارة عن تفاعل بين نصوص وهو تجسيد لمبدأ التشابه على هذا المستوى فقط، ولا يجوز اعتبارهما الشيء نفسه ، لأن مبدأ التشابه آلية نفسية معرفية تركز على تخزين المعلومات في الذاكرة واسترجاعها عند الحاجة، وقد اقتبست من علم النفس الجشطالتي. وسواء في ذلك أكانت تلك المعلومات نتيجة تفاعل مع نصوص أو نتيجة مواقف وتجارب خاصة أو عامة.

⁴ - محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 57-58

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

الخطابات المشابهة تجعله قادرا على الحكم عليها وتأويلها ، وفي هذا نجد ف.تش. بارتليت (F.Ch.Bartlett) يحدد هذه المعارف والخبرات فيقول: "يحقّ لنا أن نقول إنّ كل العمليات المعرفية التي تمّ النظر فيها والتي تتراوح بين الإدراك والتفكير ليست إلا سبلا تمكن جهدنا في تقصّي المعنى من التعبير عن نفسه. ولو صغنا هذا الأمر بقدر كبير من التعميم، لقلنا إنّ هذا الجهد هو ببساطة محاولة لربط شيء معطى بشيء آخر مخالف له" ⁽¹⁾، فالبحث عن المعنى والوصول إليه يقتضي بذل جهد ، لهذا يعتبر هذا المبدأ أحد "الأدوات الأساسية التي تمكّن السّامعين والمحلّلين من تحديد التّأويلات في فهمهم داخل السّياق ، فهم يفترضون أنّ كلّ شيء سيبقى على ما كان عليه ما داموا لم يعطوا إشعاراً خاصاً بتغيير إحدى الخصائص" ⁽²⁾.

"ومهما كانت قيمة هذا الضرب من المعرفة بالنصوص السابقة، فإنّ هذا التناص ليس حكرا على السامع بل هو أيضا أمر ضروري لمنشئ نص الخطاب، فكما لا يعقل أن يباشر مستمع نصا وهو خالي الذهن من كل تجربة تخاطبية (فمن الصعب تصور مستمع يسمع للمرة الأولى نص خطاب) فإنه لا يعقل أيضا أن يتكلم متكلم دون أن يعتمد على سابق

¹ -براون ويول، تحليل الخطاب، ص: 74.

² - المرجع نفسه، ص: 78.

الفصل الثاني **آليات الانسجام النصية والتداولية**

تجربته في الكلام ⁽¹⁾ ، لكنّ "الاعتماد على مبدأ التشابه من شأنه أن يجبر السّامعين/القراء على محاولة فهم الأقوال المتتالية على أنّها ترتبط بالموضوع نفسه" ⁽²⁾ .

وقد ميز محمد الشاوش بين المبدئين المحددين لانسجام الخطاب، مبدأ التّأويل المحلي ومبدأ التشابه، فهما " ليسا من قبيل واحد: فالأوّل يتعلّق بوجه من وجوه ظاهرة التّأويل والفهم ذاتها، أمّا الثّاني فيتعلّق بإحدى الطرق التي يتحقّق بها، فأحدث ذلك تضارباً في التصنيف، زاد منه إقامة الأوّل على الروابط النصّية والتّجارب السابقة وإقامة الثّاني على المعارف النصّية الحاصلة ممّا تجمّع للسّامع من سابق معرفة بالنصوص" ⁽³⁾ .

ولعلّ "الأنسب أن يكون المدخل للحديث عن هذا الضرب من الفهم والتّأويل تقابلاً بين سابق حاصل وحاضر، تقابل يمكن أن يجري في ثلاثة مجالات أو مستويات:

* مستوى نصّ الخطاب المقصود تأويله، وفيه بحسب التقدم فيه جزء سابق وجزء

حاضر: وللسابق المتقدّم منه دور في قيام التّأويل المحلي.

* مستوى التجارب الحاصلة للمستمع، وفيها من المعطيات ما يعتمد عليه في تأويل

نصّ الخطاب التّأويل المحلي المناسب.

¹ - محمد الشاوش ، أصول تحليل الخطاب ، ج: 1، ص: 169

² - براون ويول، تحليل الخطاب ، ص: 79.

³ - محمد الشاوش، المرجع السابق، ج: 1، ص: 170.

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

* مستوى المعارف النصية، وفيها يجد المستمع أيضاً من المعطيات ما يعتمد عليه في تأويل نص الخطاب التّأويل المناسب، وإن كان هذا الضرب من التّأويل قد لا يوافق تأويل جزء ضيق من نصّ الخطاب⁽¹⁾.

باعتبار أنّ التشابه عملية ذهنية ينجزها المتلقي في جميع الحالات التي تتعلق بالروابط النصية والتي لها صلة بالمعارف المكتسبة.

2-3-4- المعرفة الخلفية :

المعرفة الخلفية عملية ذهنية، يحاول الباحثون من خلالها " تمثيل المعرفة المخزونة في الذاكرة و بحثها بطريقة علمية تُمكن من اكتشاف العمليات الذهنية التي يشغلها القارئ أثناء مواجهة نص من النصوص "⁽²⁾، فالقارئ حين يواجه خطاباً ما لا يواجهه وهو خاوي الوفاض وإنما يستعين بتجاربه السابقة ، بمعنى أنّه لا يواجهه وهو خالي الذهن "⁽³⁾.

فعن طريقها يسدّ المتلقي ثغرات تلك النصوص ، فتراكم المعارف وتجمعها تجعل منه قادراً على إعادة بناء النصوص وتشكيلها وفهمها وتأويلها ، كل هذا في إطار عملية بنائية.

¹ - محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج:1، ص:170.

² - محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص: 62

³ - المرجع نفسه : ص: 61

الفصل الثاني آليات الانسجام النصية والتداولية

يرى براون ويول أن "المعرفة التي نملكها كمستعملي لغة ما عن التفاعل الاجتماعي عن طريق اللغة، ليست سوى جزء من معرفتنا الاجتماعية الثقافية العامة ، هذه المعلومات العامة عن العالم هي أساس فهمنا لا للخطاب فحسب بل ربما لكل خبراتنا الحياتية " (1).

وتتداخل المعرفة الخلفية مع التّناص والذي هو عبارة عن معارف مستمدة من نصوص سابقة، وعند تراكم هذا الكم من المعارف والخلفيات فإن المتكلم في الغالب يبتعد عن الإطناب والشروحات والتفسير كونها معلومة لدى المتلقي، لأن المعلومات السابقة والخلفيات المعرفية تحيل المتلقي إلى نصوص غائبة يستحضرها بمجرد وجود المثيرات التي تجعله متفاعلا مع النصوص بطريقة مباشرة، لأنّ أساس " إنتاج أيّ نص هو معرفة صاحبه للعالم ، وهذه المعرفة هي ركيزة تأويل النص من قبل المتلقي أيضا " (2) ، هذا الأخير بحاجة إلى رصيد معرفي مخزن لفك شفرات النص وتأويل مبهمه، بالاعتماد على المعارف التاريخية المستقاة من التراث لإعادة تشكيل النصوص وفق هذا الزاد، إذ تعتبر المعارف القبلية الركيزة الأساسية لفهم أي خطاب، والكاتب المبدع عند كتابة أي نص فإنه يستعين بمكونات النص من خلفيات ومعارف سابقة، فيشارك مع المتلقي/ القارئ في إنتاج نصوص تكون هذه الخلفيات القاسم المشترك الذي يجمعهما مما يساعد المتلقي في فهم

¹ - براون ويول، تحليل الخطاب، ص : 279

² - محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص ، ص: 123

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

الخطاب، وهذا المخزون الفكري الثقافي يساعدنا في تفكيك وتأويل ما اختزل في النص، و تشترك أيضا مع العلاقات الدلالية في كونها تسمح لنا من تنظيم أفكار النص من العام إلى الخاص ، فيأتي النص متلاحم الأجزاء، فـ " النص الشعري كغيره من النصوص تتحكم فيه المعرفة الخلفية سواء تعلق الأمر بالإنتاج والتلقي ، إن المعرفة الخلفية تسهم بشكل فعال في تفسير العلاقة المتوترة بين القارئ وبين النص، وبالتالي تجعله يشعر بإمكان الفهم والتأويل" ⁽¹⁾، لذلك وجب استثمار هذه المعارف والخلفيات في الولوج لعالم النص لفظ مغاليقه وشفراته، لأن فهم النصوص يتطلب فهم التاريخ والتراث، وهنا يأتي دور المبدع وقدرته على إعادة تشكيل النصوص، مبتعدا عن الغموض، خاصة ما يتعلق بإساءة توظيف الرموز، فـ "المخاطب لا يتلقى ما يتلقاه من النصوص وهو خالي الذهن، وإنما يتلقاه وقد حصلت لديه جملة من المعارف هي التي سميت بالمعرفة الخلفية" ⁽²⁾، هذه الأخيرة تلعب دورا بارزا في "إنتاج النص كما أنها ضرورية لاستقباله، فالوسيلة الأساسية للحصول على المعرفة هي الحواس، فالمتلقي يتخذ حواسه هادية له، وخصوصا سمعه وبصره" ⁽³⁾.

تحمل المعرفة معان كثيرة لكن المتعارف عليه هو مدى ارتباطها بمفهومين: "علمي إبستمولوجي خاص وثقافي عام، فهي بالأول جملة المعارف والمعلومات الثابتة الصحيحة

¹ - محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص: 326

² - محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج: 1، ص: 175 .

³ - محمد مفتاح، دينامية النص ، تنظير وانجاز، ص: 47.

الفصل الثاني **آليات الانسجام النصية والتداولية**

التي كانت البرهنة عليها في مختلف المجالات والعصور، وهي بهذا المفهوم عدد من الأفكار أو المهارات يتلقاها الفرد أو المجموعة ...، أمّا المعرفة في المفهوم الثقافي العام فهي كلّ ما يمثّل معتقدات الفرد أو المجموعة في جميع مظاهر الفكر والحياة في علاقة الفرد بمحيطه البيئيّ أو الاجتماعيّ وفي علاقته بالكون وبما يسعه، من معتقدات⁽¹⁾.

فالمعرفة التي "تملكها كمستعملي لغة ما عن التفاعل الاجتماعي عن طريق اللغة ليست سوى جزء من معرفتنا الاجتماعية الثقافية العامة. هذه المعلومات العامة عن العالم هي أساس فهمنا لا للخطاب فحسب بل ربما لكل جوانب خبراتنا الحياتية"⁽²⁾.

وتبرز أهمية المعرفة الخلفية من خلال الإبداع ، فالمتلقي يمارس مهام التحليل، فـ"المحلل من حصل على معرفة موسوعية مصاحبة بموهبة الذوق الذي يرشده إلى مكان الجمال وإلى بؤر القبح، والذوق والمعرفة بالإضافة إلى التجربة تجعل المحلل قادراً على أن يكشف عن أبعاد النص، وتقريبها إلى القراء الذين ليس لهم تلك المعرفة وذلك الذوق وتلك التجربة، وقادراً على أن يوجه المبدع ويرشده،.. وبناء على هذا يفترض وجود مسارين متوازنين لا يلتقيان: مسار المبدع، ومسار الناقد، لأن لكل منهما سبيله الخاص به بل هناك من ظن أن العملية التحليلية الفكرية عملية تشويش على العمل الإبداعي، لأنها تفرض عليه

¹ - الأزهري الزناد، النص والخطاب مباحث لسانية عرفية، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، العراق، 2014، ص: 83.

² - براون ويول، تحليل الخطاب، ص: 279.

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

قيودها ومقاييسها، مما يعوقه عن الانطلاق الحر لارتداد آفاق جديدة كاشفة عن غياهب المجهول" (1).

فمنتج النص ينطلق من معارف ومكتسبات قبلية لإنتاج خطابه ، و"يمكن أن تنتظم في ثلاثة أنظمة معرفية هي:

- معرفة لغوية.

- معرفة موضوعية أو موسوعية.

- معرفة تفاعلية.

- تشمل معرفة إنجازية وكذلك معرفة عن معايير اتّصالية ومعرفة ما وراء اتّصالية بوصفها معرفة خاصة بضمان الفهم والحيلولة دون معارضات الاتّصال ومعرفة عن أبنية النص الكلية وأنواعه" (2). هذه المعارف تساهم في فك ما غلق وأبهم من النص ويلجأ المتلقي لتأويل الخطاب وفهمه عن طريق استثمار كل ما يحيط بالنص ، وهي ذاتها من تعين المتلقي وتأخذ بيده لولوج عالم النص ، ومعرفة قصدية الشاعر لأن "عملية تفعيل المعرفة لا تفهم في إطار ذلك على أنها مجرد استدعاء لمعارف متباينة من الذاكرة، بل هي

¹- محمد مفتاح، النص من القراءة إلى التنظير، المدارس للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء، 2000، ص:23.

²- فولفجانج هايمنه مان وديتر فيهفجر، مدخل إلى علم لغة النص، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق،

ط1، القاهرة، 2004، ص:126.

الفصل الثاني **آليات الانسجام النصية والتداولية**

عملية تتضمن عمليات تفكير بشكل نسقي. ولما كانت عمليات إنتاج النص لم تدرس إلى الآن إلا دراسة محدودة نسبياً، فإن المكونات داخل عمليات إنتاج النص لا يمكن حصرها إلا بصعوبة بالغة" (1).

وهذا ما دفع "بالدراسات النفسانية الجديدة المتجلية فيما يسمى بـ"علم النفس المعرفي" و"الدراسات العلمية المعاصرة" مثل "الذكاء الاصطناعي"، تقدم نظريات ومفاهيم تجعل المبدع والمحلل خاضعين لنفس العمليات الذهنية التي تحكمهما معاً. وتلك النظريات والمفاهيم هي: نظرية الأطر، والمدونات، والخطاطات، والسيناريوهات، والنماذج الذهنية، وقد تفرع عنها مفاهيم أخرى مثل المشهد والديكور وغيرهما (2).

وقد تم وضع مرتكزات للمعرفة الخلفية، والتي تشكل مدخلا مهما لفهم النصوص وإعادة تشكيلها وإنتاجها وفقاً للآليات التي تتحكم في الخطاب وظروف إنتاجه، وفهمه بعيداً عن الغموض، فـ "عملية فهم الخطاب أساساً عملية استرجاع المعلومات المخزنة في الذاكرة، وربطها بالخطاب الذي نتعامل معه، ونتيجة لذلك فقد أخذ منحى البحوث في هذا المجال منعطفاً مهما نحو البحث عن أفضل مفهوم للتخزين، قادر على معالجة المعلومات المعروفة الموجودة مسبقاً في الذهن، مثل مفهوم الأطر والمخططات اللذين اقترحتهما دراسات الذكاء الاصطناعي عن كيفية تنظيم المعلومات في الذاكرة؛ ومثل مفهوم السيناريو، والهياكل، مما

¹ - فولفجانج هايمينه مان وديتر فيهفجر، مدخل إلى علم لغة النص، ص: 127.

² - محمد مفتاح، النص من القراءة إلى التنظيم، ص: 24.

الفصل الثاني **آليات الانسجام النصية والتداولية**

أسهمت به الأبحاث في مجال علم النفس عن كيفية تخزين المعلومات عن العالم في ذاكرة الإنسان، وكيفية تنشيطها في عملية فهم الخطاب⁽¹⁾.

ولعلّ أهم تلك النظريات والمرتكزات التي استثمرتها المعرفة الخلفية :

2-3-4-1- نظرية الأطر (les Cadres):

المعلومات مخزنة في الذاكرة في شكل بنى مخصصة للبيانات نُسَمِّيها "إطارات معرفية" يمكن أن نوظفها ونستثمرها في مواقف متشابهة ويتم تكيفها للتناسب مع الواقع⁽²⁾ فالأطر هي "أشكال معينة للتنظيم بالنسبة للمعرفة المحددة عرْفِيًّا التي نمتلكها عن العالم، مثل التنزه، حفلات أعياد الميلاد، السفر بالقطار، التسوّق... إلخ"⁽³⁾. كما أنها تمثّل "عرض معين من خلاله تنظيم العناصر الخاصة بمفهوم أساسيّ ما؛ فهو مجموعة جمل لها مفهوم (thème) واحد. وهو يرتبط بوصف كيان الشيء. مثال: إطار (البيت): شبكة من المداخل والأبواب والنوافذ"⁽⁴⁾.

¹- عزة شبل محمد، علم لغة النص، ص:198.

²-ينظر: براون ويول، تحليل الخطاب ، ص: 285 ، ومحمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص ، ص:123

³- عزة شبل محمد، المرجع السابق، ص:199.

⁴- حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، ص:158.

الفصل الثاني ————— آليات الانسجام النصية والتداولية

فالأطر "تنظيم للمعرفة ضمن مواضيع مثالية (prototypes) وأحداث قلبية (stereotypes) ملائمة لأوضاع خاصة. ومعنى هذا أن الذاكرة الإنسانية تحتوي على أنواع من المعارف المنظمة في شكل بنيات. وحينما يواجه الإنسان سلوكاً أو حدثاً أو يريد أن يقوم به أو يفعله فإنه يستمد من مخزون ذاكرته أحد أجزاء البنية لتأويل ما وقع أو لإنجاز ما يريد"⁽¹⁾، فالمعرفة المخزنة في الذاكرة على شكل أطر يعاد إنتاجها أو إنتاج معرفة شبيهة بها.

2-4-3-2- نظرية المدونات (les Scripts):

وضعت أساساً للتعامل مع متواليات الأحداث وهي خاضعة لمبدأ التوقع ، و مرتبطة بالعلاقات التي ينتجها المتلقي، كما أن هذه المفاهيم وضعت أيضاً " للكشف عن العلاقة بين المواقف والسلوك " ⁽²⁾ ، فهي "تتابع تقليدي للأحداث المخزنة في الوعي، أو تعاقب الأحداث التي تتكرر كثيراً، مثل (زيارة مطعم، زيارة طبيب،...الخ)؛ أي أنها تعنى الأحداث المميزة لسياق معين، فبينما يعامل الإطار على أنه مجموعة من الحقائق بشأن العالم"⁽³⁾، هذه الحقائق هي التي تزيد من حجم المعارف لدى السامع لفهم النصوص ،ولرفع الإبهام عن الخطاب يجب الاعتماد على تجارب المتلقي وخلفياته المعرفية ، تكون حول جريان أحداث متوقعة ؛

¹ - محمد مفتاح، مجهول البيان، ص: 27 و 68.

² - محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ،استراتيجية التناص ، ص: 123-124

³ - عزة شبل محمد، علم لغة النص ، ص: 199.

الفصل الثاني آليات الانسجام النصية والتداولية

وهي معلومة لدى المتلقي وموجودة في عالم النص ، وهنا تتداخل المعارف فيتشكل الاندماج التام بين القارئ والنص، ويظهر الفرق بين الإطار والمدونة ، أن المعرفة في الإطار لا تتضمن تتابع الأحداث.

فكل من المدونات والأطر توحى بتطابق بينهما، لذا "نجد بعض المؤلفين يجمعون الإطار والمدونة في تعريف واحد " الأطر والمدونات تنظم المعرفة ضمن مواضيع.. ويجعلون مكوناتها واحدة ، على أن بعض المؤلفين الآخرين يريد أن يمايز بينهما (1).

2-3-4-3-نظرية السيناريوهات (les Scénarios):

أو ما يطلق عليها محمد مفتاح بالحوار (2) ، ونعني بها "المجال المرجعي الموسع الذي نعود إليه في تأويل النصوص المكتوبة، إذ نستطيع أن ننظر إلى معرفتنا بالظروف المحيطة والمواقف على أنها تمثل المخطط الذهني (السيناريو) الذي يكمن وراء تأويلنا للنص وهما يهدفان من ذلك إلى تأكيد صلاحية نظرية المخطط الذهني (السيناريو) لأن تمثل نظرية نفسية ... القائمة على عامل الإخبار" (3). وهنا يأتي دور منتج النص في إثارة الخلفيات وبعث سيناريوهات جديدة "مادامت الوضعيات الموصوفة جاهزة في السيناريوهات، وهي تتضمن أيضا فراغات تتعلق ببعض العناصر المشكلة للوضعيات والتي

¹ - محمد مفتاح، مجهول البيان ، ص :70.

² - ينظر: محمد مفتاح ، استراتيجية التناص ، ص: 124

³ - براون ويول، تحليل الخطاب، ص: 293.

الفصل الثاني آليات الانسجام النصية والتداولية

يسهل على القارئ ملؤها بمجرد تنشيط سيناريو مرتبط بهذه الوضعية أو تلك⁽¹⁾ . والغرض من هذه الوضعية أن يتكئ القارئ عليها ، ويتخذ موقعية تمكنه من التعامل مع النصوص مما يساهم في سيرورة النصوص عن طريق عملية الفهم ، ف "نجاح عملية الفهم القائمة على المخطط الذهني (السيناريو) يعتمد على درجة النجاعة التي يحققها صاحب النص في تنشيط المخططات الذهنية (السيناريو) المناسبة ، فالقطعة من النص لابد أن تمثل وصفا جزئيا محددا لعنصر من المخطط الذهني (السيناريو) ذاته حتى يمكن لها أن تظهر ذلك المخطط للعيان"⁽²⁾.

فالمتلقي يسعى لفهم السيناريوهات عن طريق التأويل الذي يربط بين النص والسياق، إذ يكون مزودا بمعارف قبلية تؤهله لفهم النص، وهنا يأتي دور المنتج في تنشيط هذه السيناريوهات التي تؤدي لنجاح هذا الفهم، ونجاح عملية الفهم متعلقة بفعالية وقدرة منتج النص على تنشيط سيناريوهات ملائمة.

¹- محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 66.

²- براون ويول، تحليل الخطاب ، ص: 294.

2-3-4-4- نظرية الخطّاطات/الأنساق الذهنية (Shématas):

وتعد هياكل معرفية مركبة من المستوى العالي أو هي تمثل مسرحاً للأفكار في عملية تنظيم التجربة وتأويلها " (1) ، وهي مجموع البنيات المعرفية المتحركة في عملية فهم وتأويل الخطاب، وتمثل الخطّاطة " أنماطاً تجريدية يكون بها تنضيد المعارف عند الناس ما تعلّق منها بالمعهود المتداول من الأعمال والأشياء والأحداث من قبيل البيع والشراء أو تناول الطعام في مطعم أو صعود في الحافلة وما إلى ذلك " (2).

ولهذه الخطّاطات وظيفة أساسية تهيء الفرد مسبقاً لممارسة تجاربه بشكل متتابع ومنتظم ، كما تهينه لتوقع الأحداث وتأويل الخطاب ، ويمكن اعتبار الخطّاطات / الأنساق الذهنية " بمثابة الخلفية المعرفية المنظمة التي تقودنا إلى أن نتوقع أو نتنبأ بمظاهر معينة في تأويلنا للخطاب " (3) .

¹ - براون ويول، تحليل الخطاب ، ص: 296 .

² - الأزهر الزناد، النص والخطاب، ص: 119.

³ - براون ويول، المرجع السابق، ص: 296.

2-3-5- البنية الكلية / موضوع الخطاب :

إن مفهوم البنية الكلية" يعد بنية مجردة، تقارب بموضوع الخطاب الذي يعتبره فان ديك مفهومًا عملياً"⁽¹⁾، فموضوع الخطاب "بنية كلية ترتبط بها أجزاء الخطاب وأن القارئ يصل إلى هذه البنية الكلية عبر عمليات متنوعة تشترك كلها في سمة الاختزال، على أن البنية الكلية ليست شيئاً معطى، حتى وإن كانت هناك بنيات متنوعة أو مؤشرات على وجود هذه البنية، وإنما هي مفهوم مجرد (حدسي) به تتجلى كلية الخطاب ووحدته"⁽²⁾ .

هناك علاقة وطيدة بين البنية الكلية للنص وموضوع النص ذلك أن الموضوع "ليس إلا أداة عملية لمقاربة بنية أكثر تجريدا هي البنية الكلية ،فعلى مستوى الوظيفة تقوم البنية الكلية بتنظيم الإخبار الدلالي المعقد في المعالجة وفي الذاكرة، وهي وظيفة لا تكاد تختلف عن وظيفة موضوع الخطاب...على أن الفرق الوحيد بين الاثنين هو أن تأسيس البنية الكلية يتم عبر عمليات أساسها الحذف والاختزال،بينما موضوع الخطاب يستخلص عن طريق رصد مجموعة من الجمل التي تخص هذا الموضوع،-لكن في اعتقادنا -أن نفس العمليات يمكن أن تنفذ للوصول إلى موضوع الخطاب ما دامت النتيجة التي نصل إليها هي " ⁽³⁾.

¹ - محمد خطابي،لسانيات النص، ص: 283.

² -محمد خطابي، المرجع نفسه، ص:46.

³ - المرجع نفسه ، ص:276-277.

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

يقول "فان ديك Van Dijk": "ومن ثمة فمفهوم البنية الكبرى يبدو نسبياً، فهو يميز بنية ذات طبيعة عامة نسبياً بالنظر إلى أبنية خاصة على مستوى أدنى آخر" (1). فالنص إذن يحتوي على بنيات صغرى تكون شديدة الانسجام مع القضية الأساسية التي يدور في فلكها موضوع النص.

ويفترض فان دايك "أن القواعد الكبرى للدلالة النصية موجودة في نموذج سيكولوجي للعملية أيضاً" (2)، مما يحتم على المتلقي أن ينظم معلوماته، وللوصول إلى بناء البنية الكبرى لنص ما لابد من أربع عمليات على المتلقي أن يتوقف عندها لتحقيق ذلك (3):

1- عملية الحذف:

وهذا عن طريق الاستغناء عن المعلومات غير الأساسية التي لا تؤدي وظيفة أساسية في النص، سيما إذا تم ذكرها آنفاً، كما تتدرج تحت هذه العملية قاعدة عدم إمكان حذف قضية تفترضها قضية لاحقة، وهي قاعدة تتضمن الإنشاء الدلالي الجيد للبنية الكبرى...، فكل المعلومات العرضية قابلة للحذف دون أن يخلف ذلك أثراً دلالياً في البنية الكلية (4).

¹ - فان ديك، علم النص، مدخل إلى متداخل الاختصاصات، ص: 75.

² - فان دايك، المرجع نفسه، ص: 291.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص: 81-85.

⁴ - محمد خطابي: لسانيات النص، ص: 44.

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

تعد هذه العملية "قاعدة تضمن الإنشاء الدلالي الجيد للبنية الكلية"⁽¹⁾ ومفادها حذف كل قضية من القضايا التي يفترض أنها لم تعد مهمة لتفسير القضية التالية⁽²⁾. مما يعني أن "كل المعلومات العرضية قابلة للحذف دون أن يخلف ذلك أثراً دلاليّاً في البنية الكلية إلاّ أنها غير قابلة للاسترجاع"⁽³⁾

2-عملية التعميم :

" كل تتابع قضوي، تقع من خلاله تصوّرات، يستوعبها تصوّر أعلى مشترك، تحلّ محلّه قضية لها هذا المفهوم القضوي"⁽⁴⁾ وتتعلق هذه العملية بحذف المعلومات الأساسية دون الثانوية، فهي تعمل على تجريد النصوص، من خلال حذف القضايا الجوهرية على عكس القاعدة الأولى التي تعمل على حذف القضايا العرضية والثانوية، ويمثل لذلك بالآتي:

* اشتريت الخشب والحجر.

* وضعت الأساس.

* أقمت الجدار.

¹ - محمد خطابي، لسانيات النص ، ص: 44.

² - فان دايك، علم النص، مدخل إلى متداخل الاختصاصات ، ص: 291.

³ - محمد خطابي، المرجع سابق، ص: 45.

⁴ - فان دايك، المرجع سابق ، ص: 291.

الفصل الثاني ===== آليات الانسجام النصية والتداولية

يمكن أن نجمل هذه القضايا في قضية أساسية واحدة هي: أنا بنيت منزلاً. فالأقوال السابقة تتضمن من " الناحية التصورية أو المفهومية القول الوارد في الجملة الأخيرة. ومن هنا فإننا في التعميم نضع التصور الكلي موضع الجزئيات التي نحذفها، وهو يشملها كلها"⁽¹⁾.

3- الاختيار:

تتضمن هذه القاعدة حذف المعلومات الممكن استرجاعها في جزء معين من أجزاء النص المتبقية، فهي تختار من القضايا ما يمكن أن يوصف به الحدث بشكل عام، فالاختيار هو " حذف بعض المعلومات وإبقاء بعضها الآخر مع مراعاة وضوح العلاقة بين المحذوف والمتروك"⁽²⁾، فقولنا مثلاً:

* نجح زيد في الامتحان.

* ثابر واجتهد.

* تحصل على جائزة.

فنختار القضية " تحصل زيد على الجائزة" للدلالة على القضيتين الآخرين، طبقاً لشروط القول نجدهما فرضين مكملين لقول غير محذوف وهو القضية الأخيرة. لأن الحصول على الجائزة لا يكون إلا بالاجتهاد والمثابرة، فالاختبار هو حذف محدد من المعلومات التي تشكل العالم المعرفي للنص.

¹- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 239.

²- صلاح فضل، المرجع نفسه، ص: 239.

4- الإدماج:

في هذه العملية لا وجود للحذف ولا للاختيار، وإنما يستدل عليها عقليا، فالقضايا فيها ترتبط بالقضية الجديدة ارتباطا لزوميا ومنطقيا، فقولنا على سبيل المثال:

*خرجت من البيت.

*مشيت في الطريق

*دخلت إلى الدكان.

*دفعتم ثمن الألعاب.

يمكن أن ندمج قضية جديدة إلى القضايا السابق ذكرها فنقول: اشتريت ألعابا. لأنّ شراء الألعاب يقتضي العناصر الممكنة السابقة، وأهمية هذه القاعدة تكمن في أن مفهوم شراء الألعاب " ليس من الضروري أن يكون حاضرا في النص بكلماته، بل يكفي أن يوجد عدد من العناصر المكونة له حتى نستنتج الرابط بينها انطلاقا من النص ذاته" (1).

ونخلص في الأخير إلى أننا نقوم باختزال المعلومات الواردة في الخطاب، أي أن العمليات هذه تحدد ما هو مهم نسبيا في المقطع"ن ويحدد المهم بالنظر إلى الأجزاء التي يتكون منها الخطاب وليس بالاستقلال عنها" (2) على أن لا يكون عمل العمليات الكبرى في البنية الكبرى الشاملة عشوائيا، وإنما يتم وفق خلفيات نصية ومقامية، فأما المقامية فتكون

¹ - صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 239.

² - محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 45.

الفصل الثاني ————— آليات الانسجام النصية والتداولية

وفق المعرفة بعالم النص، وأما النصية فهي كل ما في النص من آليات تغريضية كالعنوان والإحالات المبنوثة في النصوص⁽¹⁾.

" إن مفهوم الموضوع (موضوع الخطاب) مفهوم جذاب إذ يبدو أنه المبدأ المركزي المنظم لقسم كبير من الخطاب يمكن أن يجعل المحلل قادرا على تفسير ما يلي : لماذا ينبغي أن نعتبر الجمل أو الأقوال متآخذة كمجموعة من صنف ما منفصل عن مجموع آخر، يمكن أن يقدم أيضا وسيلة لتمييز الأجزاء الخطابية الجيدة، المنسجمة... من تلك التي تعد حدسيا، جملا متجاوزة غير منسجمة" ⁽²⁾ .

¹ - ينظر: فان ديك: علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ص:86.

² - محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 277.

الفصل الثالث

الجانب التطبيقي

1-التعريف بالشاعر⁽¹⁾:

الشاعر هو صالح بن أبي الحسن يزيد شريف بن صالح بن موسى الرندي الأندلسي، اختلف المؤرخون في كنيته، فعند لسان الدين بن الخطيب في مؤلفه : "الإحاطة في أخبار غرناطة": أبو الطيب⁽²⁾ وعند المقرّي في "نفع الطيب" أن المعري كناه بأبي البقاء⁽³⁾ و بها اشتهر، إلا أن الأرجح والصحيح أن كنيته : "أبو الطيب" لقرب زمان لسان الدين بن الخطيب منه .

عاش أبو الطيب في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، وعاصر الفتن والاضطرابات التي حدثت من الداخل والخارج في بلاد الأندلس، وشهد سقوط معظم المدن الأندلسية في يد الصليبيين، ولد سنة (604هـ)، كان حافظا للحديث فقيها، ألف في الفرائض

1- ترجمة الشاعر نادرة في كتب المؤرخين ، فرغم شهرته إلا أننا لا نكاد نجد تعريفا شاملا لشخصه رغم شهرته وشهرة قصيدته النونية ، وقد وقع الخلاف بين المؤرخين الذين تناولوا حياته في كنيته بل حتى اسمه ووفاته ، خاصة صاحب كتاب نفع الطيب الذي لم يشر إلى شيء من حياته عندما تناول هذه القصيدة الفريدة كما أطلق عليها المقرّي، وحياته في معظم كتب المؤرخين مجهولة إذ اختلف كثير منهم في وفاته وعصره ، ولولا أن ذاع صيته، و اشتهرت القصيدة وتناقلها الناس لما اشتهر.

2- لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تعليق بوزياني الدراجي ، دار الأمل للدراسات ، الجزائر، (د ط، دت)، ج: 4، ص: 225 .

3- أحمد بن محمد المقرّي ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت، 1968، ج: 4، ص: 486.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

نظمًا ونثرًا بارعا في منظوم الكلام و منثورَه (1) ألف كتابه المشهور "روضة الأُنس ونزهة النفس" (2) ، من أشهر أدباء الأندلس، بل شاعر الأندلس وأديبها في زمانه، وصاحب مرثيتها المشهورة، تُوفي في النصف الثاني من القرن السابع.

*- المدونة:

-الديوان: ينسب هذا الديوان الذي جُمع حديثا إلى صاحبه أبو البقاء الرندي ،بناء على جمع وتحقيق الباحثة المغربية حياة قارة .

وقد اعتمدنا في تحليل المدونة على بعض القصائد المختارة، وركزنا كثيرا في بحثنا على تحليل قصيدته المشهورة أو ما تسمى بنونية أبي البقاء الرندي أو مرثية أبي البقاء الرندي .

وتنسب هذه المرثية إلى الشاعر أبي البقاء الرندي حسب ما تداولته كتب التراث الأندلسي، فقد أجمع النقاد على أنّ القصيدة من أهم ما قيل في رثاء الفردوس المفقود ، إذ عبرت بصدق عن حال الأمة الإسلامية، إضافة إلى الوصف الدقيق الذي ميز البيئة الأندلسية عن غيرها، وقد عدت القصيدة من روائع ما قيل في الشعر العربي في رثاء

1- انظر ترجمته في الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لأبي عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي تحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة، ط1، بيروت، لبنان، 1965، ج: 4، ص: 137 ومسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري ج: 11، ص: 480 (نفع الطيب ج: 4، ص: 486)

2- لسان الدين بن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج: 4، ص: 226.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

الممالك والمدن، إن لم نقل هي أروع قصيدة على الإطلاق، ومما يجب ذكره هو أن أبا البقاء الرندي تميّز ببراعة أدبية لا مثيل لها، كما عبّر عن حالة السقوط بألفاظ كان لها أن تكتب بأحرف من ذهب، وبعد قراءتنا لبعض المصادر التي أشارت إلى القصيدة أو تناولتها بالشرح والدراسة وجدنا أن بعض المؤرخين لم يشيروا إليها ولو رمزا كابن الخطيب في مؤلفه الإحاطة في أخبار غرناطة، ومما زاد في شهرت القصيدة ⁽¹⁾، ارتباطها بتلك الأحداث المؤلمة التي ألمّت بالأندلس، ولهذا كانت واضحة في صدقها وحرارة عاطفتها، وقوة معانيها المعبرة، التي أضفت طابع الحزن علي النص.

أجمع النقاد على أن مرثية الأندلس من أهم ما قيل في رثاء الفردوس المفقود، إذ عبرت بصدق عن حال الأمة الإسلامية، إضافة إلى الوصف الدقيق الذي ميز البيئة الأندلسية عن غيرها، فقارئ القصيدة وكأنه يعيش تلك اللحظات المحزنة والأليمة التي كان الصليبيون آنذاك يسومون المسلمين أنواع العذاب، وقد عدت القصيدة من روائع ما قيل في الشعر العربي في رثاء الممالك والمدن، إن لم نقل هي أروع قصيدة على الإطلاق، ومما يجب ذكره هو أن أبا البقاء الرندي تميّز ببراعة أدبية لا مثيل لها، كما عبّر عن حالة السقوط بألفاظ كان لها أن تكتب بأحرف من ذهب، وبعد قراءتنا لبعض المصادر التي

¹ - مما نتعجب له، أنه رغم شهرة القصيدة في عصر الشاعر، وما بعد عصره، فقد زاد عليها كثير من الشعراء أبياتا ليست منها، حتى فاقت الستين بيتا، و أصبحت على غير ما كانت عليه، وبما أن زمان لسان الدين بن الخطيب قريب من زمن الشاعر، إلا أنه لم يتحدث عن القصيدة ولم يشر إليها ولو ببيت في مؤلفه الإحاطة، ولسنا ندري السبب.

الجانِب التّطبيقي ————— الآليات النّصّية والتّداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

أشارت إلى القصيدة أو تناولتها بالشرح والدراسة وجدنا أن بعض المؤرخين لم يشيروا إليها ولو رمزا كابن الخطيب في مؤلفه الإحاطة في أخبار غرناطة .

ومما لا يخفى على أحد أن العرب تمكنوا من الأندلس وحكموا لقرون طويلة ، لكن سرعان ما ضاع هذا الحكم بسقوط بعض المدن الأندلسية في أيدي الصليبيين ، نتيجة تخاذل المسلمين في نصرّة إخوانهم ومد يد العون إليهم ، ولعل هذه القصيدة خير ما يصور الفاجعة الأليمة التي حلت بالأندلس من قتل وتكّيل وتعذيب للمسلمين ، وفيها بكى الشاعر بحرقة عن ضياع هذا المجد ، وخلد تلك المآسي بكلمات لا زالت تردد لحد الآن .

ورغم شهرة القصيدة وقوتها في التعبير عن مآسي المسلمين ، فإن أبا البقاء الرندي لم ينظمها بعد خروج المسلمين من الأندلس ، وإنما نظمها قبل خروجهم النهائي منها ، وذلك عندما نزل ابن الأحمر لنصارى الأندلس على عدد من ثغور الأندلس ، وهو ما ورد في أحداث سنة 665هـ ، فقد ورد في كتاب " الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية " عند حديثه عن سنة ، " وفيها صالح بن الأحمر ألفونش على أن أعطاه ابن الأحمر نحو أربعين مسورا من بلاد المسلمين من جملتها شريش والمدينة والقلعة ، وقيل إن جملة ما أعطى ابن الأحمر لألفونش من بلاد المسلمين من المدن والحصون المسورة مئة مسور ، وخمس مسورات من شرق الأندلس ... ولما أعطى ابن الأحمر البلاد

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

المذكورة للأفونش قال الفقيه أبو محمد صالح بن شريف الرندي يرثي بلاد الأندلس ويستتصر بأهل العدو من مرين وغيرهم بهذه القصيدة ...⁽¹⁾.

وفي هذا يقول المقري: " انتهت القصيدة الفريدة ، ويوجد بأيدي الناس زيادات فيها ذكر غرناطة و بسطة وغيرهما مما أخذ من البلاد بعد موت صالح بن شريف وما اعتمدته منها نقلته من خط من يوثق به على ما كتبت ، ومن له أدنى ذوق علم أن ما يزيدون فيها من الأبيات ليست تقاربها في البلاغة . وغالبُ ظني أن تلك الزيادة لما أخذت غرناطة وجميع بلاد الأندلس؛ إذ كان أهلها يستنهضون همَمَ الملوك بالمشرق والمغرب . فكأن بعضهم لما أعجبته قصيدة صالح بن شريف، زاد فيها تلك الزيادات. وقد بينت ذلك في " أزهار الرياض " ؛ فليراجع ⁽²⁾.

ورغم شهرة القصيدة وتداولها على الألسن سنين طويلة إلا أنها لم تنتشأ من فراغ، بل كانت لها مرجعيات وخلفيات استقفاها الشاعر ممن قبله ، وفيها نلاحظ تفاعل النصوص وتشاركها فيما بينها ، وهذا راجع إلى الحفظ المتقن من قبل الشاعر ومعرفته واطلاعه على أشعار من سبقوه ، فمبدأ التشابه هنا عبارة عن استعادة للنصوص سواء أكانت هذه الاستعادة خفية أم ظاهرة ، ولعل ابن خلدون جعل من الحفظ وسيلة لإنتاج

1 - علي بن أبي زرع الفاسي :الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، مراجعة وتحقيق: محمد بن أبي شنب ، مطبعة جول كربونل، الجزائر العاصمة. 1920 ، ص: 128.

2- المقري: نفح الطيب ، ج:4 ، ص488-489 ، و أزهار الرياض في أخبار عياض : تحقيق مصطفى السقا ،

إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، ط1، القاهرة ، 1939 ، ج:1 ، ص: 47-49 و ما بعدها.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

الشعر إذ يقول "اعلم أن لعمل الشعر و إحكام صنعته شروطاً، أولها الحفظ من جنسه، أي من جنس شعر العرب حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها الشعر، ومن كان خالياً من المحفوظ فنظمه قاصر رديء، ولا يعطيه الرونق والحلاوة إلا كثرة المحفوظ . فمن قل حفظه أو عدم لم يكن له شعر ، إنما هو نظم ساقط ، واجتناب الشعر أولى بمن لم يكن له محفوظ ، ثم بعد الامتلاء من الشعر وشذ القريحة للنسج على المنوال يقبل على النظم"⁽¹⁾.

2- آليات الانسجام في ديوان أبي البقاء الرندي:

فالانسجام النصي أحد أهم المعايير التي حددها دي بوجراند، وتحقق استمرارية النصوص، إذ تكمن أهمية هذا المعيار من حيث بناء النص محكما متماسكا مترابطا، ويتحقق على عدة مستويات :

2-1- المستوى المعجمي:

2-1-1- علاقة التضاد:

يعتبر أهم الوسائل المساهمة في انسجام النص والربط بين أجزاء النص، والمقصود به هو وجود عناصر يكون أحدهما متضمن في الآخر، ويأتي التضاد على مستوى الألفاظ، كما يأتي على مستوى الجمل والتراكيب، فبالضد تعرف الأشياء ، وبالأضداد تتضح المعاني، إذ يفيد هذا التقابل في إحداث نوع من الربط المعنوي، فالضد يكون أقرب إلى الذهن عند ذكر الضد، حتى إن الذهن ليستحضر الضد على الفور قبل مجئ ضده الآخر، وقد استخدم الشاعر في بناء قصيدة التي مطلعها :

خِلي ما الدهر إلا دُول وإلا فإين الأيام الأول⁽¹⁾

استعمل الشاعر بعضا من التقابلات على المستوى اللفظي وعلى المستوى التركيبي، فعلى المستوى اللفظي قدرت بنسبة توظيف التضاد 34.24% ، وهذا قد يرجع

¹ - الديوان: 208.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

إلى كثافة الدلالة وسرعة الإيحاء، وقد كشفت بنية النص الكبرى عن كثير من التناقضات التي أوردها الشاعر، فكانت المشاعر حزينة لفقده وبعده عن من يحب وتمنيه عودة أيام الصبا .

2-1-1-1- الطباق (المطابقة) :

ويكون بالجمع بين المتضادين، فيكون المعنى بالتقابل سواء بلفظ من نوع واحد (اسمين، فعلين) ، أو لفظين من نوعين مختلفين (اسم، فعل)، وقد ورد الطباق في القصيدة كما هو موضح في الجدول :

البيت	التركيب	نوعه
6	نقص / كمل	طباق إيجاب
9	حال/ لم يستحل	طباق سلب
10	حل / لا ينتقل	طباق سلب
11	تجافى/ وصل	طباق إيجاب
12	أطفأت / اشتعل	طباق إيجاب
23	حل / لم يحل	طباق سلب
35	فتى / كهول	طباق إيجاب
35	جبان / بطل	طباق إيجاب
12	يطول / لم يطل	طباق سلب

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

65	حياة / موت	طباق إيجاب
65	شهد / صاب	طباق إيجاب
65	عز / ذل	طباق إيجاب
67	يعقد / يحل	طباق إيجاب
85	تبصر / لا يرى	طباق إيجاب
85	تبلغ / لم ينل	طباق إيجاب
84	تفني العُدّة / تحيي العفاة	مقابلة
35	لمشيب أتى / شباب رحل	مقابلة

علاقة التّضادّ نعني بها امتناع تحقّق الشيء في آن معاً، أو كما يطلق عليها

الدكتور تمام حسّان، بأنّها "علاقة عناديّة بين مفهومين إذا تحقّق أحدهما امتنع الآخر"⁽¹⁾،

فقد وردت في القصيدة أزواج كثيرة يعارض بعضها بعضاً، سواء من حيث

المفردات أم من حيث الجمل، فالتقابلات وردت كالتالي: (نقص/كمل)، (حال/ لم يستحل)،

(حل/لا ينتقل)، (تجافى/وصل)، (أطفأت/اشتعل)، (حل/لم يحل)، (فتى/كهول)، (جبان

/بطل)، (يطول/ لم يطل)، (حياة/موت)، (شهد/صاب)، (عز/ذل)، (يعقد/يحل)،

(تبصر/لا يرى)، (تبلغ/لم ينل).

1- تمام حسّان : البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط2000.2م، ص:86.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

ففي الطباق الأول (نقص/كمل)، أراد الشاعر أن يؤكد على تغير الحال، فقد أثار انتباه القارئ إلى المقصود؛ فكلّ الأمور التي يراها الإنسان تامة، يرى فيها النقص أيضاً، وللطباق هنا أثرٌ واضح للتعبير عن المعنى المراد، فأحدث نوعاً من الانسجام وحقّق به نوعاً آخر من الترابط، وهذا الانسجام كان عن طريق العلاقات التي تربط النصّ بدلالاته المتناقضة، فليس من السهل الجمع بين المتضادين بطريقة فنية تجذب القارئ وتضعه في جو النصّ، فذهن القارئ يدرك جيداً جمال صياغة الأسلوب، إضافة إلى المتعة الذهنية في الجمع بين المعاني المتضادة.

كما نلمس الطباق الذي لعب دوراً كبيراً في التأكيد في قوله : (وحال الزمان — ولم يحل) ، إذ يصرح الشاعر بأنّ حبه لمحبوبته لم يتغير رغم تغير الزمان، فهذه الكتلة من المشاعر تجاه من أحب، فقد وظّف الطباق في أكثر من معنى، وكشفت لنا عن المعاني التي تمت عن طريق ذكر الضد، فشكّلت علاقة بين المتضادين وربطت بينهما بخيط متتابع يصعب تركه، كما ساهم الطباق هنا في إعطاء نفس جديد للنصّ وهذا ما يسميه البلاغيون تأسيس البنية الحركية في النصّ.

فقد أراد الشاعر من خلاله التعبير عن حالة اللاّ استقرار نفسي التي يمر بها بعيداً عن من يحب، عن طريق ذكر الشيء وضده، ليؤكد على أنّ زمن السعادة واللقاء قليل إذا ما قورن بزمن البعاد، وهذه الحالة أرادها الشاعر أن تؤثر نفسياً على القارئ من خلال ذكر الشاعر لهومومه، هذه الحالة النفسية غير المستقرة التي يعيشها الشاعر والمتلقي على

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

حد سواء تساهم بشكل كبير في بناء التركيب اللغوي للأبيات، فاضطراب النفس يؤدي إلى اضطراب القول والفعل كما يعتقد ذلك علماء النفس، ولأنّ الشاعر متأثرٌ كثيراً بهذا الفراق وذاك البعد، فقد اضطرب تبعاً لذلك البناء اللغوي للبيت، وتناقض المعنى الذي يريد الشاعر التعبير عنه، فهو يريد التعبير على أنّ الزمان تغير وأنّ الزمن الذي كان زمن اللقيا والسعادة قد أصبح زمن البعاد والفراق، فمرحلة الاجتماع بمن يحب قد ولت و انتهت؛ و حلت محلها مرحلة الحنين إلى أيام الصبا وأيام اللقيا.

أما الطباق الآخر، (حلّ/لا ينتقل)، جمع الشاعر بين الضدين (حلّ) الدال على ثبات حبه و الضد (لا ينتقل) ، ولا يخفى على القارئ ما يجده من المتعة الذهنية في الجمع بين المعاني المتضادة، ولا يكمن هذا في سر بلاغته فحسب؛ بل يتعداه إلى علاقته بالسياق، فاللفظة تُدرك أهميتها من خلال موقعها وموضعها فيما رودت فيه يقول الإمام عبد القاهر "وجملة الأمر أنا لا نوجب الفصاحة للفظه مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه ولكنّا نوجبها لها موصولة بغيرها ومعلقا معناها بمعنى ما يليها" ⁽¹⁾ . ، فالتضاد من خلال هذا مقارنة بين حال الشاعر وحبه الثابت الذي لم يتغير وبين حاله جراء بعده، ويسترسل الشاعر في وصف حالة الحبّ التي يعيشها، وألم الفراق الذي يعاينه، وصولاً إلى نتيجة أنّ الحبّ ثابت في القلب لم يتغير فالفعل (حل) دال على الثبات والاستقرار.

1- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ، ص: 367.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

ولو عدنا للطِّبَاق في قول الشاعر (أطفأت/اشتعل) ،رغم التَّنَافُر الموجود بين مدلولات اللفظين إلا أنَّ لها دورا في انسجام النَّصِّ، لأنَّنا نرى أنَّ الشَّاعر يتحدث عن ألم الفراق الذي يصعب نسيانه،فليست هناك مصيبة في نظر الشَّاعر أعظم من مصيبة الفراق والبعد عن من يحب،هذا البعد أنسى الشَّاعر كل المصائب وألْهب قلبه،فهو يكشف عن أسرار هذا الحب الذي ساقه القدر إليه سوفا،ف نجد الطِّبَاق هنا قد أوجد صورة ذهنية و نفسية متعاكسة،توحي بثقل الفراق وألم البعاد،فالجمع بين الشيء ونقيضه هنا،قد أبرز كل منهما ما فيه من معنى،كما حقَّقت هذه العلاقة الترابط بين ألفاظ النَّصِّ ومعانيه .

أما الطِّبَاق في قول الشاعر(تبصر/لا يرى)، فقد جاء بعد تعداد صفات كثيرة للموصوف،هذه الصِّفَات التي تضمَّنت الطِّبَاق تجعل من القارئ يمعن النظر ويتدبر ويرجع إلى الوراء ليقلب صفحات التاريخ ويرى صدق المشاعر والإخلاص ويعقد المقارنة بينهما.

فقد بيَّن هذا الطِّبَاق صفات المحبوب،فالطِّبَاق بيِّن المفارقة التي كانت السَّبب في بعد الشَّاعر عن محبوبته،كما أنَّ هذه الصورة المتنافرة في ذهن القارئ قد تشكلت من خلال هذا التَّضاد،وقد انعكس هذا التعبير على الشاعر الذي بدا مُتَحَسِّرا متألِّما حين صور نفسيته المنهزمة المتألِّمة جرَّاء بعده عن من يحب،وتذكَّره أيام الوصال،فالقارئ يقف متألِّما هنا لصعوبة الموقف،إذ عن طريق التَّضاد أضفت على معاني النَّصِّ الوضوح والتأثير في نفسية القارئ من خلال الجمع بين المتناقضين،فالشَّاعر يعترف بحقيقة لا

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

يمكن نُكرانها وهي أنّ الفراق قد آلمه، لكن يقف متسائلاً حول زوال هذه العلاقة وسببها، ويتمنى عودة أيام الأنس، فعلاقة التّضاد قد عكست لنا نفسية الشّاعر من خلال تجسيدها في أبياته التي صوّرت حالته النفسية، ويضع القارئ في خضم الأحداث وكأنّه يشاهده من خلال دقّة التصوير المتتابع، وهذا التّضاد جعل هذا البيت كخاتمة؛ فالبيت الأول وكأنّه حديث عن تغير الأحوال، أمّا الأخير فهو الحديث عن صفات لازمة في الحبيب، هذا الفراق الحتمي سواء أكان بالإيجاب أم بالسلب، قد ربط بين بداية القصيدة وخاتمتها، فضلاً عن ربطهما للأحداث الواقعة بينهما - بما تمثّلها من مفردات وجمل -، بوصفها تداعيّات للفراق وما نتج عن هذا البعد من أحداث وآلام ومآس.

فالتّضاد في القصيدة خلق صورة ذهنية و نفسية متعاكسة، للمُتلقي دورٌ في الموازنة بينهما موازنة دلالية، فالجمع بين الوصال ونقيضه قد أبرز كلّ منهما ما فيه من معنى، فأكدّ الطّباق هنا المعنى وأبرزه بصورة أقوى، وأبرز قضية هامة آلام الفراق ومكابدة الأحزان، فقد أنشأ التّضاد مقارنة بين أيام الوصال و أيام الفراق من كافة النواحي سواء من حيث ما كانوا عليه من قبل أو من حيث المصير، فقد أبرز التّضاد التحوّل الجوهري الذي كان يعيشه الشّاعر.

ويستمر الشّاعر في توظيف التّضاد توظيفاً مميزاً خدمة لهدف يتمثّل في نقل مشاعر البعد والفراق، وذلك من خلال لفظتي (ذل / عز) فالمفردتان تقابلتا بالقوة فيما يحملن من معاني الإحساس بالذلّ والألم، وما يتبعهما من آلام وحسرة جرّاء بعده عن من

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

يحب، فالمفردتين تربطهما علاقة تضاد، وللتضاد هنا دورٌ في تأكيد ملازمة الذلّ الذي لحق بالمتحابين، وهذا من أصعب المواقف التي تصيب الإنسان العزيز في حياته، فكان الصّراع النفسي قائماً على تغيير الحال، مما يشعر المتلقي بالسخط على الجانب الآخر الذي لم يبادل الشاعر الشعور نفسه، ومن الواضح أنّ هذا التقابل في النصّ قد أسهم في انسجام النصّ، وإيجاد نوع من التماسك بين جملته.

2-1-2- المقابلة :

وهي أن يُؤتى بمعنيين متوافقين، أو سلسلة من المعاني المتوافقة، ثم يقابلها أو يقابلها على الترتيب، ويُفرق العلماء بين الطّباق والمقابلة بناء على عدد المعاني المتقابلة، فالمقابلة أن يُؤتى بمعنيين فأكثر ثم بما يقابل هذه المعاني على وجه التّضاد، أمّا الطّباق فلا يكون إلا بين معنى واحد كما سبق ذكره .

ولم يكتف الشاعر من استخدام التقابل اللفظي بين اللفظة وضدها؛ بل يتعداها إلى الجمل المتعلقة عبر فقرات من النصّ، للتعبير عن نفسيته الحزينة المتألّمة لما أصابه من ذل وضعفنتيجة بعده عن من يحب، ويوظف الشاعر تقابلاً وحيداً في النصّ يُصور فيه حاله بعيداً عن من يحب؛ كي ترقّ له القلوب، وتذرف له الدموع ، (لمشيب أتى / شباب رحل) ، فنجد في هذا البيت تقابلاً بين : (المشيب التي تقابلها لفظة شباب) (وأتى التي تقابلها رحل) ، وهذه المقابلة بلاغتها في ربط المعاني بعضها ببعض، إذ عن طريقها عقد

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

الشاعر موازنة مؤلمة بين الأمس والحاضر، هذا كله من أجل لفت انتباه القارئ وبث الحركة في نفسه لينقذ ما يمكن إنقاذه، فالتثائبات الضدية تظهر التحول الذي جعل من الشاعر يتمنى عودة الشباب.

أقام الشاعر المقابلة بين فترتين زمنيتين، فترة الشباب التي تميز القوة والانتصار، وفترة المشيب التي تميز فترة الضعف والانكسارات، وقد حشد لها الشاعر عبارات تدل على تغير الحال وتقلباته ويحكي ما أصابه من مأسٍ ومحن متخذاً من ذلك سبيلاً للعظة والتأسي، وقد قابل الشاعر بينهما ببراعة تامة جعلت القارئ يتصور الفترتين الزمنيتين، إذ قارن بين الفترتين عن طريق التحسر على زمن مضى (يا حسرتاً، أيا حسرتي) الذي يدل على تغير الحال، وفي هذه المقابلة مقارنة بين حال الشاعر في السابق أي في صغره وبين حاله في الكبر أي بعد المشيب، وقد جاءت لتفسر الطباق السابق (نقص / كمل)، ويستمر الشاعر في سرد معاناته والحديث عن حاله جراء بعده عن محبوبته، في محاولة للتأثير على القارئ، وقد ختم الشاعر قصيدته بمرحلة التفاؤل وعدم فقد الأمل رغم كبر سنّه .

استخدم الشاعر التضام في القصيدة بكثرة، وهذا يدل على سعة ثروته اللغوية، وقد أدى دوراً في بناء موضوع القصيدة بناءً محكماً، فكل ما ورد يعبر عن حالة الضعف والكبر والخضوع والاستسلام الذي لحق بالشاعر جراء بعده عن من يُحب، وعبر في الوقت نفسه عن موضوع واحد وهو اشياقه وبكاؤه لفراق محبوبته، بمخزون لغوي ثري

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

شاركه فيه المتلقي على حد سواء، فكان لهذه المشاركة دورٌ في انسجام النص، حيث نجد حياة الضعف والكبر التي طغت على القصيدة وهي نفسها التي شكلت التضام فيها.

2-1-2- التكرار :

يتفق معظم النّصّانيين أنّ التكرار أكثر المظاهر مساهمة في اتساق النص، ويُطلق عليه كل من الأزهر الزناد وسعيد بحيري ⁽¹⁾ الإحالة التكرارية، و ليس شرطاً عندهما أن يكون التكرار في بداية الجملة؛ بل قد يكون في أوّل الجملة كما قد يكون في "ثانياتها، أو في آخرها، فالتكرار إعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة، وذلك باللفظ نفسه أو بالتّرادف؛ وذلك لتحقيق أغراض كثيرة، أهمها التماسك النصي بين عناصر النصّ المتباعدة" ⁽²⁾، كما أنّه يهدف إلى تدعيم التماسك النصي، و يُوظّف من أجل "تحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكونة للنص" ⁽³⁾، وقد استخدم الشاعر التكرار في صوره المختلفة وهي على النحو التالي :

¹ - الأزهر الزناد: نسيج النصّ، ص 119 ، وسعيد بحيري :من أشكال الربط في القراءان الكريم ، مقال من مجموعة مقالات مهداة للعالم الألماني فيشر ، إشراف محمود فهمي حجازي ، ط مركز اللغة العربية ، القاهرة 1994 ، ص:151

نقلا عن علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، علوم اللغة ، المجلد التاسع ، العدد الثاني ، ص30.

² - صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي ، ج:2، ص:20.

³ - صبحي إبراهيم الفقي: المرجع نفسه، ص: 21.

1- إعادة العنصر المعجمي:

وينقسم إلى قسمين :

أولاً- التكرار التام أو المحض :

وهو تكرار الكلمة كما هي دون تغيير، بمعنى آخر تكرار اللفظ والمعنى والمرجع

واحد.

وظّف الشاعر التّكرار في مواضع كثيرة وبصور متنوعة في النّص؛ تبعا لحالته النفسية المتألّمة الحزينة، فلم يكن التّكرار عبثا، بل كان لغرض قائم في نفس الشاعر، فتكرار الألفاظ والعبارات حتما سيقود إلى تماسك النّص، فنجد تكرار الضمير في قول الشاعر: (لهم، منازلهم، بكاهم، كأنهم، هم، أوطانهم، عليهم،) فالضمير نفسه مكرر أربعة عشر (14) مرة، ويعود على الملوك الذين أسروا أو قتلوا في المعارك ويظهر من خلال هذا الضمير معاناة وآلام الأندلسيين، مما جعل الشاعر يسترسل في وصف حالهم، إذ تكرر هذا الضمير كثيرا، فالتّكرار المتتابع للضمائر المحيلة إلى الذّوات الفاعلة في النّص ولاسيّما المحيلة إلى الملوك من أنماط التّكرار أو الإحالة التّكرارية التي تسهم في تماسك النص وترابطه، وكأنّها خيط يشد نسيج النّص بعضه إلى بعض، وتربط بينها برابط متين يحفظ للنّص تماسكه، وكثيراً من النّصانيين يرون بأنّ الضمائر نوع من أنواع التّكرار، لأنّها تحلّ محلّ الأسماء الظاهرة، وهذه الضمائر كلّها تحيل إلى إحالة داخلية سابقة، وكما

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

يقول ديسلر " أن هذا النوع من التكرار يعطي منتج النص القدرة على خلق صور لغوية جديدة، فتكرار أحد العنصرين قد يُسهل فهم الآخر" (1) .

كذلك نجد لفظ (الإسلام) نفسه كُرر خمس (05) مرات ، أربع (04) مرات معرّفاً بـألـ في قوله:

وللحوادثِ سلوانٌ يسهّلها وما لما حلّ بالإسلام سلوانٌ (2)
وقوله :

أصابها العينُ في الإسلام فارتزّتْ حتى خلت منه أقطارٌ وبلدانٌ (3)
وقوله:

على بيوتٍ من الإسلام عاطلةٌ كأنها لم تكن بالذكر تزدانٌ (4)
وقوله :

ماذا التقاطعُ في الإسلام بينكم وأنتم يا عبادَ الله إخوانٌ (5)

كما وردت اللفظة نفسها نكرة مرة واحدة في قوله:

لمثل هذا يذوب القلبُ من كمدٍ إن كان في القلبِ إسلامٌ وإيمانٌ (6)

¹ - دي بوجراند : النص والخطاب والإجراء ، ص: 306.

² - البيت الرابع عشر.

³ - البيت السادس عشر.

⁴ - البيت الثامن والثلاثون على اختلاف رواياته.

⁵ - البيت الخمسون.

⁶ - البيت الستون.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

فهذا من التكرار الكلي المحض، وهو تكرار مع وحدة المرجع، فالمسمى واحد وهو لفظ الإسلام، وله دور كبير في ربط أجزاء النص بعضها ببعض، فالشاعر يرثي سقوط الأندلس، فبسقوطها استبدل الإسلام بالكفر، وسبب تكرار لفظ الإسلام كونه محمول النص⁽¹⁾، لأنّ الشاعر أراد التركيز على أن الإسلام الذي استبدل بالكفر، إضافة إلى أنّه أراد التذكير بمآسي المسلمين، ورثاء المدن يصدر عن تجربة قاسية عميقة تتجاوز آلام الشّخص الخاصة إلى مكابدة الخطوب و الهموم العظيمة العامة، إذ ركز الشاعر على الناحية الدينية و مزجها بالناحية الإنسانية، كما قابل بين ما كانت عليه الأندلس في نعيم وإسلام و ما آلت إليه، فالتكرار يزيّد من تماسك النص، بتكرار وحدة من وحدات بناء النصّ بإعادتها أكثر من مرة للتأكيد على دلالتها، كما أنّ تكرار هذا اللفظ أسهم في اتساق النصّ عن طريق امتداد هذا العنصر من بداية النصّ إلى آخر بيت في النصّ، وقد ربط هذا الامتداد بين هذا العنصر وبين باقي العناصر الأخرى التي ساعدت في ربط أجزاء النصّ، والملاحظ في النصّ أنّ الشاعر وكأنّه يُصرّ على تكرار هذا اللفظ وتوظيفه وظيفة حجاجية إقناعية، ومع كل تكرار تتنوع دلالة اللفظ ويزداد تنامي النصّ وتوالد الأفكار، فقد قرّب التكرار المشهد للمتلقّي مما ساهم بشكل كبير في تحقيق التطابق بين واقع النصّ ووسطه .

¹ - هو ما يخبر به أو ما يكون محمولا على الموضوع أو مسندا للموضوع أو محكما به وهذا هو المحمول أو المسند أو العرض أو الخبر.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

وتكرار هذا اللفظ لم يكن عبثاً، بل نجده في بدايات القصيدة ونهايتها، فمن خلاله يشد الشاعر انتباه القارئ ليؤكد له على أن النص متلاحم الأجزاء، فيشكل بذلك نصاً شديداً التماسك، لأن كل عنصر مكرر يسهم في فهم سابقه مما يضمن استمرارية النص ويجعل من المتلقي يدرك بأن النص وحدة متكاملة يصعب فصل أجزائها، فتكرار هذه اللفظة جاء متباعداً في النص، وقد أسهم في تدوير ذهنية المتلقي وربطها بالحدث الذي أراد الشاعر أن يسلط عليه الضوء، كون الإسلام استبدل بالكفر .

وكذلك لفظ الدهر الذي كرّره الشاعر خمس (05) مرات في قوله:

يمزق الدهرُ حتماً كلَّ سابعةٍ إذا نبتت مشرفياتٌ وخرسانُ⁽¹⁾
وقوله:

يا غافلاً وله في الدهرِ موعظةٌ إن كنت في سنةٍ فالدهرُ يقظانُ⁽²⁾
كما أنه استخدم لفظ الدهر مضافة في قوله:

تلك المصيبةُ أنستَ ما تقدّمها وما لها مع طول الدهرِ نسيانُ⁽³⁾
وقوله :

فجائعُ الدهرِ أنواعٌ منوعةٌ وبعضها فوقَ بعضٍ وهي ألوانُ⁽⁴⁾

¹ - البيت الرابع .

² - البيت الواحد والأربعون .

³ - البيت الثالث والأربعون ..

⁴ - البيت الثالث عشر .

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

كما نجد تكرار العنصر الانفعالي (أين) الذي تكرر عشر (10) مرات في قول

الشاعر :

- | | |
|---|---|
| وَأَيْنَ الْمُلُوكُ ذُوو التَّيْجَانِ مِنْ يَمَنِ | وَأَيْنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلُ وَتِيْجَانُ؟ ⁽¹⁾ |
| وَأَيْنَ مَا شَادَهُ شَدَادُ فِي إِرَمٍ | وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الْفُرْسِ سَاسَانُ؟ ⁽²⁾ |
| وَأَيْنَ مَا حَازَهُ قَارُونُ مِنْ ذَهَبٍ | وَأَيْنَ عَادَ وَشَدَادُ وَقَحْطَانُ؟ ⁽³⁾ |
| فَاسْأَلْ بِلَنْسِيَةَ مَا شَأْنُ مَرْسِيَةِ | وَأَيْنَ قَاطِبَةُ بَلِ أَيْنَ جِيَانُ؟ ⁽⁴⁾ |
| وَأَيْنَ قَرْطَبَةُ دَارِ الْعُلُومِ فَكَمْ | مِنْ عَالَمٍ قَدْ سَمَا لَهُ فِيهَا شَأْنُ ⁽⁵⁾ |
| وَأَيْنَ حَمَصُ وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ نُزْهٍ | وَنَهْرُهَا الْعَذْبُ فَيَاضٌ وَمَلَانُ ⁽⁶⁾ |

وهذا الاستفهام الإنكاري المكرر، قد تساءل فيه الشاعر عن سبب تساقط الدول

الأندلسية الواحدة تلو الأخرى، ويهدف إلى التذكير بالهزائم المتوالية للمسلمين، كما جعل

منه مناجاةً للشاعر يعبر فيها عن حالته النفسية الحزينة ، كما أنه يمثل نقمة الشاعر على

حال الملوك الذين كانوا سببا في هذا السقوط، ولم يكن المتلقي بمنأى عن هذه المناجاة

التي تحمل في طياتها الحزن والأسى، فقد أراد الشاعر تحريك النفوس الميتة التي لم تلب

نداء المفجوعين، فتكرار اسم الاستفهام أسهم بشكل كبير في ربط الأبيات بعضها ببعض،

¹ -البيت السادس.

² -البيت السابع.

³ -البيت الثامن.

⁴ -البيت السابع عشر.

⁵ -البيت الثامن عشر.

⁶ -البيت التاسع عشر.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

كما أنّ الغرض من تكراره أيضا تبيان هول الفاجعة التي أصابت المسلمين بسقوط معقل الإسلام وصرحه في أيدي الصليبيين، والتذكير بالمدن التي كانت منارة للعلم والرقى والحضارة وأصبحت من الماضي، كما أنّ هذا التكرار يظهر حالة عدم استقرار نفسية الشاعر واضطرابها، فراح ينسي همومه بذكر أيام العزّ والقوة كي يسلي بها نفسه، لكن سرعان ما سقط في جو الهزائم و النكبات والانكسارات، فمظاهر الأسى والحزن بادية من خلال ما سرد لنا من أحاديث عكست لنا نفسيته.

كذلك نجد من أنواع التكرار تكرار الحروف ، تكرار حرف النفي في قول الشاعر:

وهذه الدارُ لا تُبقي على أحد ولا يدومُ — على حال — لها شأن⁽¹⁾

ف—(لا) الثانية تُحقق نوعا من الاستمرارية في الكلام السابق، لأنها جزء منه .

كما أنّ تكرار حرف النفي يعطي الألفاظ أبعادا تكشف عن الحالة النفسية للشاعر، وقد تكرر حرف النفي في القصيدة ثمان (08) مرات .

كذلك نجد من التكرار تكرار لفظ اليوم مرتين، إذ هو محمول على علاقة جزئية

قائمة مع الدهر والزمان اللذان تكررّا غير ما مرة في النص، فالיום جزء من الدهر والزمان ، وقد خصّ الشاعر اليوم بالذكر لتأكيد وقوع الفعل على أرض الواقع.

ومن التكرار أيضا نجد تكرار الفعل (تبكي) الذي تكررّ مرتين (02) أيضا عن

طريق الفعل المضارع ، ومرة (01) في زمن الماضي، والتكرار هنا ليس مجرد تكرار

¹ - البيت الثالث .

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

لفظة فحسب، بل ما تتركه من أثر انفعالي في نفس المتلقي، ورغم قلة تكرار لفظ البكاء إلا أن هذا التكرار يعد محوريا في النص، ذلك أن الهزيمة والاستكانة والأسر تقتضي كلها البكاء والألم .

كما نجد تكرار لفظ أركان مرتين (02) في قول الشاعر :

قواعدُ كنَّ أركانَ البلادِ فما عسى البقاء إذا لم تبْقْ أركانُ⁽¹⁾

وهذا التكرار جاء نتيجة لتأكيد هول المصيبة التي حلت بالأندلس، إذ تساقطت الدّول، وقتل المسلمون وأسرّوا، واستبدل الإسلام بالكفر، وبعد سقوط الدّول لم يبق للمسلمين ما يفتخرون به أمام غيرهم .

كما تكرّرت (كم) الخبرية ثلاث (03) مرات في القصيدة :

وأين قرطبة دار العلوم فكم من عالم قد سما له فيها شأنُ⁽²⁾
وفي قوله أيضا :

كم يستغيثُ بنو المستضعفين وهم أسرى وقتلى فما يهتزُّ إنسانُ⁽³⁾
وفي قوله أيضا :

كم من أسيرٍ بجبل الذلِّ معتقل كأنه ميت والذلُّ أكفانُ⁽⁴⁾

وفي كل الحالات دلّت على التّكثير واقتربت بجمع المسلمين (العلماء، المستغيثون،

الأسارى)، تعبيرا وتأكيدا على الأنا الجمعي، إذ كانت المصيبة قد حلت بالجميع .

¹ - البيت السادس والثلاثون.

² - البيت الثامن عشر.

³ - البيت التاسع والأربعون .

⁴ - البيت السادس والخمسون.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

كما تكرر لفظ الأمر في النص مرتين (02)، وهذا اللفظ يربط السابق باللاحق ، كذلك

نجد تكرار حرف الجر الزائد ربّ في قول الشاعر:

يا ربّ أمّ وطفلٍ حيلَ بينهما كما تفرّق أرواحُ وأبدانُ⁽¹⁾
وظفلةٍ مثلِ حسنِ الشّمسِ إذ طلعت كأنما هي ياقوتةٌ وريحانُ

فتكرار حرف الجر الزائد رغم حذفه في البيت الثاني والإبقاء على ما يدلّ عليه

وهو واو ربّ يضمن الاستمرارية بين البيتين، ويربطهما بخيط يجعل التماسك ظاهرا .

كذلك نجد من التكرار، تكرار حرف التشبيه كأنّ الذي تكرر ثمان (08) مرات في

النص، وفي معظم تكراراته مع تكرار التّركيب نفسه (كأنّ للتشبيه + الاسم الذي صيغ في

شكل ضمير + خبر)، وقد جاء هذا العنصر المكرر في بداية كل جملة ليربط اللاحق

بالسابق، فكان له دورٌ كبيرٌ في إحداث التماسك.

والجدول الذي بين أيدينا يظهر باقي التكرارات :

اللفظ	عدد تكرارته
سلوان	2
العين	2
حتى	3
حمص	2
تغر	2
القوم	4

¹ - البيت السابع والخمسون.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

القلب	3
هي	5

ثانيا : التكرار الجزئي:

وهو ما يكون بالاستخدامات المختلفة للجذر اللغوي مع اختلاف العنصر الإشاري المتصل به، نحو تكرار الفعل لعدة أحوال مختلفة، أي تكرار الجذر اللغوي في عدد من الصيغ داخل النص الواحد، إذ يذهب النّصانيون إلى أنّ التّوليد من الجذر داخل النصّ يسهم في اتساق النصّ وترابطه، كلّ هذا يظهر قدرة الشّاعر على التلاعب بجذور اللغة وتنويع اشتقاقاتها كل هذا يكسب النصّ خصوبة وتنام، كما أنّ هذا التّوليد " يمنح منتج النصّ القدرة على صنع صور لغوية جديدة " (1) .

وقد كان لهذا النوع حضور في النصّ، إذ من خلاله تحقّق الترابط النصي بين أجزاء النصّ، إذ تعدّدت الأنساق اللّسانية من خلال إعادة الكلمة باشتقاقاتها المختلفة داخل النصّ إضافة إلى الاسم والمصدر والفعل .

والجدول الذي بين أيدينا يظهر باقي التكرارات :

اللفظ	التكرار الجزئي
ملك (12)	الملوك (6-36)
بكي (21)	بكاهم/باكية (38-42)

¹ - محمد خطابي : لسانيات النص ، ص: 254-256

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

زمن (2)	أزمان / زمان (2-11)
سيف (5-)	سيوف (29)
الغمد (5)	غمدان (5)
قاتل (11)	قتلى (32)
أنواع (13)	منوعة (13)
عالم (18)	علوم (18)
بلاد (20-36)	بلدان (16)
موطن (26)	أوطان (26)
راكب (28)	ركبان (31)
أسير (39)	أسرى (32)
ذلة (35)	ذل (37-39)
مكروه (42)	مكرهة (42)
أنست (27)	نسيان (27)
البقاء (20)	لم تبق (20)

ورغم تعدد صيغ التكرار الجزئي إلا أن دلالاته واحدة ، ويجمع بين هذه التكرارات الجذر اللغوي، مما يظهر دور التكرار الجزئي في تحقيق الترابط بين أجزاء النص، فنجد التتويج في الاشتقاق بين الاسم والفعل والمصدر، هذا التتويج يضمن الاستمرارية والتجدد، إضافة إلى تنامي النص، لأن تنوع الجذر يزيد المعنى وضوحاً، فكما يقول البلاغيون " الزيادة في المبني زيادة في المعنى " .

2- الترادف أو شبه الترادف :

ويعني تكرار المعنى دون اللفظ ، وقد يتكرر أكثر من مرة في النص ، ولأكثر من كلمة، ومن ثم تتسع المساحة التي يحدث فيها سبكا، إذ يُعدّ الترادف من أهم ما يحقق الترابط النصي، فمن خلاله يتيح للمتلقي فهم المعاني من خلال المترادفات، ومن الترادف ما هو موضح في الجدول:

اللفظ (البيت)	التكرار بالمترادف (البيت)
أمر (9)	خطب (15) ، فجائع (13) ، حوادث (14) المصيبة (27) نسيان (27) معتقل (39) يستغيث (32) ميت (39)
سلوان (14) أسرى (32) قتلى (32)	

فاللفظ (أمر) مرادف لما ورد في القصيدة من ألفاظ تحمل المعنى نفسه حتى وإن اختلفت طريقة التعبير عنه كـ (خطب ، فجائع ، حوادث ، مصيبة) وكلّ هذه الألفاظ لها دلالة المصائب و الحوادث والرزايا التي تندرج في الحروب وويلاتها، وهذا الترادف يحقق علاقة التأكيد التي يريد إيصالها الشاعر وهي هول الفاجعة وعظم وقعها على النفوس، فالشاعر حاول التنويع في اللفظ، وقد يكون ذلك دفعا للملل المترتب عن التكرار اللفظي، وقد يكون لمآرب أخرى.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

كذلك نجد من الترادف ما ورد على لسان الشاعر عن طريق لفظة أسير التي تتدرج تحتها كثير من الكلمات ذات طابع الأسر كقول الشاعر: (معتقل ، يستغيث، مستضعفون، ذل، عبدان) ، فالشاعر يلح على المعاني عن طريق المترادفات وإعادة صياغتها بطريقة مغايرة كي لا يشعر المتلقى بالرتابة أو الملل الذي قد يسببه التكرار أحيانا، فهناك تماثل معنوي بين اللفظ الأول وباقي الألفاظ التي جاءت شارحة ومفسرة له.

أما شبه الترادف فهو يحصل في حالة التشابه الدلالي الواضح بين كلمتين أو أكثر سواء فيما تشير إليه في الخارج أم في الدلالات الموحية المتضمنة في الكلمة ولكن هناك اختلافا بينهما في درجة التطابق، إذ تستعمل اللفظة في سياق معين ولا يجوز للثانية أن تحل محلها في السياق نفسه، رغم أن معنهما واحد، وهذا النوع لم نجده إلا في قول الشاعر: بالأمس كانوا ملوكا في منازلهم (منازل) وقوله أيضا : على بيوت من الإسلام (بيوت) فالعنصران اللغويان مترادفان مع فروق بسيطة في المعنى، ويسهمان في تدوير المعنى وتماسك النص إضافة إلى امتداد المعنى .

3- الكلمة الشاملة⁽¹⁾:

وهي عبارة عن كلمة يندرج تحتها عدد من الكلمات المتكافئة ، فكلمة (إنسان)
الواردة في قول الشاعر :

كم يستغيثُ بنو المستضعفينَ وهمُ أسرى وقتلى فلا يهتمُ إنسانُ⁽²⁾

يقع تحتها كلمات متكافئة كالأمّ ، الطفل ، والطفلة ، فلفظ إنسان لفظ مشترك بين
عدة أسماء، وهذه الأسماء جميعها يشملها لفظ إنسان، وكذلك كلمة (الملوك) في قول
الشاعر :

أينَ الملوكُ ذوو التيجانِ من يمنٍ وأينَ منهمُ أكاليلُ وتيجانُ⁽³⁾

فإنه يندرج تحتها كل من (العز والسلطان، الأكاليل والتيجان) ، أمّا لفظ (الإسلام) في
قول الشاعر :

وللحوادثِ سلوانٌ يسهلها وما لما حلّ بالإسلامِ سلوانُ⁽⁴⁾

1 - يطلق عليها أيضا مصطلح الكلمة العامة.

2 - البيت التاسع والأربعون.

3 - البيت السادس.

4 - البيت الرابع عشر.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

لفظة الإسلام كلمة عامة، وجاءت الكلمات الخاصة التي تندرج تحتها في كل ما له علاقة بالمعجم الديني (المسجد، المحراب، المنابر، بيوت من الإسلام) ، ولفظة السيف في قول الشاعر :

و ينتضي كل سيف للفناء ولو كان ابن ذي يزن والغمد غمدان⁽¹⁾

يندرج تحتها كل من الألفاظ (القتل ، قضاوا ، قاتل ، النقع ، نيران) ، كذلك نجد لفظة أندلس تندرج تحتها كل الدول الأندلسية المذكورة في النص .

كذلك نجد لفظ يا عباد الله (وأنتم يا عباد الله إخوان) الذي وظفه الشاعر للدلالة على كل المسلمين في جميع أنحاء الأندلس الذين تقاتلوا فيما بينهم، ثم وظف الشاعر الفرع الذي يحل محله وهو قوم في قوله (يا من لذلة قوم بعد عزتهم) ، فاللفظ الأول لفظ عام وما بعده يدرج تحته.

ولا يخفى على أحد لما لهذه الكلمات من دور في اتساق النص، فالأسماء العامة تتناسل - كما يعتقد النصابيون - عنها كلمة جزئية صغيرة معجمية في ضوء الأسماء العامة فتحدث علاقة ترابط، لأن الكلمات الخاصة ما هي إلا مفسرة وشارحة للكلمات العامة، لذلك لا بد من اعتبار الكلمات الخاصة وظيفية تعمل عمل الربط بين أجزاء النص تجنباً للتكرار الممل .

¹ - البيت الخامس.

2-2- المستوى الدلالي:

2-2-1- العلاقات الدلالية :

2-2-1-1- علاقات الربط:

لعلّ أكثر الحروف حضوراً وانتشاراً في مرثية الأندلس (الواو) بمختلف معانيه، إذ وظفه الشاعر () مرة ، ثم تليها (الفاء) التي وظفت () مرة ، ثم (حتّى) التي وظفها الشاعر (03) مرات، ثم (إنّ) الموظفة مرتين ، ثم (لو) وظفها الشاعر مرتين، ثم (اللام) و (أم) التي وظفهما الشاعر مرة واحدة.

تعتبر هذه الروابط أكثر وسائل الاتّساق حضوراً في النصّ، وتتمثل هذه الوسيلة في الحروف السابقة الذكر الرابطة بين كلمات النصّ وجمله، والجمل المركبة -كما يرى كريستال- تتكون من عبارة أساسية ومجموعة من العبارات الأخرى تعتمد على العبارة الأولى، والرابطة بين هذه العبارات هو أدوات العطف⁽¹⁾. ويعدّ الباحثون في علم اللغة النصّي العطف من أهمّ وسائل الاتّساق وأكثرها للرّبط بين الجمل الفعلية، أو الجمل الاسمية، أو ربط جملة فعلية بأخرى اسمية، أو العكس، أو الربط بين جزأين من النصّ، إلا أنّها في الغالب وردت لربط المعاني بعضها ببعض، فكثرت توظيفها دليل على أهميتها .

نجد من الروابط الموظفة والمستعملة الربط الإضافي، هذا الأخير يتمّ عن طريق أحرف العطف " الواو " و " أو " والفاء، إضافة إلى أدوات أخرى تملك خاصيّة التماثل

1- صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ج: 1، ص: 258.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

الدلاليّ المتحقق في الرّبط بين الجمل، أي عطفُ الجملِ بعضها على بعض أو ترك العطف فيها، فالعطفُ ضربٌ من الوصلِ وتركه ضربٌ من الفصلِ ، إذ نوع الشاعر في استخدام الرابط الواو بين الاستئناف والعطف، فاستعمل حرف الواو () مرة () مرة كانت للعطف، و(06) مرات كانت للاستئناف، وكلا الحرفين يضيفان معنى اللاحق إلى السابق، وفي هذا المقام لا نستطيع ذكر الأمثلة جميعها لأنّ هذا يقودنا إلى التكرار الممل والرتابة بل سنورد بعضها، فالنّص يتعلّق بعبء بعضه ببعض عن طريق هذه الحروف التي تشكل مع الجمل هذا النّص، هذا الأخير عبارة عن متوالية خطية (متعاقبة) من الجمل و هي بحاجة إلى عناصر تربط أجزاءه، وتؤدي في غالب الأحيان إلى استمرارية الكلام وإيضاح المعنى وتكون للترتيب كالواو في غالب أحوالها وذلك عند تساؤل الشاعر عن سبب سقوط الدّول الإسلامية الواحدة تلوى الأخرى، أو تفيد معنى الإشراف في الحكم كقوله:

يارب أمّ وطفلٍ حيلَ بينهما كما تفرّق أرواحُ وأبدان⁽¹⁾

أو الجمع بين المتعاطفين كقوله :

يقودها العِلْجُ للمكروه مكرهً والعينُ باكيةً والقلبُ حيران⁽²⁾

1- البيت السابع والخمسون.

2- البيت التاسع والخمسون.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

أو يكون لها معنى آخر تحدده العلاقة الموجودة بين الجمل، وترابط المعنى يقتضي وجود روابط تؤدي إلى تماسك النص وتربط أجزاء الجملة الواحدة إلى أن تكتمل الدلالة، و أدوات الربط الإضافي تقوي الترابط بين الجمل الفرعية.

واستعمال الشاعر لحروف العطف خاصة فيما يتعلق بورودها بكثرة عند تساؤل الشاعر عن سبب تساقط الدول الأندلسية، (وأين منهم أكالييل، وأين ما حازَه، وأين عادٌ، وأين شاطبةٌ، وأين جيانٌ، وأين قرطبةٌ، وأين حمصٌ) فكان لحرف العطف المكرر كثيرا أثر في تتابع الأحداث وتسلسل وقوعها، ولم يكن هذا لمجرد العطف فحسب، بل له دلالات نفسية وتداولية، وهي وضع القارئ في خضم الأحداث وكأنه يعيشها من خلال رسم صورة ذهنية توحى بحجم الهزيمة التي لحقت بالدول المتساقطة، فتوالي المتعاطفات من خلال تكرار اسم الاستفهام الإنكاري، يولد الإحساس بهول الفاجعة أيضا، فهذا الاسم المكرر مشحون بالاضطراب وتغير الحال، كل هذه الاستفهامات يشدها خيط شعوري واحد، يتمثل في سقوط الدول الأندلسية الواحدة تلو الأخرى، إلا أن الإجابة عن هذه التساؤلات ليس ضروريا، لأن الغرض منها هو إبداء الحسرة على زمن الانتصارات وزمن الرقي والحضارة، هذا الزمن الذي بكاه المسلمون ورثوه وأطلقوا عليه اسم الفردوس المفقود.

كذلك بالنسبة للاستئناف، فالجمل في معظمها ترد لتفسير الجمل السابقة، وتقوم على التوضيح تفصيلا بعد الإجمال، إذ تعمل أيضا على تجاذب أجزاء النص، وهذا كي يؤمن اللبس في فهم الانفصال، بمعنى أن الجمل كل متكامل لا ينفصل بعضه عن بعض .

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

وقد كان هذا الوصل الأكثر استعمالاً عن طريق حرف العطف الواو، إذ له أهمية في التماسك النصي من حيث الشكل والمضمون وفي هذا الصدد يقول الفقي: "العلاقة بين المعطوف و المعطوف عليه دلالية، فالتماسك إذن شكلي الأداة دلالي المضمون والمعنى، لذلك لا تكتسب أداة العطف معناها العطفى إلا من خلال وقوعها في تركيب العطف" (1).

أما الربط العكسي فقد أطلق عليه دي بوجراند وصل النقيض (Opposition)، حيث تكون العلاقة بين الأشياء متنافرة أو متعارضة في عالم النص (2)، و لم يوله الشاعر اهتماماً، إلا ما ورد عفويا مرة واحدة إذ وظف الشاعر حرف العطف أم بمعنى بل، ففي قول الشاعر:

فاسأل بننسية ما شأن مرسية وأين قاطبة أم أين جيان؟ (3)

نجد تساؤل الشاعر عن سبب سقوط جيان رغم قوتها، لأن الأحداث سرت على عكس ما كان يرتضيه المسلمون وعلى عكس توقعاتهم، فقد وظف الشاعر حرف العطف (أم) والذي هو بمعنى (بل) لوصل الجملة السابقة بالجملة اللاحقة.

وبخصوص الربط السببي الذي من خلاله يمكن إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر، والأدوات التي تمثلها هي علاقات منطقية يكون اللاحق تبعا للسابق

1 - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج: 1، ص: 249.

2 - عزة شبل، علم لغة النص، ص: 111.

3 - البيت السابع عشر.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

بمعنى آخر العلاقة بين السبب والنتيجة. وهذا النوع أقل توظيفاً في الشعر، إذ كان له حضور قليل في النص، و يتعلق بفاء السببية، والشرط وجوابه، فعطف الجملة على الجملة في الشرط، يجعل منهما كلا موحداً، لأن الأول سبب والثاني نتيجة ،

(سبب ← نتيجة) وتمثله أيضاً " لو " الشرطية التي تجعل من فعل الشرط

مرتبطاً بجوابه المقدم في قول الشاعر :

و ينتضي كلُّ سيفٍ للفناءِ ولو كان ابنُ ذي يزنٍ والغمدُ غمدانُ⁽¹⁾

و "إن" في قول الشاعر

يا غافلاً وله في الدهر موعظةٌ إن كنتَ في سنةٍ فالدهرُ يقْظانُ⁽²⁾

فارتباط جملة الشرط بجواب الشرط هنا ارتباطاً سببياً، فعلاقة الشرط بالجواب من العلاقات التي تسهم بشكل كبير في اتساق النص، إذ من خلالها يتم ربط سلسلة من الجمل بعضها ببعض مما يشكل متواليّة من الدلالات التي تثري النص .

أما الربط الزمني ، فأدواته داخل النصوص كثيرة، " وتدلّ عليها الأفعال التامة والناقصة وكذلك ظروف الزمان وبعض البنى التركيبية الأخرى في الجملة، ولكن الأفعال تبقى أوفر تلك الوسائل دقة واستعمالاً⁽³⁾ " ، وبما أن النص عبارة عن سرد لأحداث تاريخية وقعت على أرض الواقع ، كان لزاماً على الشاعر توظيف الزمان والمكان ، فالمكان

¹ - البيت الخامس.

² - البيت الواحد والأربعون.

³ - الأزهري الزناد، نسيج النص، ص: 87.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

الأندلس، أمّا الزّمان فهو الظروف بمختلف أنواعها، إذ كان لها دور في بناء الأحداث وربطها، ولم يقتصر هذا الربط على ما ذكرنا بل ساهم بشكل كبير في وصف الوقائع وصفا دقيقا، وكأنّ القارئ يعيش الحدث المأساوي الذي عاشه المسلمون آنذاك، فلم يرد إلا قليلا ممثلا في حتى الغائية وعند الطرفية، في قول الشاعر:

أصابها العينُ في الإسلامِ فارتُزّتْ حتى خلتَ منه أقطارُ وبلدانُ⁽¹⁾

وقول الشاعر :

حتى الحارِبُ تبكي وهي جامدةٌ حتى المنايرُ ترثي وهي عيدانُ⁽²⁾

أما (عند) فقد وردت في قوله:

أعندكمُ نبأٌ من أهلِ أندلسٍ فقد سرى بحديثِ القومِ ركبَانُ⁽³⁾

وقول الشاعر :

ولو ترى بكاهمُ عندَ بيعهم لهالكُ الأمرُ واستهوتكُ أحزانُ⁽⁴⁾

وعليه فالوصل يشير إلى " الإمكانات التي تسمح باجتماع الصور والعناصر النصية بشكل يتعلق بعضها البعض في فضاء النص الذي يعتبر مركبا بسيطا من جمل

¹ - البيت السادس عشر.

² - البيت الأربعون.

³ - البيت الثامن والأربعون.

⁴ - البيت الخامس والخمسون.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

تقوم على أساس محددة من حيث التسلسل" ⁽¹⁾، ويكون الوصل غالبا بالواو ليصل الجمل بعضها ببعض في المبنى والمعنى على حد سواء، وإما لدفع اللبس عن البعض الآخر .

والجدول الذي بين أيدينا يبين لنا ورود الروابط في النص :

البيت	الرابط	نوعه	طبيعته
01	الفاء	رابطة لجواب الشرط غير الجازم	سببي
03	الواو	استئنافية	إضافي
	الواو	عاطفة	إضافي
05	الواو	استئنافية	إضافي
	الواو	عاطفة	إضافي
	لو	شرطية	سببي
	الواو	استئنافية	إضافي
06	الواو	عاطفة	إضافي
	الواو	عاطفة	إضافي
07	الواو	عاطفة	إضافي
	الواو	عاطفة	إضافي
08	الواو	عاطفة	إضافي
	الواو	عاطفة	إضافي
	الواو	عاطفة	إضافي
09	حتى	غائية ابتدائية	زمني
	الفاء	استئنافية	سببي
10	الواو	عاطفة	إضافي
11	الواو	عاطفة	إضافي

¹ - فولفجانغ ودينز ، مدخل إلى علم اللغة النصي ، ص :25.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

	الواو	عاطفة	إضافي
	الفاء	رابطة لجواب الشرط غير الجازم	سببي
12	الواو	استثنائية	إضافي
13	الواو	عاطفة	إضافي
	الواو	عاطفة	إضافي
14	الواو	استثنائية	إضافي
	الواو	عاطفة	إضافي
15	الواو	عاطفة	إضافي
16	الفاء	سببية	سببي
	حتى	غائية ابتدائية	زمني
	الواو	عاطفة	إضافي
17	الفاء	استثنائية	إضافي
	الواو	عاطفة	إضافي
	أم	حرف عطف بمعنى بل	عكسي
18	الواو	عاطفة	إضافي
	الفاء	رابطة لجواب الشرط غير الجازم	سببي
19	الواو	عاطفة	إضافي
	الواو	عاطفة	إضافي
	الواو	عاطفة	إضافي
	الواو	عاطفة	إضافي
20	الفاء	استثنائية	إضافي
	إذا	شرطية غير جازمة	سببي
21	الكاف	الكاف هنا بمعنى مثل	إضافي
23	الفاء	استثنائية	إضافي
	الواو	عاطفة	إضافي

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

24	حتى	غائية ابتدائية	زمني
	الواو	عاطفة	إضافي
	حتى	غائية ابتدائية	زمني
	الواو	عاطفة	إضافي
25	الواو	استئنافية	إضافي
	إن	شرطية غير جازمة	سببي
	الفاء	رابطة لجواب الشرط غير الجازم	سببي
	الواو	عاطفة	إضافي
26	الواو	عاطفة	إضافي
27	الواو	عاطفة	إضافي
29	الواو	عاطفة	إضافي
30	الواو	عاطفة	إضافي
	الواو	عاطفة	إضافي
31	الفاء	سببية	سببي
32	الواو	عاطفة	إضافي
	الواو	عاطفة	إضافي
	الفاء	استئنافية	إضافي
	الواو	عاطفة	إضافي
33	الواو	عاطفة	إضافي
34	الواو	عاطفة	إضافي
35	الواو	سببية	سببي
36	الواو	عاطفة	إضافي
37	الفاء	استئنافية	إضافي
38	الواو	عاطفة	إضافي
	لو	شرطية	سببي
	عند	ظرفية	زمني
	اللام	واقعة في جواب الشرط لو	سببي

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

	الواو	عاطفة	إضافي
39	الواو	عاطفة	إضافي
40	الواو	عاطفة	إضافي
	الكاف	الكاف هنا بمعنى مثل	إضافي
	الواو	عاطفة	إضافي
41	الواو	عاطفة	إضافي
42	الواو	عاطفة	إضافي
	الواو	عاطفة	إضافي
43	لمثل هذا		إضافي
	إن	شرطية غير جازمة	سببي
	الواو	عاطفة	إضافي

2-2-1-2-2 السببية⁽¹⁾ :

تسهم السببية في الربط بين حدثين يكون أحدهما ناتجا عن الآخر " وهي إحدى علاقات الارتباط المنطقي بين المعاني ...، كما أنّها تربط النص بالسياق "⁽²⁾، فتُسهم في وحدة أجزاء الجملة أو مجموعة من الجمل، وهي من " العلاقات التي تعطي معقولية لكيفية تتابع قضايا النص، ونسميها دائما بسمّة المنطقية خاصة وأنّها قضايا صغرى، وهذا يدلّ على أنّ الكاتب لا يتعامل منطقيا بذكر سبب ما أو نتيجة إلا على مستوى الأفكار العامة

¹ - هذه العلاقة متداخلة مع الربط السببي ، ينظر ص : 260 من هذا الفصل

² - عادل مناع، نحو النص، ص: 366 .

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

والقضايا الكبرى ، فقد شغل أثناء كل قضية منفصلة باستقصاء جزئياتها وعناصرها بشكل تراكمي ، ثم إنه يفسر منطقيا سبب وجود هذه العناصر ككل، أو ما قد تؤدي إليه من وجود عناصر أخرى في قضية كبرى " (1).

لم يكتف الشاعر بعلاقة واحدة بل تعدى ذلك إلى جملة من العلاقات، كالعلاقات السببية المتضمنة في الخطاب، وتحتوي جملة من الأساليب والكلمات التي تؤدي الوظيفة نفسها، فرغم كون هذه العلاقة أقلّ حضورا في كثير من القصائد مقارنة بباقي العلاقات، إلا أنها أسهمت في ربط الأبيات بعضها ببعض ، ولا يخفى على أحد أن يلعب القارئ أيضا دورا كبيرا في ربط السبب بالنتيجة تبعا لعملية الفهم من خلال العمليات الذهنية، مما ينتج عن هذا استمرارية عملية التلقي، لأنّ هذه العلاقة تحتاج لمتلق جيّد يفسّر، لأنها تسهم في انسجام النص وتجعل منه متماسكا متلاحما ، " ولعل الذي يلفت الانتباه في هذا المسار أن هناك سعيًا واضحا إلى إثبات أنّ المتلقي ينطلق دائما من تصور وجود علاقة واحدة على الأقل تربط بين قولين متتابعين وإذا كان تصورنا (continuité sémantique). حتى يتحقق مبدأ الاستمرارية الدلالية للخطاب على أنه تتابع للأقوال فإن هذا يعني من زاوية المتلقي أن هذه الأقوال المتتابعة تتعالق إما بواسطة العلاقات الاتساقية أو تتجاوز الحدود اللسانية للبحث عن علاقات بين هذه الأقوال من زاوية الوقائع والأحداث " (2)

¹ - حسام أحمد فرج ، نظرية علم النص ، ص: 143-144.

² - مفتاح بن عروس ، الاتساق والانسجام ، ص: 63

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

ومن هنا ارتأينا أن نأخذ نموذجا للسببية في قصيدة رثى فيها أحد الملوك، من

أجل استخرج العلاقة وتبيان دورها في انسجام النص ومن أمثلة ذلك قول الشاعر :

ما جل خطبٌ كهذا الحادث الجلل فليُقْضَ حق الأسى بالأدمعِ الهمل⁽¹⁾

ترتبط قضية السبب بقضية النتيجة دلاليا ، لأنّ القضية الثانية ناتجة عن القضية الأولى دلاليا، فأقام الشاعر السبب على النتيجة ،وقد تمثل السبب في الحادث الجلل الذي أصاب المسلمين بعد وفاة الملك أبو عبد الله محمد بن يوسف بغرناطة، فكانت النتيجة الأسى والأدمع ، فلولا الوفاة لما كانت تلك الدموع الغزيرة، إذ رُبط بين الصدر والعجز برابط منطقي دون أن يختل المعنى ، مما ولّد ترابطا بين السبب والنتيجة .

ومنه قوله أيضا :

أصبحت فينا على حكم الرضى خبرا فكنت كالضيف أو كالطيف في المثل⁽²⁾

نلاحظ أنّ الشاعر هنا ربط الرضا بالحكم ، فكانت نتيجة هذا الرضى أن مرت فترة حكمه سريعة كالطيف أو كحلول الضيف ،فهذه نتيجة ظهرت بسبب مسبب لها وهو العدل والمساواة بين الرعية،فهذه العلاقة أسهمت في ربط النصّ وانسجام أجزائه،فذكر السبب يشترط ذكر النتيجة وعليهما فإنّهما متلازمان تلازما منطقيًا دون شرط وجود الأداة،ويلجأ إليه الشاعر في الغالب لإثارة المتلقي على إمعان العقل واعتماد أسلوب

¹ - الديوان ،ص:198

² - الديوان ،ص:199

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

استحضار المعارف الذهنية لفهم النص، فالمتلقي عندما تغيب عنه الأدوات يستحضر في ذهنه الربط السببي الذي يتم في الأذهان، وهذا الانسجام " يحتاج إلى كفاءة عالية للمفسر ودراية ومعرفة واسعة " (1) فتسمح هذه العلاقة " للمتلقي بصنع الانسجام في الخطابات التي يتلقاها وهي أكثر العلاقات التي يستند إليها هذا المتلقي " (2) .

2-2-1-3- علاقة الإجمال والتفصيل :

تعد هذه العلاقة من أبرز العلاقات الدلالية، كون النص عن طريقه يتصل اتصالاً وثيقاً، ويمنحه الاستمرارية ، القضايا فيه مترابطة ترابطاً وثيقاً ويكون الكلام مجملًا مكتفياً ثم يؤتى به مفصلاً دون رابط لفظي، ويكون الربط هنا معنوياً، ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه العلاقة لا تسير في اتجاه واحد دوماً، بل تتجه أحياناً إلى العكس، فهي مزدوجة الاتجاه "مما ينقل النص من رتبة الوتيرة الواحدة إلى تنام مطرد" (3).

وقد فصل ابن عاشور قائلاً " وقد يتقدم المفصل على المجمل للإجمال بعد التفصيل وقعا من نفوس السامعين، وهذا النوع من التفصيل يعد من العلاقات الدلالية التي كثر استعمالها على ألسنة الكتاب والشعراء، فالكاتب غالباً ما يبدأ بفكرة ما ثم يعود فيكرر تناوله لها بشكل مجمل أو أنه يبدأ الفكرة نثراً ثم يعود فيكررها بشكل مجمل شعراً وسواء

¹ - نعمان بوقرة، لسانيات الخطاب، ص: 58

² - مفتاح بن عروس ، الاتساق والانسجام ، ص: 60

³ - محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص: 272

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

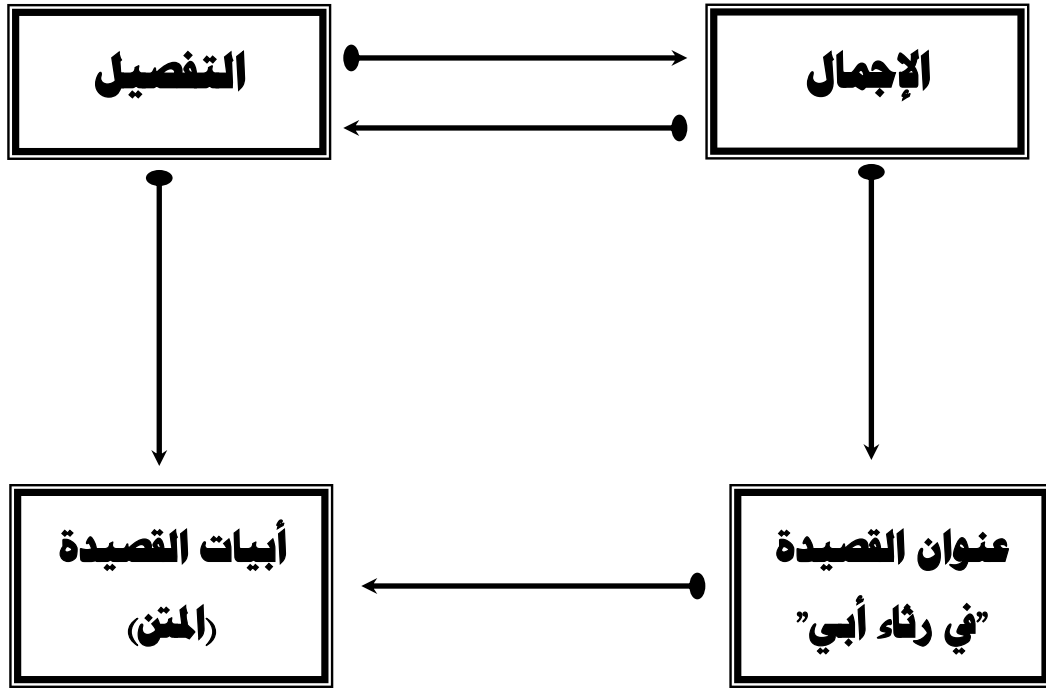
كان هذا أو ذاك، فالكاتب بذلك يرغب في إظهار القضية بشكل جلي، فيؤكد على وجودها بأن يظهرها مجملة بعد أن فصل فيها القول أو العكس⁽¹⁾، وبالتالي يُمكننا القول بأنّ " هذه العلاقة شديدة الصلة بالتماسك النصي، إذ التفصيل يعد شرحا للإجمال، والإجمال - في الغالب - سابق التفصيل، ومن ثم نرى أنّ التفصيل يحمل المرجعية الخلفية لما سبق إجماله في الإجمال " ⁽²⁾ ، وإن تأخر الإجمال عن التفصيل فهذا لغاية مقصودة وهي التأكيد على القضية دون غيرها، ومن ثم " فالعلاقة كما هي متجلية في الخطاب لا تسلك دوما نفس الاتجاه ، من المجمل إلى المفصل ، وإنما قد تسلك سبيلا مخالفا من المفصل إلى المجمل ، فالترتيب الأول معياري - والثاني تداولي - وهو ما عبرنا عنه بأنه يأتي لتحقيق غاية معينة " ⁽³⁾ .

¹ - ابن عاشور (محمد الطاهر)، التحرير و التنوير، الدار التونسية، للنشر، تونس و المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،

(د.ط)، 311/1،

² - إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ج2 ، ص: 141

³ - محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص: 189



مخطط للعلاقة الدلالية الإجمال والتفصيل

إنّ يتمثّل دوره في تحقيق غاية وحيدة وهي إيصال الرّسالة ووقعها على السامعين ،مما يحقق الانسجام في النّص، وهذه الغاية تتعلق بمنتج النّص والمتلقي على حد سواء.

ومن أمثلة الإجمال والتفصيل ما ورد في قصيدة بعنوان " في رثاء أبي "

دع الغرور فما للخلد من سبب ولا قرارا بدار اللهو واللعب⁽¹⁾

إنّ الغرور صفة لازمة في الإنسان، لذلك بدأ الشاعر قصيدته بحكمة تمثلت في العجب الذي يملك الإنسان دون سبب، فلقد أجمل الشاعر في كون الغرور مصيره الزوال

¹ - الديوان ،ص:116

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

كما يظهر في الأبيات الأولى من القصيدة، فبعد أن كانت قضية الغرور مجملة مكثفة، شرحت وفصلت لتوكيد المعنى وإفهام المتلقي معنى الغرور، وهذا التفصيل مرتبط دلالياً ببعضه ببعض، وبذلك يتحقق انسجام البنية النصية، فبعد أن ذكر أنّ الدنيا دار غرور وليست دار مقر، ينتقل بعدها ليصور لنا حال الدنيا وكيف تغير على المنشغلين بها .

كما تُظهر القصيدة زهد الشاعر وبعده عن الملهيات اللذان ورد تفصيلاً لما ذكر من قبل، ويظهر هذا بداية من البيت الثاني:

يا بانيا للقصور سوف يتركها لمن سيأخذها قسراً بلا تعب⁽¹⁾

فالقصيد تظهر تعلق الشاعر بوالده المتوفي، وهذا يظهر من خلال العنوان " في رثاء أبي "، فالعنوان يحمل في طياته تفصيل ما ورد في النص الشعري ومضمونه، والتفصيل شديد التماسك بالإجمال، غير أنّ التفصيل فيه زيادات وضوابط وتفاصيل تتناسب مع طبيعة الأمر المجمل، ومن ثم يمكننا القول بأنّ التفصيل يحمل علاقة المرجعية الخلفية الداخلية لما أجمل من قبل، ومن ثم فإنّ هذه العلاقة تسهم في تحقيق التماسك النصي " (2).

¹ - الديوان ، ص: 116

² - إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ج: 2 ، ص: 180

كما نجد التفصيل في قوله:

أما ترى الدهر لا يبقى على أحد أين الملوك وما صانوه في الحجب⁽¹⁾

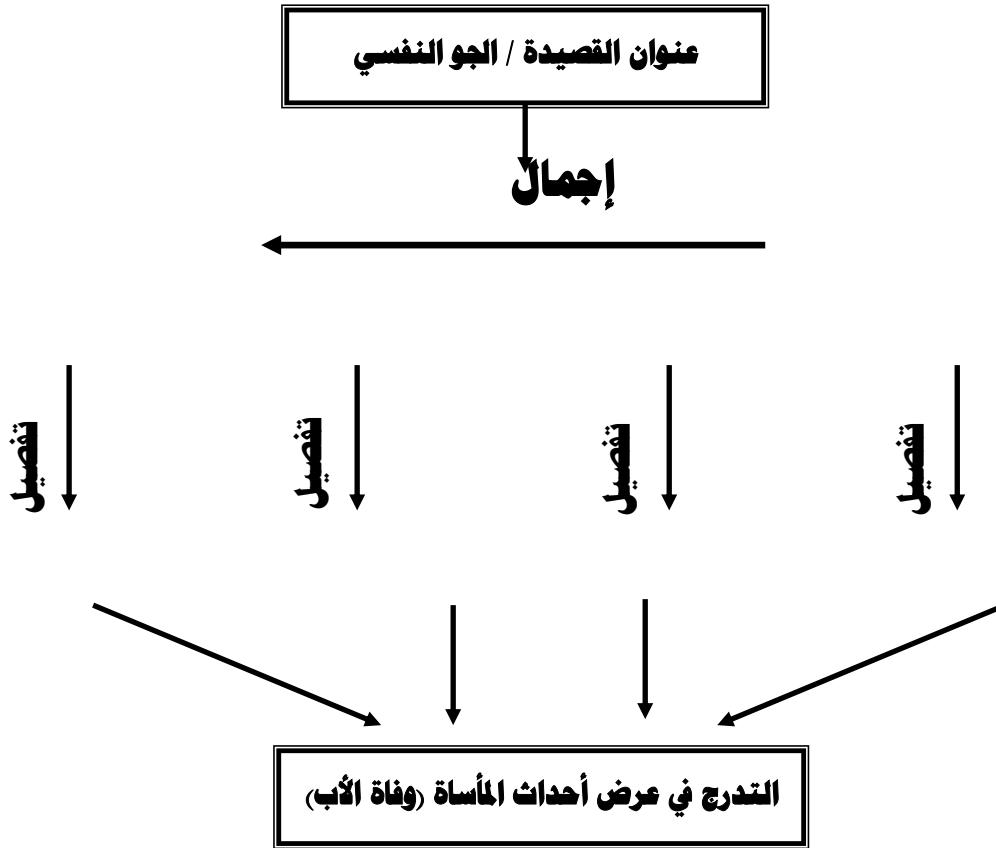
في هذا البيت يظهر التفصيل جليا ، كون الشاعر بدأ قصيدته بحكمة مفادها أن لا خلود لحي، ثم يفصل معنى القرار وهو الموت الذي لا يبقى على أحد ، فعند بداية كل لوحة فنية يفصل الشاعر ما أورده في مقدمة قصيدته، وهنا نلاحظ تلاحم الأجزاء ، وقد اعتمد الشاعر هذا الأسلوب المتمثل في الإجمال ثم التفصيل لإيصال رسالة مفادها دوام الحال من المحال، وهذا ما نجده في كثير من أشعاره، فهو يسلط الضوء على تقلب الزمان وتغير الأحوال محاولا إقناع السامعين بضرورة الاستعداد لهذا اليوم، وقد تشبعت القصيدة بالعبارات الدالة على الفناء، وتكررت كثيرا (الخلد، قرار، الرحيل، الردى، الحمام، الموت ، لا يبقى ،فارق الدنيا ،أودى ،الفقد) وليس القصد منها الفناء في حد ذاته ، بل يأسه من البقاء حيا بعد وفاة أبيه ،فلا معنى للحياة بدونه، ومع ذلك هو مؤمن بالنهاية الحتمية، فالكلمات ذات الحقل الدلالي للموت التي ذكرت آنفا ما هي إلا تفصيل لمعنى الخلود والبقاء الذي نفاه الشاعر عن هذا المغرور ،فهو بمثابة نتيجة لما ذكر في القصيدة، كما أنه يقر في تفصيله بأن الموت يترصد له، ومهما فرّ فإنّ الموت مدركه ،وهذا التفصيل ما هو إلا تأثير في السامعين ، لذلك حاول الشاعر تنبيه الإنسان الغافل بأنّ المنية حق ولا مفر منها ، فكرر الكلمات الدالة على الموت لأنّ جميعها ترمي إلى معنى واحد وهو الفناء ،

¹ - الديوان ،ص:116

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

فالانتقال هنا من المجلد إلى المفصل من شأنه أن يحقق نوعاً من التلاحم والاستمرارية، لأنّ اللفظ المجلد هنا تتناسل المعاني وتفصل كي يفهم المرسل إليه الرسالة ومن خلال ما سبق ذكره تتأكد وظيفة الإجمال والتفصيل في النص كغرض تفسيري يقوم به المرسل ذاته، وهذا كي يكون المتلقي بعيداً عن التأويل .

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي



دع الغرور فما للخلد من سبب ولا قرارا بدار الالهو واللعب⁽¹⁾

أما ترى الدهر لا يبقى على أحد لا يترك الدهر مملوكا ولا ملكا ولو نجا منه مخلوق لأثرته أما كفى الدهر من فقدي لوالدني

مخطط للعلاقة الدلالية الإجمال والتفصيل في قصيدة "رثاء أبي"

¹ - الديوان ، ص: 116

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

فكون الشاعر استهل القصيدة بأنّ الدهر لايبقي على أحد، ولا يترك مملوكا ولا ملكا، وكون الناس لن ينجوا منه إضافة إلى فقد الشاعر لوالدته... هو (تفصيل) و(تبيين) و(توضيح) لذلك (الشيء العظيم) الذي (أجمله) الشاعر في قوله :

ولا قرارا بدار اللهو واللعب

ثم أوضح هذا الإجمال في الأبيات التي تليها، بحيث كانت (تفصيلاً) للبيت الأول (المجمل)... أي إنّ (عدم الخلد وعدم القرار) الذي كان (مجملاً)، قد (فُصِّل) من خلال كونه قد اقترن بموت الناس والملوك والمملوكين.

فهذه العلاقة كفيلة بتحقيق التماسك والانسجام بين أبيات القصيدة، فذكر القضية مجملة في بداية النص ثم " تتابع القضايا وتتناسل مفصلة لتحمل دلالات تجعل من القارئ يفهم ويفسر ما أراده الشاعر الذي حاول أن يختزل المعنى في الإجمال، وتعد هذه العلاقة "إحدى العلاقات الدلالية التي يشغلها النص لضمان اتصال المقاطع ببعضها عن طريق استمرار دلالة معينة في المقاطع اللاحقة" ⁽¹⁾، فعلاقة الإجمال والتفصيل تعمل على ربط أجزاء الخطاب لتصبح دلالة الخطاب مستمرة.

¹ - محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص: 272

2-2-1-4-علاقة الشرط والجزاء:

من العلاقات التي تسهم في بناء النص وتربط بين أجزائه بواسطة أدوات الشرط الجازمة أو غير الجازمة، وتجمع بين جملتين تكون الأولى شرطاً والثانية جواباً للشرط، لكن هذه العلاقة ثانوية، لأن وجودها يقل نسبياً عن باقي العلاقات، غير أن هذه العلاقة " الدلالية تفيد في بناء الموضوع من خلال الربط بين سلسلة من الجمل مما يشكل عناقيد من الدلالات، كما أنها تعتبر وسيلة لأداء الوظيفة التعليمية بإظهار الفصاحة" (1)، ومن ثم تؤدي إلى انسجام النص و مقبوليته لدى المتلقي، ومن أمثلة الشرط والجزاء قول الشاعر :

فإن تكن زهرة في روضها قُطفت	فقلّما تُمَتّع الأيام بالزهر ⁽²⁾
وإن تكن دُرّة من سلكها خُطفت	فأدهر أدري بما يُسبّي من الدرر
لا تبك فقد حبيب أنت تابعه	إذا مضى البعض فالباقي على الأثر

فالشرط في البيت الأول " فإن تكن زهرة في روضها قُطفت " جاء جملة اسمية، أمّا جواب الشرط فهو " فقلّما تُمَتّع الأيام بالزهر " فقامت هذه العلاقة بالربط الدلالي بين جملة الشرط وبين جوابها، وهذا عن طريق أداة الشرط الجازمة "إن"، أما

¹ - عزة شبل ، علم لغة النص ، ص:212

² - الديوان ، ص:157

الجانب التطبيقي ===== الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

البيت الثاني فالشرط في البيت الأول " **وإن تكن دُرّة من سلكها خُطفت**" جاء أيضا جملة اسمية، أما جواب الشرط فهو جملة اسمية أيضا " **فالدهر أدري بما يُسبي من الدرر** " نلاحظ من خلال هذه العلاقة أنّها تقابلية عن طريق الربط الدلالي بين جملة الشرط وبين جوابها ، وهذا عن طريق أداة الشرط الجازمة "إن"، أمّا البيت الثالث فنجد جملة الشرط قد تأخرت عن جواب الشرط " **إذا مضى البعض فالباقى على الأثر** " ولم نلمس جواب الشرط كعادته في الترتيب ومع ذلك نلاحظ أن العلاقة الدلالية متلازمة بين فعل الشرط وبين جوابه، فمن خلال القصيدة التي رثى فيها زوجته، نجد أنّ الأبيات تضمنت الوفاء للحبيب، واستمرار للحب الذي جمعهما ، فقد صرح الشاعر جهرة بهذه المشاعر وتحققت عن طريق الشرط والجزاء، ويمضي الشاعر في القصيدة على النمط نفسه والونيرة نفسها ، فتتراحم مشاعر اللوعة والأسى وتختلط وتمتزج بالحب والوفاء بذكر مآثر الزوجة الوفية وإظهار الوجد والتأثر لفقدائها، فأحيا الشاعر ذكرها بمرثيته هذه ، فالعلاقة الدلالية هنا تحققت من خلال ربط الجمل الشرطية بعضها ببعض، مما جعل الجمل الشرطية متماسكة مترابطة .

وكثيرا ما يحذف جواب الشرط لكن تبقى دلالة المعنى مستمرة كحذف جواب الشرط في قول الشاعر في مرثيته النونية :

و ينتضي كل سيفٍ للفناء ولو كان ابنُ ذي يزنٍ والغمدُ غمدانُ⁽¹⁾

¹ - البيت الخامس.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

والحذف هنا يدل عليه المحذوف، و لا يحتاج إلى جهد كبير في التقدير، فيمكن للمتلقي أن يملأه بما شاء تلاؤما والسياق، وتقدير الحذف : ولو كان ابن ذي يزن موجودا... ، فحذف الجواب لدلالة الاستفهامات اللاحقة التي تدل على المكان والوجود، فصار الحذف هنا من قبيل الإيجاز لا غير .

مما سبق يظهر لنا دور الشرط في الانسجام النصي ، فالقارئ/ المتلقي له دور كبير في بناء نص جديد ، و يعتمد في ملء الفراغات التي يتركها الحذف في الشرط أحيانا، فتارة يكون ملء هذه الفراغات بالاعتماد على ما ذكر سابقا، وتارة أخرى بالاعتماد على معرفته اللغوية .

2-2-1-5-العموم والخصوص:

يتفق اللغويون والأصوليون على أنّ العام هو اللفظ الدال على جميع أجزائه، أمّا الخاص فهو على عكسه، بمعنى أنّه يقتصر على بعض أجزائه، وهذه العلاقة تجمع أطراف النص وتربط متوالياته دون وسائل شكلية، وهذه العلاقات يكون لها وجود في نفس المبدع، ويحاول نقل هذا الوجود إلى المتلقي، والمتلقي يشارك المبدع في تكوين شبكة العلاقات هذه بصورة أخرى، فتشكل مجموعة من العلاقات الترابطية تحقق للنص انسجامه، وتسهم في تماسك النص وترابطه ترابطاً دلاليّاً.

وكل ما ذكر من العلاقات " لا يكاد يخلو منها نص ذو وظيفة تفاعلية وإخبارية يهدف إلى تحقيق درجة معينة من التواصل، سالكا في ذلك بناء اللاحق على السابق محققا في ذلك ربطا قويا بين أجزائها وذلك من أجل بيان النظام الذي يتحكم بعناصر النص المجتمعة ومن ثم إعطاء هذا النظام شيئا من العقلانية " (1).

ولهذه العلاقة دورٌ كبيرٌ في ترابط النصوص وانسجامها، عن طريق استمرار الدلالة، كما تسهم أيضا في ترتيب الأفكار وتنظيمها، فلو عدنا إلى هذه العلاقات لوجدنا أنّ اللاحق يرتبط بالسابق ارتباطا معنويا مشكلا كلا متلاحما يصعب الفصل بين أجزائه .

¹ - ينظر: محمد عزام، النص الغائب، ص: 199-200

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

كما يمكن التمثيل لهذه العلاقة بعنوان النص ومحتواه ،فالعنوان يأتي بصيغة العموم بينما بقية أجزاء النص تخصيص له ⁽¹⁾ ، وبما أن جميع قصائد الديوان تفتقر للعنوان آثرنا هذه القصيدة التي بين أيدينا .

وفي ضوء هذا التقديم وعند دراستنا للقصيدة التي يُهنئ فيها الرئيس أبا الحسن ابن الرئيس الجليل أبي جعفر بن نصر بعيد كبير ⁽²⁾، إذ بدأ الشاعر قصيدته باكيا متشكيا(عام) ،وهنا يتحدد الإطار العام للقصيدة،انطلاقا من مقدمة القصيدة التي يقول فيها :

عيدٌ كبيرٌ غير أنك أكبر وحيًا ولكن جودك كفك أكثر ⁽³⁾

فالحديث في بداية القصيدة كان تهنئة بحلول العيد على المسلمين،وتضمن الجزء الأول هذه التهنئة ،وانطلاقا من هذا الإطار العام ينتقل الشاعر إلى باقي الأبيات التي تتضمن الخصوص ،ليُخصص الحديث عن أولئك القوم الذين نصرُوا النبي(خاص) ،فقال:

من معشر نصرُوا النبي المصطفى نعم النبي المصطفى و المعشر ⁽⁴⁾

ثم عاد ليتكلم عن المعارك التي قادها المسلمون وهزموا فيها كسرى وقيصر،

كما تحدث عن بطولاتهم (خاص) فقال :

¹ - ينظر : محمد خطابي ، لسانيات النص ،ص:272

² - ينظر ص: 143 من الديوان.

³ - البيت الأول.

⁴ - البيت السابع.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

هم مرتقوا كسرى ولولا دعوة سبقت لقيصر لم يفتهم قيصر⁽¹⁾

ثم عاد ليمدح الرئيس نفسه (خاص) فقال:

عجا لسيفك في يمينك يلتظي نارا وأنى والأنامل أبحر⁽²⁾

وهكذا كان ينتقل الشاعر من العام إلى الخاص لربط الوحدات بعضها ببعض، وهذا عن طريق تكرار ضمير المخاطب العائد على الرئيس، كي تظهر نسيجاً متكاملًا مترابطًا يصعب الفصل بين أجزائه، وتخصيص الدلالة يكون بتحويل الدلالة من المعنى العام إلى المعنى الخاص كما رأينا في بداية القصيدة، فالعيد يخص جميع المسلمين لكن الشاعر آثر أن يخص التهنة بالرئيس أبا الحسن دون غيره ، وذكر مناقبه التي ميزته عن غيره ، فالربط بين أجزاء النص الذي بين أيدينا، يتم من خلال انسجام باقي الأبيات من خلال العلاقات المكونة لها، فكلما زادت درجة عموم الموضوع الرئيسي كلما اتضح ارتباط القضايا بعضها ببعض ، و هذه العلاقات تتحكم بترتيب وقائع انتظام الخطاب فالعموم هنا كان تقييدا للإطار العام للقصيدة وهو تهنة العيد لا غير ، ولا يمكن فهم النص دون الوصول أو التطرق إلى الخصوص الذي حدد المهناً بالعيد، فتراكم الخصوص وشكل كلا متلاحم الأجزاء بغية الوصول إلى الهدف المقصود وهو الرئيس أبا الحسن وهنا تشكلت مظهرات الخطاب ضمن بنية إنجازية لفعل مخصوص.

¹ - البيت العاشر .

² - البيت الثالث عشر .

3- مبدأ التّغريض :

فهذا المبدأ كما يعرفه براون ويول بأنه "نقطة بداية قول ما " ⁽¹⁾، ونقطة البداية تكون العنوان أو الجملة الأولى من النص، إذ يعد العنوان عنصرا مهما في تحديد موضوع النص .

يرى النّصانيون أنّ للتّغريض ارتباطا وثيقا بموضوع الخطاب وعنوان النص، ذلك أنّ العنوان كثيرا ما يعبر عن الموضوع المتناول في النص، فالعنوان " المفتاح الذهبي إلى شفرة التشكيل أو هو الإشارة التي يرسلها الأديب إلى المتلقي "، فالعنوان مقدمة استباقية لمضمون النص ووظيفته وظيفة إدراكية تجعل من المتلقي مهيبا لاستقبال النص وتفسيره وتأويله بناء على ما فهمه، لذلك يرى كثير من الباحثين أنّ العنوان جزء من البنية الكبرى ⁽²⁾، هي "اعتباره وسيلة قوية للتّغريض، لأننا حين نجد اسم شخص ما مغرضا في عنوان النص نتوقع أن يكون ذلك الشخص هو الموضوع، إن هذا التوقع الخالق لمظهر التّغريض، وتحديدًا على شكل عنوان، يعني أنّ العناصر المغرصة تهيبّ ليس فقط نقطة بداية يتبين حولها اللاحق في الخطاب، بل إنّها تهيبّ أيضا نقطة بداية تقيد تأويلنا لما سيلحق" ⁽³⁾ ، فالعنوان بنية دالة تنشط الذاكرة وتجعل من المتلقي يستحضر المعارف

¹ - براون ويول، تحليل الخطاب، ص: 147.

² - ينظر: فان ديك: علم النص، ص: 88.

³ - المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

المخزنة التي تتصل بالموضوع، فالتغريض غالبا ما يتحدد في شكل العلاقات الدلالية بين المقاطع النصية فيما بينها وعلاقتها بعنوان القصيدة، ذلك أن المتلقي يرتبط بالنص ويتواصل معه عن طريق العنوان، غير أن العنوان لا يفي في الغالب بمضمون النص، فتكون دراسة العنوان مرحلة عموم واتساع أفق التوقعات لأن النص مفتوح على عدة فضاءات، بينما تسير بنية القصيدة الداخلية نحو الخصوص، فالعنوان عن طريقه يمرر صورا تبعث كثيرا من الإيحاءات والتصورات، من خلال البنيتين السطحية والعميقة للربط بين العنوان ونسيج النص .

وكما يذكر النّصانيون أنّ العنوان بنية دالة على الإجمال لما سيرد مفصلا في القصائد، ويكون العنوان في الغالب العتبة الأولى لفهم النصوص أو البنيات الصغرى، وهذا ما تفتقده قصائد الديوان، فكلّ القصائد تفتقر للعنوان الذي يضبط مضمونها، اللهم إلا قصيدة واحدة شائعة وهي مرثية الأندلس أو ما يطلق عليها بالفردوس المفقود، لكن كما يذكر محمد خطابي أن "ذكر الاسم متعلق أيضا بمفهوم التغريض" (1) .

ولعلّ القصيدة التي يمدح فيها أحمد بن هشام الذي كان قائدا برندة (2) ، مع غياب العنوان إلا أنّ القصيدة احتوت ذكر اسمه فوجود اسمه دال على موضوع القصيدة (3) التي يقول فيها :

¹ - محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص: 60

² - هو أبو جعفر أحمد بن هشام ، كان قائدا برندة من بيت بني هاشم

³ - ينظر : ص: 108 ، 149

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

همام من سرّاة بني هاشم هم ثمر العلا وهو الباب (1)

لقد ازدهر الأدب في هذا العصر خاصة غرض المدح، وللنفس حاجات في مدح الهاشميين، غير أننا نجد للخلفاء الهاشميين يدا في هذا المدح وانتشاره، فهم الذين شغلوا الناس بهؤلاء الشعراء وذلك الغرض ليصرفوهم عن السياسة وأجزلوا لهم العطاء، فحققوا مآربهم فكان شاعرنا ممن أسرف في مدح الهاشميين، ولعلّ القصيدة التي بين أيدينا تجعل من الشاعر يثبت انتسابه للهاشميين تمثيلاً صادقاً، وهذه القصيدة من الدرر اللوامع في مدح الهاشميين، وقد أجاد الشاعر فيها في مدح بني هاشم والدعاية لهم، وكل القصيدة تصوير دقيق يحاول الشاعر من خلاله إبراز بطولات الهاشميين وعدلهم، فقد كانت النفوس آنذاك مهياةً لحربهم وقتالهم لكنّ الشاعر هنا يقف موقفاً يذكر فيه مناقبهم، ولا شك أنّ هذه الأبيات في المدح قادرة على وأد الحرب ضدهم لما فيها من المآثر التي ذكرها الشاعر للقائد الهاشمي .

وهكذا فإنّ ذكر القائد الهاشمي في البيت لن يقودنا إلى تأويل البيت فقط، بل يقودنا إلى تأويل بقية النص، بمعنى أنّ كل بيت يلي هذا البيت متوالية من الجمل تتدرج لتشكل لنا كلا منسجماً، فمبدأ التّغريض يرتبط ارتباطاً وثيقاً بين العنوان وأجزائه، أو بين نقطة البداية، وعن طريقه أيضاً يتحقّق الانسجام ذلك لأنّه يعبر عن " الجانب من بنية الخطاب الذي يحدد نسبة الأهمية التي تعطى لمقاطع متعددة من الخطاب " (2) .

¹ - البيت الرابع.

² - براون ويول، تحليل الخطاب، ص: 156.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

فالعنوان سمة بارزة في النصوص عن طريقه يفهم المتلقي النصوص وهو مدخل من مدخلات النصوص الشعرية، وبه يتحدد ما سيفهم لاحقاً، وهنا يأتي دور التأويل في فهم النصوص، ولا يعني هذا أن النصوص التي لا تحوي عناوين لا يمكن فهمها أو تأويلها، بل عند نهاية قراءة القصيدة من طرف المتلقي يستطيع وضع عنوان يكون نقطة انطلاق جديدة، فالتغريض هنا يمنح المتلقي توقعات مفتوحة وتأويلات متعددة تسمح بإنتاج نصوص أخرى، والنصوص غالباً ما تحمل رسائل مكثفة للمتلقي سواء أكانت مشفرة أم مبيّنة وعلى المتلقي فهمها وتأويلها .

ويتم التغريض أيضاً من طرق عديدة كـ " تكرير اسم الشخص، واستعمال ضمير محيل إليه، تكرير جزء من اسمه، استعمال ظرف زمان يخدم خاصية من خصائصه أو تحديد دور من أدواره في فترة زمنية " (1).

وتكرار الأسماء والشخصيات في الديوان كثير (2)، فقد يرد اسم الشخص في قصيدة ويكون محور الموضوع، مما يجعل المتلقي دائم البحث عن تلك الشخصيات التي من خلالها تتم عملية القراءة والتي تنتهي في الغالب بتأويل منه.

¹ - محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 59

² - ينظر مثلاً: 105، 111، 114، 121، 134، 143، 153، 163، 168، 189، 172، 191، 193، 198، 204، 237

4- مبدأ التشابه:

الشاعر أبو البقاء الرندي كغيره من الشعراء يتأثر بمن حوله فيأخذ عن الشعراء ما يراه موافقا لمعاني شعره ، والمتعمّن في أشعاره يرى مبدأ التشابه قائما بين شعر أبي البقاء وبمن سبقه ، إضافة إلى تتلمذه على كثير من الشيوخ في جميع مجالات العلم، لذلك كان لزاما عليه أن يتأثر بمن حوله وبمن سبقه، ولعل أكثر الشعراء الذين تأثر بهم أبو البقاء الرندي هو الشاعر البستي فعند قراءتنا لقصيدته التي مطلعها :

زيادة المرء في دنياه نقصانُ وربحه غير محض الخير خسرانُ

نجد أنّ مطلع نونية أبي البقاء يتقاطع مع مطلع قصيدة البستي، ولو واصلنا قراءة

القصيدة لوجدنا الصور تتابع وتتشابه وتتماثل خاصة في قوله :

يا نائماً فرحاً بالعزّ ساعده إن كنت في سنةٍ فالدهر يقظان

فقد أخذ أبو البقاء الرندي هذا المعنى ووظفه وكأنّ البيتين من قصيدة واحدة إذ

يقول :

يا غافلاً وله في الدهر موعظة إن كنت في سنةٍ فالدهر يقظان

وكذلك نجد من قول البستي ما أخذه أبو البقاء الرندي إذ يقول :

لا تحسبن سروراً دائماً أبداً من سرّه زمنٌ ساءته أزمانُ

فقد تشابه هذا البيت مع قول أبي البقاء الرندي الذي أخذ معنى البيت ووظفه في

نونيته :

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

هي الأمور كما شاهدتها دولٌ من سره زمن ساءته أزمان

فمن ضمن ما تزود به التجربة السابقة المتلقي ،"القدرة على التوقع ، أي توقع ما يمكن أن يكون اللاحق بناء على وقوفه (أي المتلقي) على السابق" (1) ، إذ من خلال هذه التجارب يستطيع المتلقي أن يجد التشابه والتماثل ويجعلانه قادرا على تأويل الخطابات . ولهذا يعتبر مبدأ التشابه أحد " الاستكشافات الأساسية التي يتبناها المستمعون والمحللون في تحديد التأويلات في السياق " (2).

ومن أمثلة مبدأ التشابه :

هي الأمور كما شاهدتها دولٌ من سره زمن ساءته أزمان

فهذا البيت أخذ الشاعر معناه أيضا من قول الشريف الرضي :

إن قلص الدهر ما أضفاه من جدة فصنعة الدهر إعطاء وحرمان

أما قوله:

فجائع الدهر أنواعٌ منوعةٌ وللزمان مسرات وألوان

فقد نجد معنى البيت في قول الرضي :

أنى يتاه بكم في كل مظلمة وللرشاد أمارات وعنوان

¹ - محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص:57-58

² - نفسه ، الصفحة نفسها

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

فهذه الأبيات ما هي إلا تفاعل من الشاعر مع الموروث الشعري العربي ،ونقله لأحداث تاريخية فقله مثلا :

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يُغر بطيب العيش إنسان ⁽¹⁾

الشاعر في هذا البيت يحذر من الغرور الزائف والزائد ، فالدنيا ليست بدار مقر ولا تدوم على حال، نجد معنى هذا البيت مأخوذا من قول الشاعر (ابن عبدون) :

فلا تغرنك من دنياك نومتها فما صناعة عينيها سوى السهر ⁽²⁾

فكلا الشاعرين يشكوان فجائع الأزمان، ويبيكان ماض أليم، فدمار وخراب الديار بات مألوفاً لدى الشاعرين، ولم يبق لهما إلا الأسى والحزن على بقايا ديار لم تدم طويلاً.وهنا يتقاطع الرندي مع ابن عبدون في استذكار الماضي، واستذكار الحوادث الأليمة التي عصفت بالديار الإسلامية، وكلاهما تذكر الأمم الغابرة والملوك السابقة، هنا يظهر مبدأ التشابه بين الشاعرين وبين قصائدهما، فعند قراءتنا لقصائد الشاعرين نجد تشابها كبيرا وتقاطعا في المعاني وكأنها صور مكرورة أعيد بثها من جديد، والهدف من هذا الاستذكار وذاك الاستحضار هو أخذ العبرة والعظة من حوادث الزمان .

أما استحضار الشاعر مبدأ التشابه القراءاني الذي كان حاضرة بكثرة في النص ،فقد أفرط الشاعر في استخدام هذا المبدأ لما له من أثر في نفوس المتلقين، إذ يُعد هذا المبدأ

¹ - البيت السادس والثلاثون

² - البيت السادس والثلاثون

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

رافدا مهما يستلهم منه الشعراء معانيهم، فلا نكاد نجد نصا شعريا يخلو من التوظيف القراءاني، وقد يلجأ الشاعر لهذا التوظيف لأنه "يُعد من أنجع الوسائل، وذلك لخاصية جوهرية في هذه النصوص تلتقي مع طبيعة الشعر نفسه، وهي أنها مما ينزع الذهن البشري لحفظه ومداومة تذكره، فلا تكاد ذاكرة الإنسان في كل العصور تحرص على الإمساك بنص إلا إذا كان دينيا" ⁽¹⁾، فيظهر جليا من خلال ذكره لملوك جرى الحديث عنهم في القراءان الكريم كقوله :

وَأَيْنَ مَا شَادَهُ شَدَادُ فِي إِرْمٍ وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الْفَرَسِ سَاسَانُ؟ ⁽²⁾

فهذا البيت مشابه لما ورد في القراءان الكريم، فإنم هي المذكورة في سورة الفجر قَالَ تَعَالَى: ﴿إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ الفجر:7، فعندما يقرأ المتلقي البيت يستحضر أمامه سورة الفجر ويحاول أن يقارن بين النص الموجود أمامه وبين المعارف السابقة وبالتالي سيسهل فهم البيت، فقد استحضر الشاعر هنا قصة هلاك قوم عاد والأمم المذكورة في القصيدة، وهذا الإسقاط ما هو إلا تذكير بمصير الأمم السابقة ويقابلها بمصير الملوك في زمنه .

¹ - صلاح فضل ، إنتاج الدلالة الأدبية ، قراءة في الشعر والقص والمسرح ، هيئة قصور الثقافة ، القاهرة ،

1993، ص:4193

² - البيت السابع.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

القرءاني مصدر غني للإلهام، وهذا ما يُعطي مصداقية أكثر للنصوص الأخرى، ووظف الشاعر هنا مبدأ التشابه بما يوافق ويخدم أفكاره، لأنه بالغ في تصوير الفاجعة من أجل التأثير في المتلقي، وبما أنّ السياق هنا سياق فواجع وأحزان وآلام وبكاء على فردوس مفقود، أسقط الشاعر قصة قارون الذي ملك الدنيا بأجمعها ومع ذلك خلف كل شيء وراءه فخسف الله به الأرض، ويمكن للمتلقي هنا أن يستنتج أوجه التشابه في تقلب الزمان دون ذكر أي تفاصيل اعتماداً على ثقافة المتلقي وقدرته على الاستنباط بما اقتبسه الشاعر من إشارات مرجعية في النص، فقد سمح الشاعر للمتلقي في أي زمان ومكان أن يمعن التفكير ويعمل فكره قصد الوصول إلى المعنى المراد، ولولا ذلك لما جمع كثيراً من القصص القرءاني في هذه القصيدة.

كما نجد استحضار الشاعر للقصص القرءاني المتمثل في قصة سيدنا سليمان وملكه الذي لم يبلغه أحد فيقول :

كَأَنَّمَا الصَّعْبَ لَمْ يَسْهَلْ لَهُ سَبَبٌ يَوْمًا وَلَا مَلَكَ الدُّنْيَا "سُلَيْمَانُ" (1)

لقد ورد ذكر قصص سيدنا سليمان عليه السلام في عدة مواضع من القرآن الكريم، كسورة الأنبياء، وص، والنمل، وسليمان عليه السلام أحد أعظم الأنبياء الذين تحدّث عنهم القرآن الكريم، وقد كان ملكاً ونبيّاً قوياً، وابن ملك ونبيّ، فقد كان مبدأ التشابه هنا في إطار التقاطع والتمازج مع القصص القرءاني، فقد كان القرءان ولا يزال المورد الأول

¹ - البيت الثاني عشر .

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

الذي يستقي منه الشعراء معانيهم بما يتلاءم وتجربتهم الحياتية، فكانت نونية أبي البقاء ومرثيته متشعبة بالقصص القراءاني وهذا ليس لضعف في شعر أبي البقاء إنما يعد هذا إنجازا في قدرته محاكاة القصص القراءاني، فتشكلت بفضل مبدأ التشابه معاني جديدة ورؤية جديدة، فهذه القصيدة ليست شعرا ووزنا فحسب، بل هي انفعالات وأحاسيس امتزج فيها الإبداع بالحسرة والأسى، وهذا المبدأ الموظف هنا جعل من قصيدة أبي البقاء صالحة لكل زمان ومكان، وجعل للنص أكثر من متلق، وهذا ما يجعل النص في ديمومة واستمرارية، فهذا التقاطع والتعالق النصي يفتح فضاءات التأويل وعمليات الإسقاط، وهذا التعالق ليس اقتباسا فقط، إنما يُشكل نصوصا دلالية متماسكة تجعل من القصيدة امتدادا لهذا القصص القراءاني، كذلك نجده استلهم من حديث النبي ﷺ معان كثيرة في حديثه عن الأخوة والبعد عن الشحناء والتباغض وعن الغفلة وغيرها من النصائح التي اقتبسها من حديث المصطفى ﷺ.

كذلك نجد مبدأ التشابه في قوله :

هي الأمور كما شاهدتها دولٌ من سره زمن ساءته أزمان

فقد ضمنها من قوله عز وجل : **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾** آل

عمران: 140

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

هذه التشابهات كانت كثيرة إذا ما قورنت بغيرها، وهذا يدل على ثقافة الشاعر وسعة اطلاعه وتعدد معارفه، ولعلّ مبدأ التشابه مع القصص القراءني كان أكثر حضوراً، فلم يكن الشاعر يكتفي بالقصة الواحدة، بل تعددت القصص بتعدد المواجه والأحزان، وقد ساهم هذا في ربط الحاضر بالماضي واستلهم المعاني وإقامة علاقة جدلية بين الحاضر والماضي، فكل الأعمال الشعرية لم تبين من فراغ، إنما لها أصول وامتدادات يستقي منها الشاعر معانيه، وهذا الأصول تؤكد حضورها الفاعل والفعل، ويأخذ صورة جديدة للمشاركة في إنتاج معنى جديد، " ومتى كانت تلك الأصول التي يستقي منها النص الحاضر ويستند إليها حية عقيدة وتاريخاً وفلسفة، فإن الآثار الإبداعية التي اتكأت عليها ستقترب من دائرة البقاء إنسانياً ومتى كانت مفتعلة ابتعدت عن دائرة البقاء والخلود وماتت بعد ولادتها مباشرة" (1).

وقد كان مبدأ التشابه هنا لتصوير الفاجعة المأساوية التي أصيب بها المسلمون لفقدانهم للأندلس، و" تتضمن لغة الشاعر رؤياها الفكرية والفلسفية التي أراد الشاعر أن يمنحها عمقاً وشموليتها، ويشحنها بالدلالات من أجل التأثير في المتلقي نظراً لما تتمتع به اللغة الدينية من حضور وتأثير خاصين في الوعي الجماعي، فضلاً عما يمكن أن تقوم به

1 - حصة عبد الله سعيد البادي، التناس في الشعر العربي الحديث، البرغوثي نموذجاً، دار كنوز المعرفة للنشر

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

من إثراء للنص الشعري " (1) ، لكنّ "الاعتماد على مبدأ التشابه من شأنه أن يجبر السامعين/القراء على محاولة فهم الأقوال المتتالية على أنها ترتبط بالموضوع نفسه" (2). فمبدأ التشابه هنا يقود القارئ "إلى الفهم والتأويل بناء على المعطى النصي الموجود أمامه، ولكن بناء أيضاً على الفهم والتأويل في ضوء التجربة السابقة " (3)، باعتبار أنّ مبدأ التشابه عملية ذهنية ينجزها المتلقي في جميع الحالات التي تتعلق باستحضار النصوص والتي لها صلة بالمعارف المكتسبة.

¹ - حصّة عبد الله سعيد البادي ، التناص في الشعر العربي الحديث ، ص: 38

² - براون ويول، تحليل الخطاب ، ص 79.

³ - ينظر: محمد خطابي، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 57.

2-3- الجانب التداولي:

2-3-1- السياق في مرثية الأندلس (نونية أبي البقاء أومرثية

الأندلس):

قبل أن نخوض غمار تحليل الخطاب الشعري تداوليا، كان لزاما علينا أن نطرح التساؤل عن ماهية السياق وأنواعه وأهميته في هذا التحليل، كون السياق متشعب المفاهيم واختلف في تحديده ، فكل حدده حسب توجهاته .

ينقسم السياق عند اللسانيين إلى نوعين:

2-3-3-1- السياق اللغوي:

السياق اللغوي عمود النظرية السياقية، وهو أحد أهم أركانها، تمثله القرائن التي تساعد على فهم الخطاب، وتتحكم فيه جميع مستويات التحليل اللساني ،لمعرفة دلالات الكلمة في سياقها أو في بنية النص بعيدا عن الغموض، أو علاقاتها مع ما يجاورها، وهذا النوع من السياق له دورٌ في توجيه هذه الدلالات، فالقصيدة التي بين أيدينا الموسومة بمرثية الأندلس فيها من الدلالات مع يجعلها واضحة بعيدة عن الغموض، فالخطاب مباشر لا يحتاج إلى تأويل في غالب الأحيان، فرغم أن الخطاب أسماء وأفعال وحروف وهي في حد ذاتها بُنى تراكييبية، إلا أننا نلمس ذلك الكل المتلاحم الذي يفسره السياق اللغوي، ولَهُ أهمية كبيرة في تحديد معاني الألفاظ ودلالاتها التي تشير بدورها إلى المعنى اللغوي الكلي

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

لنص ضمن علاقته بالسياق⁽¹⁾، فالسياق هو الذي يعين قيمة الكلمة إذ إن لكل لفظة في سياقها معنى وقيمة حضورية، فإذا ما انفصل عنه فهي لفظة مفردة، وللسياق دورٌ في توجيه دلالات الألفاظ وهذا ما سنقوم به في تحليلنا لهذه القصيدة .

فالتأمل في الأبيات التي كثر فيها سبب تساقط الدويلات الأندلسية، نجد أن الشاعر استعمل لفظ الجزيرة ولن نفهم هذا اللفظ ما لم نعد لسياق النص الذي وردت فيه، فقد قرنهما مع جبلين يميزان الجزيرة العربية قديماً، إذ يقول:

دهى الجزيرة أمراً عزاء له هوى له أحد وانهدّ ثهلاًن⁽²⁾

فهذا البيت يحمل أكثر من معنى، كون بعض الدول الأندلسية التي تساقطت عبارة عن جزر، ولا يمكن فهم المعنى وإدراكه إلا بالعودة للسياق اللغوي، الأول دلالتها داخل تراكيب الجملة التي وردت فيها اللفظة، والثانية دلالتها داخل التركيب والتي قصد بها الجزيرة العربية لا غير، العجيب في هذا البيت أن أحداً يرتبط بذاكرة حزينة أصيب فيها المسلمون بحزن لم يألّفوه، ومات فيه خيرة الصحابة، ووظّفه الشاعر هنا ربما لاستقامة الوزن، إسقاط سمة الحزن على الواقعتين المتشابهتين.

أما دلالة التركيب كبنية كلية داخل القصيدة فهي تدلّ على أن الجزيرة مهد العز والانتصار والبطولات أصيبت لفقدائها أحد أركانها .

1 - ينظر : فندريس، اللغة، ص: 231.

² - البيت الخامس عشر

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

ومن السياق اللغوي أيضا ما نجده في قول الشاعر:

وهذه الدار لا تبقي على أحدٍ ولا يدومُ على حال- لها شأنٌ⁽¹⁾

فعند حديثه عن الدار، نجد أنّ المتلقي لن يفهم معنى اللفظة بمعزل عن سياقها الذي قيلت فيه، فلفظة الدار منفردة هنا وردت بمعنيين مختلفين، المعنى المعجمي والمتمثل في المنزل أو البيت، وهذا ما ورد في جميع المعاجم اللغوية، والمعنى السياقي الذي تمثل في قصد الشاعر وهو أنّ اللفظة تعني الحياة الدنيا، حيث أفاد التركيب المعنى السياقي المراد فقال: لا تُبقي على أحد بمعنى الفناء والموت .

ومن السياق اللغوي أيضا قول الشاعر :

يا راكبين عتاق الخيل ضامرة كأنها في مجال السبق عقبان⁽²⁾

تصدر هذا البيت المنادي المقصود به الإنسان العربي أيام العز والانتصار، لكنه حمل دالتان مختلفتان يفسرها السياق الذي قيلت فيه، فالدلالة الأولى هي دلالة معجمية بمعنى الركوب على ظهر دابة والعلو عليها (الاستعلاء)، أمّا الدلالة السياقية التركيبية فتفيد معنى التحدي والمقاومة والصمود، لأنّ الخيل يصعب ترويضها، كما يصعب الركوب على ظهرها إذا كانت ضامرة أي هزيلة.

¹ - البيت الثالث .

² - البيت الخامس والأربعون .

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

أما المعنى الذي أفاده هذا التركيب داخل بنية القصيدة، فإنه يدور حول توضيحات المسلمين في الحروب، واستبسالهم في الدفاع عن أراضيهم، وهمهم الوحيد الانتصار على الأعداء، رغم ما أصابهم من حصار وجوع .

فالسّياق التركيبي دور هام في توجيه دلالة الأسماء والأفعال في القصيدة، كما له دور في توجيه دلالات الأساليب الإنشائية الدالة على الطلب أو كانت غير دالة عليه، فكثير من الأساليب الإنشائية لها معاني إضافية، ومن بين هذه الأساليب:

1- أسلوب الاستفهام:

1-1- أسلوب الاستفهام بـ (أين) :

أكثر الشاعر من استعمال اسم الاستفهام خاصة فيما يتعلق بورودها عند تساؤل الشاعر عن سبب تساقط الدول الأندلسية، (وأين منهم أكاليل، وأين ما حازه، وأين عاد، وأين شاطبة، وأين جيان، وأين قرطبة، وأين حمص) فكان لأداة الاستفهام أن تكررت كثيرا، وكان لهذا التكرار أثر في تتابع الأحداث وتسلسل وقوعها، ولم يكن هذا لمجرد التساؤل فحسب، بل له دلالات نفسية وتداولية، وهي وضع القارئ في خضم الأحداث وكأنّه يعيشها من خلال رسم صورة ذهنية توحى بحجم الهزيمة التي لحقت بالدول المتساقطة، فتوالي المتعاطفات من خلال تكرار اسم الاستفهام الإنكاري، يولد الإحساس بهول الفاجعة أيضا، فهذا الاسم المكرر مشحون بالاضطراب وتغير الحال، كل هذه الاستفهامات يشدها خيط شعوري واحد، يتمثل في سقوط الدول الأندلسية الواحدة

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

تلوى الأخرى، إلا أنّ الإجابة عن هذه التساؤلات ليس ضرورياً، لأنّ الغرض منها هو إبداء الحسرة على زمن الانتصارات وزمن الرقي والحضارة، هذا الزمن الذي بكاه المسلمون ورثوه وأطلقوا عليه اسم الفردوس المفقود.

1-2- أسلوب الاستفهام بالهمزة:

وقد ورد هذا في قول الشاعر :

أَعْنَدَكُمْ نَبَأً مِنْ أَهْلِ أُنْدَلُسٍ فَقَدْ سَرَى بِحَدِيثِ الْقَوْمِ رَكْبَانُ⁽¹⁾

من المعروف أنّ الاستفهام بالهمزة بلاغياً غرضه التصديق، وبمراعاة السياق الذي وردت فيه الهمزة، يظهر لنا أنّ التساؤل هنا هو إدراك المعنى تصديقا أي تعيينه، وفي هذه الحال تأتي دلالتها لتقرير حقائق تاريخية وهذا ما ورد في السياق التركيبي لهذه الأداة، وعليه فإنّ المعنى المراد من خلال البيت ومن خلال سياقه، فالشاعر هنا يقرر تسليّة نفسه والمتلقي بما حدث للأندلسيين من تقتيل وتشريد، خاصة وأنّ مصاب المسلمين في الأندلس ليس له سلوان، إضافة إلى مخاطبته العرب الذين لم يعينوا إخوانهم الأندلسيين في قتالهم الصليبيين .

1-3- أسلوب الاستفهام بـ(كم):

وفي كل الحالات دلت على التكثير واقتترنت بجمع المسلمين (العلماء، المستغيثون، الأسارى)، تعبيراً وتأكيذاً على الأنا الجمعي، إذ كانت المصيبة قد حلت بالجميع .

¹ - البيت الواحد والثلاثون.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

كما تكررت (كم) الخبرية عشر (10) مرات في القصيدة ،ومنها :

وأين قرطبة دار العلوم فكم من عالم قد سما له فيها شان⁽¹⁾

وفي قوله أيضا :

كم يستغيث بنو المستضعفين وهم أسرى وقتلى فلا يهتم إنسان⁽²⁾

وفي قوله أيضا :

كم من أسير بجبل الذل معتقل كأنه ميت والذل أكفان⁽³⁾

فالقارئ لهذه القصيدة يجد بأنّ أداه الاستفهام (كم) التي خرجت من معناها

الأصلي وهو الاستفهام ،إلى مفهوم آخر يفهم من السياق، وهو التصور.

أما دلالتها من حيث التركيب، فإنّ الشاعر حاول تصوير المشاهد المحزنة

وكثرتها، كي يؤثّر على المتلقي ويجعله شريكا في العملية التواصلية ،فقد بيّن الشاعر من

خلال تكرار الأداة (كم) معاناة الأندلسيين حكاما ومستضعفين .

¹ - البيت الثامن عشر .

² - البيت الثاني والثلاثون .

³ - البيت التاسع والثلاثون .

1-4- أسلوب الاستفهام بـ (هل) :

وقد ورد هذا الاستفهام مرة واحدة في قول الشاعر :

هل للجهاد بها من طالب فلقد تزخرنت جنة المأوى لها شان⁽¹⁾

فالمتمأمل للبيت يجد أنّ الشاعر تجاوز معنى التساؤل إلى معنى آخر يفهم من السياق اللغوي وهو التمني، فمعنى الأداة في عمومها التساؤل، لكن سياقها يدل على أنّ الشاعر يتمنى وجود من يخرج دفاعاً عن الأندلس طالبا الشهادة في سبيل الله .

فالشاعر يورد مأساة الأندلسيين التي أظهرها في سياق الاستفهام مع حذف الجواب " لأنّ الاستفهام ليس على حقيقته، وإنما هو استفهام بلاغي لا يحتاج إلى جواب، ووظيفة عدم الجواب الإطلاق والإبهام وبالتالي فهو يعبر عن صرخة مدوية تعبر عن انفعال عنيف يحس به الشاعر ويريد أن يهزّ به مشاعر غيره، فلا فائدة من الجواب مع هذه الحالة التي تعبر عن المأساة والشؤم والحزن وفقدان الأعزة . والهوان، ورغم كل ذلك فإنه قد يهون لو أصاب التافه الحقير، ولكنه أصاب قواعد الإسلام" ⁽²⁾

¹ - البيت واحد وستون.

² - محمد مفتاح ، في سيمياء الشعر القديم دراسة نظرية تطبيقية ، ص: 135

2- أسلوب النداء:

الأصل في النداء طلب الإقبال، والنداء في هذه القصيدة خرج عن معناه السياقي، فقله :

يا غافلاً وله في الدهر موعظة¹ إن كنت في سنة فالدَّهرُ يقْظان⁽¹⁾

وماشياً مرحاً يلهيه موطنه أبعد حمص تغر المرء أوطان⁽²⁾

فالسَّياق الذي وردت فيه أداة النداء (يا) أعطى معنى آخر وهو إنكار وتوبيخ الشاعر أفعال المسلمين، فبعدما عدَّ أبو البقاء تساقط المدن الأندلسية التي تهاوت الواحدة تلوى الأخرى في أيدي الصليبيين، راح ينادي أهل الأندلس الغافلين عن الدفاع عن أراضيهم منكراً عليهم غفلتهم وسباتهم وموبخاً تخاذلهم، فقد تحسر الشاعر على سقوط حمص التي كانت رمزاً للقوة والانتصار، إذ ليس هناك مصيبة تعدل مصيبة فقدها التي أنست كل المصائب.

ثم يواصل الشاعر مناداته لأهل النخوة والعزّ فيقول :

يا راكبين عتاق الخيل ضامرة كأنها في مجال السبق عقبان⁽³⁾

¹ - البيت الخامس والعشرون.

² - البيت الخامس والعشرون.

³ - البيت الثالث .

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

وحاملين سيوف الهند مرهفة كأنها في ظلام النقع نيران⁽¹⁾

ورأتعين وراء البحر في دعة لهم بأوطانهم عز وسلطان⁽²⁾

فقد تكررت أداة النداء في الأبيات، وقد كان مدلولها الحقيقي النداء لا غير، لكنها في هذه الأبيات تجاوزت المعنى الحقيقي للنداء إلى دلالة أخرى نفهمها ويفرضها السياق اللغوي الذي وردت فيه هذه التراكيب.

فالشاعر هنا ذكر أهل الأندلس بوجوب الدفاع عن وطنهم، فقد كانوا منشغلين بالاحتلال بينهم، إذ وجه صرخة صريحة إلى المجاهدين من أهل المغرب واستنصرهم، عليهم ينصروهم كما فعل من قبل أسلافهم من المرابطين والموحدين، مذكرا إياهم برابطة الأخوة التي تجمعهم، محاولا استعطافهم واستمالة قلوبهم للدفاع عن أراضي المسلمين، لعل فيهم قلوبا حية تسمع النداء.

ثم يختم القصيدة بحسرة وألم شديدين، يشكو فيهما تقلب الزمان، ويشكو حال الملوك في الأسر فيقول:

يا من لذلة قوم بعد عزهم أحوال حالهم كفر وطغيان⁽³⁾

¹ - البيت الرابع والأربعون

² - البيت الخامس والأربعون

³ - البيت السادس والأربعون

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

هنا يقف الشاعر وقفة تذكر بين ماض كان فيه الملوك أعزاء، وبين حاضر أصبح الملوك فيه أسرى، ويعقد مقارنة بين زمنين ويعتريه التحسّر ويعتصر قلبه الألم .

يا ربَّ أمُّ وطفلٍ حيلَ بينهما كما تفرّق أرواحُ وأبدانُ⁽¹⁾
وظفلةٌ مثلِ حسنِ الشَّمسِ إذ طلعت كأنما هي ياقوتةٌ وريحانُ

فعند تلقينا لهذين البيتين نلتبس في النداء معنيين، المعنى الأول خارج التركيب، وهو المعنى الأصلي للنداء، أمّا بالنسبة لدلالة التركيب داخل القصيدة، فقد ورد النداء هنا بمعنى الدعاء والتضرع لله بأن يحفظ الثكالي والأطفال .

3- أسلوب الأمر:

الأمر ما دلّ على طلب على وجه الاستعلاء، لكن قد يخرج الأمر على حقيقته ودلالته الأصلية، فلم يرد أسلوب الأمر في القصيدة إلا مرتين اثنتين في قول الشاعر :

فاسألْ بُلنسيةَ ما شأنُ مرسية وأينَ قاطبةُ أمِّ أينَ جيانُ؟⁽²⁾

من المتعارف والمتداول أن أسلوب الأمر يدل على طلب القيام بشيء، لكن عند عودتنا للسياق نجد أنّ الأمر قد خرج عن دلالته الأصلية، إلى دلالة أخرى حدّدها السياق

¹ - البيت السابع والخمسون والثامن والخمسون.

² - البيت السابع عشر

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

التركيبي ولا يمكن فهم هذه الدلالة إلا عند فهم السياق الذي وردت فيه صيغة الأمر وهو إبداء الحسرة والحزن على ضياع المدن الأندلسية .

وبعد توجيهنا لدلالة الأساليب الإنشائية التي لولها، لما تمّ فهم السياق التركيبي لتلك الألفاظ، ولولا المعنى الأصلي الذي جاءت به لما استطعنا فهم المعاني السياقية التي أراد الشاعر تسليط الضوء عليها.

2-3-3-2- السياق غير اللغوي (سياق الموقف)⁽¹⁾:

ينبغي لأي نصٍّ أن يتّصل بموقفٍ يكون فيه، تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات والتوقعات والمعارف، وهذه البيئة الشاسعة تسمّى سياق الموقف، أمّا التركيب الداخلي للنصّ فهو سياق البنية، وسياق الموقف هو مجموع العناصر الخارجية (غير اللغوية)، التي تساعد في نقل المعلومة أو تنشيط التفاعل، ضمن مفهوم التعاون، بين المرسل والمتلقي. وذكرنا عشر خصائص، يمكن أن نلاحظ تأثيرها في خطابات متنوعة، مجتمعة أو متفرقة، وهي المرسل والمتلقي، والجمهور، والموضوع، والمقام، والقناة، والنظام، وشكل الرسالة، والمفتاح، والغرض⁽²⁾.

فالخطاب الشعري في الغالب ما هو إلا أفعال ترتكز على التواصل، أي إنه "فعل تواصل" يخضع لقانون العرض والطلب (سوق القراءة)، فإنه لا محالة متوفر على سياق، وليكن داخلياً أو خارجياً⁽³⁾ ولا بدّ أن نعتمد على النصّ نفسه لنذكر "المبدأ العام الذي يحدد أهمية ودور السياق في فهم وتأويل"⁽⁴⁾ الخطاب الأندلسي، وعليه يجب علينا أن نقف عند حدود المتكلم أو الشاعر ونطرح تساؤلاً: من هو الشاعر الذي أبدع هذا الخطاب؟

¹ - يطلق عليه أيضاً سياق الحال، أو الماجريات.

² - عمر أبو خرمة، نحو النص، نقد نظرية وبناء أخرى، عالم لكتب الحديث، أربد، الأردن، 2004، ص: 90-91.

³ - محمد خطابي، لسانيات النص، ص 305.

⁴ - محمد خطابي، المرجع نفسه، ص 297.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

ثم نتساءل ثانيًا: من هو المتلقي؟ : أو بالأحرى : لمن وجّه الشاعر هذا الخطاب ؟.

ثالثًا: في أي مكان ألقى هذا الخطاب: وبعبارة أخرى : أين أبدع هذا الخطاب؟ رابعًا: ما هو زمن هذا الخطاب ؟

فالمتكلم (المتلقي) هو المرسل ، ويُعد المحور الرئيس الذي يشكّل العملية

التخاطبية، أي إنه يمثل "الذات المحورية في إنتاج الخطاب؛ لأنه هو الذي يتلفّظ به، من أجل التعبير عن مقاصد معينة، وبغرض تحقيق هدف فيه. ويجسّد ذاته من خلال بناء خطابه، باعتداده استراتيجية خطابية تمتدّ من مرحلة تحليل السياق ذهنيًا والاستعداد له، بما في ذلك اختيار العلامة اللغوية الملائمة... ولا يمكن للغة الطبيعية أن تتجسّد، وتمارس دورها الحقيقي، إلّا من خلال المرسل، فتصبح موجودًا بالفعل بعد أن كان وجودها بالقوّة فقط. ليس هذا فحسب، بل يكون وجودها ذو فعل مناسب للسياق"⁽¹⁾، ويحاول أن يقدم لوحة فنية يملؤها الحزن والأسى يوجهها إلى المتلقي "فبدونه لا يكون هناك خطاب؛ لأنّه طرف الخطاب الأوّل الذي يتجّه به إلى الطرف الثاني ليكمل دائرة العملية التخاطبية، بقصد إفهامه مقاصده أو التأثير فيه، ولذلك فإنّه يختار ما يتناسب مع منزلته ومنزلة المرسل إليه، بما يراعيه عند إعداد خطابه، وفق ما يقتضيه موقعه"⁽²⁾،

¹ - عبد الهادي الشهري، استراتيجيات تحليل الخطاب، ص: 45.

² - عبد الهادي الشهري، المرجع نفسه ، من المقدمة (v).

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

والمتكلم في الديوان هو الشاعر أبو البقاء الرندي الناطق بلسان كل عربي مكوم، وهو في هذه القصيدة المختارة في التحليل مبدع هذا الخطاب، إذ يوجه أبو البقاء الرندي خطابه للقارئ، وهذا القارئ موجود في كل زمان ومكان، يبدأ الشاعر قصيدته برفع شكوى من تقلبات الزمان وتغير الأحوال، ثم يخاطب المتلقي مسائل إياه عن سبب تساقط الدول الأندلسية الواحدة تلو الأخرى، وكل هذه التساؤلات وهذه البلدان يجمعها الرقي والحضارة والعلم في السابق، ويهدف من خلال هذا التساؤل إلى التذكير بالهزائم المتوالية للمسلمين، كما جعل منه مناجاةً يعبر فيها عن حالته النفسية الحزينة، كما أنه يمثل نقمة المرسل (الشاعر) على حال الملوك الذين كانوا سببا في هذا السقوط، ولم يكن المتلقي بمنأى عن هذه المناجاة التي تحمل في طياتها الحزن والأسى، فقد أراد الشاعر تحريك النفوس الميتة التي لم تلب نداء المفجوعين، فتكرار اسم الاستفهام (أين) أسهم بشكل كبير في ربط الأبيات بعضها ببعض، كما أن الغرض من تكراره أيضا تبيان هول الفاجعة التي أصابت المسلمين بسقوط معقل الإسلام وصرحه في أيدي الصليبيين، والتذكير بالمدن التي كانت منارة للعلم والرقي والحضارة وأصبحت من الماضي، كما أن تكرار التساؤلات يظهر حالة عدم استقرار نفسية الشاعر واضطرابها، فراح ينسي همومه بذكر أيام العز والقوة كي يسلي بها نفسه، لكن سرعان ما سقط في جو الهزائم والنكبات والانكسارات، فمظاهر الأسى والحزن بادية من خلال ما سرد لنا من أحاديث عكست لنا نفسيته، كما تقدم الشاعر بتوجيه خطاب منبها فيه خطورة الفرق والتشتت.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

وقد اختار توجيه الخطاب لعامة المتلقين أينما كانوا، فكان خطابه يمثل مرحلتين لكل مرحلة متلقٍ خاص، حيث تمثل المرحلة الأولى مرحلة زمن الشاعر الذي عاش في الأندلس، أما المرحلة الثانية، فتمثل مرحلة المتلقين في زمن ما بعد السقوط.

وإذا عدنا إلى مقدمة المراثية فإننا نجد بأنّ الشاعر اعتمد أسلوب التقديم والتأخير وهذا لغرض في نفسية الشاعر، ولم يكن عشوائياً وإنما لغرض بلاغي مقصود، إذ قال (لكل شيء إذا ما تم نقصان) وتقدير الكلام النقصان لكل شيء، فتقدم الخبر وهو الجار والمجرور المتعلقان بمحذوف خبر، والخبر مقدم هنا لأنه محط الاهتمام والعناية، وتأخر المبتدأ وهو نقصان، كما نجد أنّ الشاعر يسلي نفسه بحتمية زوال الدول بعد اكتمالها، فهذه الحكمة فيها تسلية للمصاب أيضاً وهو المتلقي الذي جعله الشاعر يعيش ذلك المشهد الأليم، وأراد أن يحرك عواطفه منذ بداية القصيدة والتأثير فيه وجلب انتباهه، ويحاول أن يذكره بأن لكل بداية نهاية، فهذه حقيقة تاريخية تدرج أيضاً ضمن المعرفة الخلفية إذ "إن التساؤل حول كيفية معرفة الناس لما يتحرك في نص ما ليس إلا حالة خاصة للتساؤل عن كيفية معرفة الناس لما يجري في العالم" (1)، ورغم أنّ الشاعر قد نظم القصيدة في بداية السقوط كما يذكر المؤرخون إلا أنّه رثى الأندلس ككل لأنّه يدرك حتمية السقوط، فقد رأى تقاعس المسلمين وخذلانهم لبعضهم البعض.

¹ - محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 311-312.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

فأبو البقاء الرندي في مرثيته، يبكي ملكا أضاعه المسلمون بسبب تقاعسهم في نصره بعضهم البعض، ويحاول استنهاض الهمم وبث روح القتال في نفوس المتلقين آنذاك لمواجهة الصليبيين الذين عاثوا في الأرض فسادا، فقد أراد من خلال هذا كله، التعبير عن حالة الانكسار والذل التي مر بها المسلمون في الأندلس، عن طريق أفراد زمن المسرة والفرحة، وجمعه الإساءة ليؤكد على أن زمن السعادة قليل إذا ما قورن بزمن الإساءة، وهذه الحالة أثرت نفسيا على القارئ من خلال المصائب التي حلت بالأندلس وتوالي سقوط بلدانها، هذه الحالة النفسية غير المستقرة التي يعيشها الشاعر والمتلقي على حد سواء تساهم بشكل كبير في بناء التركيب اللغوي للأبيات، فاضطراب النفس يؤدي إلى اضطراب القول والفعل كما يعتقد بذلك علماء النفس، ولأن الشاعر متأثر كثيرا بهذا الخطب الجلل فقد اضطرب تبعا لذلك البناء اللغوي للبيت، وتناقض المعنى الذي يريد الشاعر التعبير عنه، فهو يريد التعبير على أن الزمان تغير وأن الزمن الذي كان زمن الانتصارات قد أصبح زمن الانكسارات، وإن الزمان الذي كان الكثير فيه أسياد قد أصبحوا عبيدا أو قتلوا أو تغلب عليهم خصمهم، فمرحلة الانتصارات قد ولت وانتهت؛ وحلت محلها مرحلة الهزائم والانكسارات إلى أن أطلق على هذا الزمن الفردوس المفقود نظرا لمكانته وأهميته .

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

ننسب هذا العمل الذي جُمع حديثاً إلى صاحبه بناء على جمع وتحقيق الباحثة المغربية حياة قارة وأيضاً من خلال غلاف الديوان الذي ينسب إلى الشاعر أبي البقاء الرندي .

والمتلقي أو المرسل إليه هو الركن الثاني من أركان العملية الخطابية التواصلية، إذ يعتبر مؤول الخطاب ولأجله أنشئ الخطاب ،ويبذل جهداً كبيراً في الفهم والتأويل، وفي القصيدة هو المتلقي يمثل الحلقة الهامة في عملية التواصل، بما أنه "تتجه إليه لغة الخطاب التي تعبّر عن مقاصد المرسل، وعليه فإنه يمارس، بشكل غير مباشر، دوراً في توجيه المرسل عند اختيار أدواته وصياغة خطابه، وذلك بحضوره العينيّ أو الذهنيّ؛ انطلاقاً من علاقاته السابقة بالمرسل وموقفه منه ومن الموضوعات التي يتناولها الخطاب"⁽¹⁾، فهو يتلقى الخطاب مستعينا بخلفياته المعرفية وما يملكه من تجارب سابقة، فهو "يواجه نصّاً أدبياً يفعل ذلك وهو متوفر على زاد معرفيّ عام عن النصّ الأدبيّ ممّا يسهل (يفرض) استبعاد معلومات واستحضار أخرى للتكيف مع مقتضيات النصّ الذي يروم فهمه، وبناء عليه فإنّ السياق بالنسبة للنصّ الأدبيّ جهاز من المعلومات الخارج نصيّة المعقودة في النصّ كتقليد أدبيّ أو كإقتضاء سياقي"⁽²⁾.

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجية الخطاب، من المقدمة (v).

² - محمد خطابي، لسانيات النص ، ص309.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

فالشاعر أبو البقاء الرندي هنا يريد أن يوصل رسالة للمتلقي وهو الإنسان الأندلسي المسلم آنذاك، كما نجد أنّ فاعل الفعل (اسأل) ضمير مستتر تقديره (أنت) يعود على مخاطب خارج النص، قد يكون المتلقي أو المخاطب في ذاك الزمن الذي ليس له ذكر في الجملة أو في النص، وهذا يعني أنّها إحالة خارجية، فالضمير في (اسأل) يعود على شخص خارج النص يفهم من السياق، وهنا ربط بالضمير لتكرار التساؤلات (أين/ أين) .

والضمير كما يقول النحويون أخف من الاسم العائد عليه، والضمائر المتصلة أكثر استعمالاً من الضمائر المنفصلة وهذا يظهر جلياً في النص .

كما نجد تحديد المتلقي في قول الشاعر: ﴿ فَاسْأَلْ بِلَنْسِيَةِ ﴾ إذ المعنى: واسأل أهل بلنسية، ولا بدّ من تقدير المحذوف الذي هو حذف للمضاف، كما أنّه معلوم لدى السامع ، وموجود يدل عليه قصد المتكلم، فليس الحذف هنا راجعاً لذات التركيب اللغوي، فالشاعر يخاطب السامع واعظاً: سل بلنسية عن أهلها وسكانها، فالفجوة هنا يمكن للمتلقي أن يملأها بسكان المدينة، كما يمكن ملؤها بأصدقاء الشاعر ومعاصريه الذين يقيمون في مدينة بلنسية، أو غير ذلك من التقديرات التي يمكن للمتلقي أن يوظفها كي يملأ هذه الفجوة.

والرسالة التي أراد الشاعر إيصالها، مفادها أنّ تذكر الفردوس المفقود يصيب القارئ أو المتلقي بنوع من الإحساس المفرط بالهزيمة والمشاعر الكئيبة التي صورّها الشّاعر وكأنّها مشهدٌ يظهر للقارئ أو كأنّه لوحة فنية تجسد على خشبة مسرح يقف فيها المتلقي حيراناً مندهشاً لا يدري ماذا يفعل أمام هول الواقعة، وقد شُخص بصره وشلت

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

أركانها، فهذا الرثاء " الرثاء لغة الموت، وفن الحزن، ومجال اليأس، ومعرض الوفاء، والحزن في الأصل عاطفة سلبية تحمل الإنسان على العكوف على النفس، والتفكير في شأنها فهو انهزام أمام الكوارث، ومدعاة للعظة والاعتبار" ⁽¹⁾ ، إضافة إلى أن المرسل إليه أيضا موسع في هذه القصيدة ، كونه يشمل الشعوب العربية والمسلمة ككل في كل زمان ومكان، خاصة وأن الصليبيين لازالوا ينتشون بنشوة الانتصار ، كما أن المسلمين لم يهضموا بعد هذه الهزيمة النكراء التي ألحقت بهم ، وهذا ما لم يصرح به الشاعر صراحة في القصيدة (المسكوت عنه)، و"يصطدم القارئ بتتابع جملة الموافقات بجملة المفارقات في نص هذا الخطاب" ⁽²⁾ ، ذلك أن الغرض منها الإقناع فاختر الشاعر في قصيدته ألفاظاً سهلة، وموسيقى تستطرب لها الأذن، دون تكلف، لأنه أراد أن تصل قصيدته إلى كل نفس تأبى الظلم وتصبو للحرية، وتتعلق بالأرض.

كما أن **الرسالة** تتمثل في القصيدة باعتبارها متوالية من العلاقات القائمة بين المرسل والمرسل إليه بواسطة قناة، كما أنها خطاب يمثل النص اللغوي بعد استعماله،

¹ - أحمد الشايب ، الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، ط 8، 1993م،

ص:85

² - عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب نحو بديل ألسني في نقد الأدب، الدار العربية للكتاب، ط 1، ليبيا، تونس، 1977

ص:81

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

وهو وسيلة المتخاطبين في توصيل الغرض الإبلاغي من المخاطب إلى المخاطب، ويتسم بأنه كتلة بنيوية واحدة متماسكة الأجزاء⁽¹⁾.

كما تعتبر القصيدة مجموعة من المعلومات و الأفكار التي يرسلها المرسل وتحيل على المرجع العام المشترك بين المرسل والمرسل إليه، فهي "مادة التخاطب، التي هي وحدة تركيبية، والتركيب في النص الأدبي ذو وجهين: وجه نحوي ووجه بلاغي. ومن هنا ينشأ معنى لغوي أو حرفي، وآخر بلاغي أو أدبي، أمّا الأوّل فيمكن إدراكه مباشرة من خلال النظم. وأمّا الثاني فينشأ عن التّداعيات التي تحدثها الوحدات النظمية في ذهن المتلقي (السامع أو القارئ) الذي ينهل من خزان العلامات التي يتضمنها فينتقي منها ما يراه مناسباً للغرض المعبر عنه"⁽²⁾.

وتتمثل رسالة أبي البقاء في محاولة منه تصوير النكبة والفاجعة التي ألمت بالمسلمين، ويبعث بذلك رسالة إنسانية تحمل تلك الفكرة الموحدة مهما اختلف مكان تلقيها. إذ بدأ مرثية الأندلس (القصيدة) مكونة من بيتاً بحكمة ، قسم الشاعر المرثية إلى أربعة مقاطع ، كلّ مقطع يتضمن حالة معينة ، ففي بداية القصيدة تحدث عن تقلبات الزمان والشكوى منه ؛ فالبيت الأول وكأنّه حديث عن تغير الأحوال إذ يقول:

¹- محمد يونس علي، مرجع سابق، ص: 157.

²- عبد المالك كجور، المؤلف والنص في ضوء الاتجاهات النقدية الحديثة، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ع15،

أفريل 2001، ص80.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

- لكل شيء إذا ما تم نقصانٌ فلا يُغَرَّ بطيب العيش إنسانٌ⁽¹⁾
هي الأمور كما شاهدتها دولٌ من سره زمن ساءته أزمانٌ

ثم ربطه بالأحداث الواقعة بوصفه تداعيات سقوط الأندلس وما نتج عن هذا السقوط من أحداث ومآس.

ثم انتقل إلى وصف المدن المتساقطة الواحدة تلو الأخرى في قوله:

- فاسألْ بِنفسية ما شأنُ مرسية وأينَ قاطبةٌ أمْ أينَ جيانٌ؟⁽²⁾

نجد أنَّ فاعل الفعل (اسألْ) ضمير مستتر تقديره (أنت) يعود على مخاطب خارج النص، قد يكون المتلقي أو المخاطب في ذاك الزمن الذي ليس له ذكر في الجملة أو في النص .

ثم توجه برسائله للمسلمين من البيت 25 إلى البيت 31، محذرا إياهم من مغبة التكاسل في نصره بعضهم البعض ، ليختم القصيدة بوصف أليم يتحسر فيه على الوضع الذي آل إليه المسلمون وإلى حال الملوك الأسرى ، الذين ذكرهم الشاعر في البيت 36 إذ يقول :

- بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم واليوم هم في بلاد الكفرِ عبادانٌ⁽³⁾

¹ - البيت الأول (مقدمة القصيدة)

² - البيت السابع عشر

³ - البيت السادس والثلاثون

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

كما أن في النص فجوات عديدة، فالفجوة الأولى حدثت بعد الفعل المتكرر اسأل، وقد تحدث حيرة في كيفية ملء الفجوة ؛ فيمكن أن يملأها المتلقي المفترض كما يمكن أن يملأها المتلقي المتخيل، كما يمكن أن يملأها كل قارئ في كل زمان ومكان وهذا ينشط سيرورة النص وديمومته، وقد يملأها المكان نفسه، أو غير ذلك من التقديرات الممكنة لملء هذه الفجوة، ومع وجود هذه التساؤلات وكثرتها تزداد المتعة من قبل المتلقي وهو يبحث عن البدائل المتاحة والممكنة لسدها.

من خلال القصيدة ندرك أن الشاعر أراد أن يوصل رسالته و يمررها إلى متلقٍ متنوع ، متنوع المعتقدات، من خلال نوعين فوجّه لكل متلقٍ خطاباً خاصاً به دون تحديد :

1- المتلقي الحاضر أو المفترض (زمن النكبة) : اختار الشاعر المتلقي في زمنه كي يذكره بخطورة الأمر، وضرورة الاتحاد لمجابهة السقوط، فكان الخطاب موجهاً إليه مباشرة وحاول أن يجعله يعيش تلك الأحداث المؤلمة بعد أن وضعه في جو النص وخضم الأحداث إذ يقول :

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان⁽¹⁾

ثم يواصل الحديث قائلاً :

هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان⁽¹⁾

¹ - البيت السادس والثلاثون

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

ويواصل الشاعر خطابه للمتلقين في زمنه ويطرح تساؤلات عدة تمثلت في سقوط الدويلات الإسلامية الواحدة تلو الأخرى ، إلى أن يصل إلى تأنيب المتلقي آنذاك ويشعره بوجوب تحمل المسؤولية تجاه الدويلات الإسلامية ، فيقول :

يا غافلاً وله في الدهر موعظة⁽²⁾ إن كنت في سنة فالدهر يقظان⁽²⁾

ويواصل مخاطبته مُعَنِّفاً إياه ، مُحَسِّساً إياه بترك البغضاء والشحناء التي كانت سبباً في هذا السقوط الأليم .

ماذا التقاطع في الإسلام بينكم وأنتم يا عباد الله إخوان⁽³⁾

2-المتلقي الغائب (المتخيل بعد النكبة) :ذلك أن القصيدة صالحة لكل زمان ولكل مكان

لذلك فضل الشاعر هذه الاستمرارية التي تجعل من القصيدة حية متوارثة بين المتلقين .

فتعدد المتلقين في النص ارتبط بعناصر دالة: الشاعر ← المخاطب الذي خاطب

متلقين اثنين في زمنين مختلفين، متلق في زمن النكسة والنكبة ومتلق ما بعد النكبة،

فالمتلقي الأول خاطبه الشاعر جاعلاً إياه سبباً في النكبة وحمله مسؤوليتها (شاهدتها، أسأل

غافلاً، ماشياً، راكبين، حاملين ، أعندكم ، تراهم ، رأيت)؛ أمّا المتلقي الثاني الذي عناه

الشاعر فهو المتلقي المتخيل في كل زمان وفي كل مكان)، فقد كان الصنفان سبباً في مدّ

¹ - البيت الأول (مقدمة القصيدة)

² - البيت الخامس والعشرون .

³ - البيت الخمسون .

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

جسور التواصل بين الشاعر المبدع والمتلقي بنوعيه على حد سواء، ممّا أضفى على النصّ انسجاماً وتناسقاً بين المتخاطبين (الشاعر - المتلقي).

أما الإطار المكاني للنص : فمن خلال تداول القصيدة على الألسن، وشيوع اسمها بمرثية الأندلس، أو نونية أبي البقاء الرندي ، فهذا يجعل منها موروثاً أندلسياً، خاصة وأنّ رثاء المدن نشأ في الأندلس إبان السقوط، وقد شاع في هذه الفترة تبعاً لتتابع سقوط الدول الإسلامية الواحدة تلو الأخرى، وهذا بسبب تكالب الأعداء والصليبيين على البلاد الإسلامية، ثم ينتقل الشاعر إلى الوصف الأليم وهو سقوط الدول الإسلامية وما حل بملوكها، كما عدد الشاعر محاسن تلك الدول المتساقطة وكيف كانت منارة وقبلة للعلم والتطور، واشتداد الحزن على المسلمين لفقد هذه الدول ذات الصيت الكبير، وذلك من خلال التساؤلات والاستفهامات التي قدمها الشاعر، وهذا دليل على عمق حزنه وألمه لهذا السقوط المخزي، فقد كانت هذه الدول أركان الأندلس أيام عزها، خاصة وأنّ أماكن العبادة قد دُنت وحُوت إلى كنائس، وهذا ما زاد في تعميق الصراع القائم بين المسلمين والصليبيين، ومثل هذه الأمور كان القصد منها إثارة الحمية في نفوس المسلمين قصد استرجاع الدول المسلوبة، لكن الشاعر كان يخاطب أنفساً مهزومة آنذاك، فضلت النجاة بنفسها دون البحث عن الحلول للخروج من الأزمة.

وغالباً ما يرتبط المكان " : يرتبط المكان "بالذاكرة الجماعية، إذ يشكّل بالدرجة الأولى علاقة تاريخية تقوم على استرجاع المكان وتخلق عبر المتخيّل المكان المفقود في

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

الواقع، أو تعيد سرد الخوف من فقد المكان، لأنها تسجل تجربة إنسانية تقاوم الإحساس بالفقد على مستوى الذات مما يعيد الذاكرة إلى الارتباط بالمكان ويولد الفعل المقاوم⁽¹⁾

كما نجد تكرار العنصر الانفعالي (أين) الذي تكرر عشر (10) مرات في قول الشاعر، وقد دل هذا التكرار على أمكنة متعددة من الأندلس، وهذا التكرار جاء نتيجة لتأكيد هول المصيبة التي حلت بالأندلس، إذ تساقطت الدول، وقتل المسلمون وأسروا، واستبدل الإسلام بالكفر، وبعد سقوط الدول لم يبق للمسلمين ما يفتخرون به أمام غيرهم يقول الشاعر :

- | | |
|--------------------------------------|---|
| أين الملوك ذوو التيجان من <u>يمن</u> | وأين منهم أكاليل وتيجان؟ ⁽²⁾ |
| وأين ما شاده شداد في <u>إرم</u> | وأين ما ساسه في الفرس ساسان؟ ⁽³⁾ |
| وأين ما حازه قارون من ذهب | وأين عاد وشداد وقحطان؟ ⁽⁴⁾ |
| فاسأل <u>بلنسية</u> ما شأن مرسية | وأين قاطبة بل أين جيان؟ ⁽⁵⁾ |
| وأين <u>قرطبة</u> دار العلوم فكم | من عالم قد سما له فيها شان ⁽¹⁾ |

¹ -جمال مجناح، دلالات المكان في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد 1970، (دكتوراه العلوم في الأدب العربي الحديث)،

إشراف: العربي دحو، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2007. ص 413، ص: 71.

² -البيت السادس.

³ -البيت السابع.

⁴ -البيت الثامن.

⁵ -البيت السابع عشر.

وأين حمص وما تحويه من نزه ونهرها العذب فياض وملآن⁽²⁾

وهذا الاستفهام الإنكاري المكرر (أين)، تساءل فيه الشاعر عن سبب تساقط الدول الأندلسية الواحدة تلو الأخرى، ويهدف ذكر الأمكنة إلى التذكير بالهزائم المتوالية للمسلمين، كما جعل من المكان مناجاةً للشاعر يعبر فيها عن حالته النفسية الحزينة، كما أنه يمثل نقمة الشاعر على حال الملوك الذين كانوا سببا في هذا السقوط، ولم يكن المتلقي بمنأى عن هذه المناجاة التي تحمل في طياتها الحزن والأسى، فقد أراد الشاعر تحريك النفوس الميتة التي لم تلبى نداء المفجوعين، فتكرار اسم الاستفهام أسهم بشكل كبير في ربط الأبيات بعضها ببعض، كما أنّ الغرض من تكراره أيضا تبيان هول الفاجعة التي أصابت المسلمين بسقوط معقل الإسلام وصرحه في أيدي الصليبيين، والتذكير بالمدن التي كانت منارة للعلم والرقى والحضارة وأصبحت من الماضي، كما أنّ هذا التكرار يظهر حالة عدم استقرار نفسية الشاعر واضطرابها، فراح ينسى همومه بذكر أيام العز والقوة كي يسلي بها نفسه، لكن سرعان ما سقط في جو الهزائم والنكبات والانكسارات، فمظاهر الأسى والحزن بادية من خلال ما سرد لنا من أحاديث عكست لنا نفسيته.

¹ - البيت الثامن عشر.

² - البيت التاسع عشر.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

ففي الأبيات السابقة، أشار الشاعر صراحة إلى مكان الخطاب، للتذكير بالفاجعة، وللتأثير على المتلقي واستمالاته، وجعله يعيش المأساة، لكننا لا نكتفي بذكر الأمكنة الصريحة، بل يجب أن نعود إلى الخطاب للبحث عن مؤشرات مكانية تساعدنا على تقديم أمكنة بصيغ أخرى، أشار إليها ضمن قصيدته، ومن بين هذه المؤشرات التي استخدمها، نجد المحدّدات الإشاريّة التي تدلّ على المكان المتمثل في الظروف المكانية.

استخدم الشاعر ما يحدّد المكان (هذه)، إذ يقول:

وهذه الدارُ لا تُبقي على أحدٍ ولا يدومُ على حال- لها شأنٌ⁽¹⁾

وبعد ذكر الشاعر الدويلات التي تتابع سقوطها (المكان) بدأ يعدّد عناصر تحيل عليها، (سما لها شأن، قواعد كن أركان البلاد، نهرها، دار العلوم، بيوت من الإسلام...) ثم يواصل ذكر الأمكنة فيقول:

قواعدُ كنَّ أركانَ البلادِ فما عسى البقاء إذا لم تبق أركانُ⁽²⁾

وتبلغ المأساة ذروتها عند الحديث عن أماكن العبادة

على بيوتٍ من الإسلامِ عاطلةٍ كأنّها لم تكن بالذكر تزدانُ⁽³⁾

¹ - البيت الثالث .

² - البيت العشرون.

³ - البيت الثاني والعشرون.

وذكر أماكن العبادة فقال :

حَتَّى الْمَحَارِيبِ تَبْكِي وَهِيَ جَامِدَةٌ

فقد خصّ المحاريب هنا بالذكر، لأنها مكان عبادة المسلمين، وأراد الشاعر اللعب على أوتار العواطف، للتأثير على المتلقين وتذكيرهم باستباحة مقدساتهم، لأنّ الشاعر أراد أن تصل رسالته إلى كل نفس تأبى الضيم، وتتعلق بالوطن، وترفض أن تنساه حتى ولو داسته يد الصليبيين وحولته إلى مكان بتفاصيل مختلفة عن التفاصيل الأصلية، ويبحث بذلك رسالة إنسانية تحمل تلك الفكرة الموحدة مهما اختلف مكان تلقيها.

يصور لنا السياق في القصيدة حواراً قائماً بين الشاعر وبين المتلقين الذين خاطبهم الشاعر، فكان له دورٌ فعالٌ في تحديد المعنى المراد، ودفع اللبس والغموض، لأنّ مراعاة هذا الجانب يؤدي إلى الفهم السليم لمقاصد المتكلم وهو الشاعر، فالمعنى يتضح من خلال قصد المتكلم أو الموقف الذي أنتج فيه الخطاب، فالمعنى المراد من هذا الخطاب هو ذكر هذه الأمكنة التي نقشّت في ذاكرة الشاعر وارتبط بها، كل هذه الأمكنة تعبّر بوضوح عن تعلق الشاعر بالمكان الذي وظّفه في نصّه، مبدياً تحسره وحزنه على فقدّه واصفاً إياه، بمكونات الأمة الإسلامية ومقوماتها.

-أما الإطار الزماني للنص : يتحدد الإطار الزماني الذي كُتِبَ فيه هذا الخطاب

بالزمن الفعلي الذي قيلت فيه القصيدة، وهو ملازم للفترة التي واكبت السقوط وتوالى فيها الانكسار، فالزمن موضوع هذه الدراسة نعني به الزمن الشعري المعبر عن أحوال الحياة

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

في العصر الأندلسي ،كما نعبر به أيضا عن الزمن الواقعي المصاحب لتلك الأحداث التي تزامنت وسقوط الدول الأندلسية خلال زمن عرف فيه تكالب الصليبيين على هذه الدول الإسلامية،وقد عرفت هذه البيئة كل أنواع الظلم والاستعباد،حتى إنّ بعضهم استعان بالنصارى لأجد أن يستفرد بالحكم ، فساد الظلم والفقر والحسد والوشاية والسجن والقتل ، وإذا تأملنا القصيدة جيدا نجد بأنّ حضور الزمن حضوراً مكثفٌ وعميقٌ بجميع أحواله ذلك أن الزمن ارتبط ارتباطا وثيقا بالحياة خاصة في الأندلس التي عاش أهلها فترتين زمنيتين متباينتين،فترة الانتصارات والسلطة والقوة،وفترة الانكسارات والأسر والذل،وقد قابل الشاعر بينهما ببراعة تامة جعلت القارئ يتصور الفترتين الزمنيتين،إذ قارن بين الفترتين عن طريق المفعول فيه (الأمس) الذي يدل على تغير الحال،وفي هذه المقابلة مقارنة بين حال الملوك في السابق وبين حالهم في الأسر،ويستمر الشاعر في الحديث عن حال الملوك المأسورين في محاولة للتأثير على القارئ ،وقد ختم الشاعر قصيدته بمرحلة اللا انتصار، لما رأى من تكالب المسلمين بعضهم على بعض،وقد أعلن يأسه وقنوطه من خلال التركيز على عدم اهتمام العرب في الأقطار الأخرى بإخوانهم في الأندلس ، كما نجد زمنين آخرين "الزّمان الكوني والزّمان الإنساني،أما الزمان الكوني فقد تكون له بداية ولكنه لا يعرف النهاية، فهو شكل من أشكال الأزلية،لا يعرف مرور الزمن ولا الصراع ولا الموت ولا الحدود، وهو في العادة زمان دائري مرتبط بدورات الطبيعة أو بالماضي الذهبي أو بالطفولة أو بالسكون والصّمت، فهو في حقيقة الأمر لا زمان.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

أمّا الزّمان الإنساني فهو الزّمان الاجتماعي والتاريخي والمادي، هو الزّمان الذي نعيش فيه فنعرف الصّراع والأفراح والحدود، وهو ذو بداية ونهاية ولذا فهو يأخذ شكل خطّ مستقيم، والزمان الإنساني مرتبط بالحاضر وبالعالم الخبرة وبالمدينة، وهو الزّمان الذي تتحقّق أو تجهض فيه إنسانيتنا⁽¹⁾.

فرغم أنّ هناك حتميّة تؤكد أنّ لكلّ شيء نهاية، ورغم أنّ سقوط الأندلس كان في زمن مضى إلا أنّ هذا الزمن مستمر مع استمرار تداول القصيدة وقراءتها، فالمتلقي يستحضر النكسات و الانهزامات وكأنّه يعايشها الآن، وهذا الانهزام الممتد زمنيا سينتهي مهما طال، فرغم تشاؤم الشّاعر في قصيدته وانهزامه إلا أنّه في الأخير أعطى بصيص الأمل لاسترداد الدول الأندلسية المتساقطة إذ يقول :

هل للجهاد بها من طالب فلقد تزخرت جنة المأوى لها شأن⁽²⁾

ففي هذا البيت نزعّة جهادية يحث الشاعر فيها المسلمين ويستنهض الهمم لاسترجاع ما ضاع من أراض للمسلمين.

¹ - عبد الوهاب المسيري، دراسات في الشعر، مكتبة الشروق الدولية، ط1، القاهرة، 2007. ص: 114.

² - البيت الرابع والعشرون.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

تناولنا أهم خصائص السياق التي تتحكم في عملية التواصل بين متكلم ومتلق، في إطارين أحدهما مكاني، وثانيهما، زمني، إذ للسياق أهمية كبيرة في تحديد معاني الألفاظ ودلالاتها التي تشير بدورها إلى المعنى اللغوي الكلي للنص ضمن علاقته بالسياق، محاولين إثبات أن الخطاب رغم تلقيه منذ قرون إلا أنه لازال يتمتع بقابلية الفهم والتأويل، مما أدى في الأخير إلى تحقيق الانسجام النصي.

2-3-2- مبدأ التأويل المحلي:

هذا المبدأ حسب محمد خطابي يرتبط " بما يمكن أن يعتبر تقييد للطاقة التأويلية لدى المتلقي باعتماده على خصائص السياق، كما أنه مبدأ متعلق أيضا بكيفية تحديد الفترة الزمنية في تأويل مؤشر زمني مثل الآن..⁽¹⁾، فهذا المبدأ يجعل من المتلقي مقيدا بمعنى النص ولا يمكن له الخروج عن إطاره المقيد، فتقييد الطاقة التأويلية للمتلقي تجعله مجبرا على الاعتماد على خصائص السياق، مما يستلزم وجود أسس تحدد عملية التأويل، وهنا يكون للسياق دور كبير في تحديد هذا المعنى، ويجب استبعاد كل ما يعيق عملية الفهم وكل ما يعيق انسجام النص، فالتأويل إذن هو عبارة عن قراءة ممكنة للنص، لأن النص ليس كما يعتقد البعض بنية مغلقة، بل هو مفتوح على المتلقي، هذا الأخير له القدرة على إعادة إنتاج النص مرة أخرى عن طريق عمليتي الفهم والتأويل .

وهذا المبدأ يساهم في انسجام النص بالعمل مع المتلقي لربط أجزاء النص، ومحاولة كشف أسرارها، فالقارئ لا يمر على النص مروراً سطحياً بل يجب عليه الوقوف عند مكامن النص وخبائاه كي يفسر ويحلل ويؤول وفق مبادئ تفوقه لفهم النص بعيداً عن الغموض فالانتقال من المعنى الظاهر وهو النص كبنية إلى المعنى الخفي اعتماداً على التأويل يقودنا حتماً لمعرفة معنى النص واكتشاف مقاصد المتكلم، فأحياناً نجد جملاً تحمل معنى فإذا وردت في سياق مغاير فستحمل معنى مغايراً وهنا وجب الاحتكام إلى التأويل الذي

¹ - محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص: 56

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

يقيد هذا المعنى الجديد حسب السياق الذي وردت فيه، وهذا التأويل يختلف باختلاف نوع المتلقي (القارئ)، وحسب درجات القراءة، فكلما قرئ النص إلا وظهرت دلالاته الواحدة تلو الأخرى، وهنا يصل القارئ إلى تأويل، تشتد درجته كلما أعيد قراءة هذا النص فالنص مفتوح لقراءات كثيرة وتأويلات مقيدة، وهذا ما قال به الجرجاني في تمييزه بين المعنى و معنى المعنى فقال: " الكلام عنده على ضربين :ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وضرب آخر يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض " (1) .

فدور المتلقي هنا الوصول إلى المعنى عن طريق التأويل الذي يكشف الغموض والخبايا، اعتمادا أولا على قدرة المتلقي في التفسير والتأويل، واعتمادا مرة أخرى على السياق، إضافة إلى تلك المبادئ التي تجعل من المتلقي " قادرا على تحديد تأويل ملائم ومعقول في مناسبة قولية معينة " (2) .

وعليه فإن عملية التأويل مهمة لفهم النصوص، فهي بذلك تترابط وتتسجم عن طريق هذه العملية، وهذا ما يضمن استمرارية النصوص، ويكون المتلقي (القارئ) قد شارك أيضا في إعادة إنتاج النصوص، والوصول إلى المعنى الخفي وتجاوز معنى المنتج.

¹ - الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص: 264-265

² - براون ويول، تحليل الخطاب، ص: 58.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

وإذا جئنا للحديث عن مبدأ التأويل المحلي الذي يصنعه المتلقي (القارئ) ، والتأويل غالبا مرتبط بالسياق الذي ورد فيه النص ، فالقصيدة من بدايتها إلى نهايتها في رثاء الملك أبو عبد الله ملك غرناطة، وهذا يدل على تأثر الشاعر برحيل الملك، وقد بدأ الشاعر قصيدته باستعظام وهول المصيبة التي أصابت المسلمين بفقدهم للملك، وهذه المقدمة تحمل في طياته كثيرا من عبارات الأسى والحسرة ، ثم راح يعدد محسان الملك، فمن خصائص الرثاء ذكر محاسن الميت، وهنا استرسل الشاعر في ذكرها، وهذا للتأثير على المتلقي الذي هو في الأصل ابن الملك وريث العرش، والقصيدة بمثابة تسلية لحزين فقد والده، ولعل الصفات التي ذكرها الشاعر (الإقبال، الصدقة، السرور، الكرم، الحلم) تقرب لنا شخصية الشاعر إلى المتلقي الآخر، فالابن بمعرفة جيدة بأبيه، وهنا يأتي دور المتلقي الثاني الذي يحتاج إلى فهم وتأويل هذه الصفات بالاعتماد على مبادئ تقيده في عملية التأويل، وهنا تظهر له شخصية الملك الراحل، فهدف الشاعر بعيد غير قريب، فهو أراد أن يُخلد الملك بهذه القصيدة وتعداد مآثره، فوظف كل ما يملك من معارف وربط بينها وعدد الصفات التي رآها أو ربّما سمعها عن الملك .

ثم يواصل الحديث ويذكر مثالب الابن الوريث للملك ، والتنويع في الألفاظ والعبارات التي توحى بتعلق الشاعر بالأسرة المالكة، وهذا يدلّ على وفائه لهذه الأسرة، وكما يدل أيضا على اعتزازه وافتخاره بولائه لوريث الملك ، فجاءت صفات الملك

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

الراحل مكملة لصفات الابن الوريث للملك على شكل حلقي متسلسل بحيث العبارة الواحدة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتي تسبقها .

وما يزيد انسجام القصيدة هو ربط الشاعر صفات الملك بصفات الابن وكأنهما شخصية واحدة ، فصفات الابن ورثها عن أبيه .

وبعد قراءتنا لقصيدة رثى فيها الملك وجدناها كلها أسمى وحزن لفقد ملك غرناطة وهذا يدل على رغبة الشاعر في التقرب من ولي العهد تعبيرات مجازية ذات تأثير قوي، كما استعان بكل ما يملك من معارف، إذ أحسن توظيفها في صورة متسقة منسجمة. وعملية الفهم تكون من طرف المتلقي (القارئ) باستنباط العناصر المساعدة له :

2-6-1- أسماء الشخص :

في هذه القصيدة تعددت مناقب الملك الراحل ⁽¹⁾، فبدأ الشاعر قصيدته باستعظام موته ، إذ يقول :

ما جلّ خطب كهذا الحادث الجلل فليقض حق الأسي بالأدمع الهمل (2)

¹ - يشير الشاعر إلى وفاة الملك النصري أبو عبد الله محمد بن يوسف ، وقد توفاه الله بعد صلاة العصر من يوم الجمعة في التاسع والعشرين من شهر جمادى الثانية من عام 671 هـ ودفن بالمقبرة الجامعة العتيقة بسانم السبكة بغرناطة ، ولعل سبب ذكرنا لاسم الملك يعود للتوطئة التي سبقت القصيدة وهي عبارة عن رسالة أرسلها أبو البقاء الرندي لولي العهد ابن الملك أبو عبد الله محمد بن يوسف (ينظر ص: 196 وما بعدها)

² - البيت الأول.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

وقد أشار الشاعر إلى الملك بألفاظ عديدة، إذ تتجسد أسماء الشخوص المتعلقة

بالمملك في قول الشاعر :

يا حسرة الدين والدنيا على ملك قد كان حسبهما لو مدّ في الأجل⁽¹⁾

وفي قوله:

وزاول الملك دهرًا ثم فارقه وزال عنه وذاك الفخر لم يزل⁽²⁾

وفي قوله أيضا :

وما عسى أن يمد القول في ملك ما حاد من كرم يوما ولا بطل⁽³⁾

وقد ذكر الشاعر ما تميز به الملك أبو عبد الله على سبيل رثاء الأشخاص، وهذه

ميزة اختص بها شعر الرثاء في العصر الأندلسي، حيث عدد صفات العدل والمساواة

وهي صفات اختص بها الملك دون غيره، خاصة وأن هذا العصر شهد ظلم كثير من

الملوك وهذا الذي مهد لسقوط دويلاتهم، فما أكثر الظلم آنذاك وما أقل المصلحين

العادلين، وقد صورت القصيدة بصدق مشاعر الحزن لوفاة الملك، فالشاعر ذكر حال

الأندلس بعده فبكى وأبكى، فيقول :

مولاي مولاي ألفا مكررة لو كان يغني نداء الوجد والوجل⁽¹⁾

¹ - البيت الرابع.

² - البيت السادس.

³ - البيت السادس.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

ثم ينتقل الشاعر لذكر ولي العهد وريث الملك ابنه الذي تقلد الملك بعد وفاته

فيقول :

يا وارث الملك والمجد الذي كرمت منه الخلال فما فيهن من خلل⁽²⁾
سلم لما قد جرى حكم القضاء به فكل شيء من الأشياء إلى أجل

ثم يعود لذكر مثالب الملك الراحل فيقول :

وإن مضى عنك مولى لانظير له فقد مضى المصطفى المختار في الرسل⁽³⁾

وها هو يختم القصيدة بمدحه مرة أخرى لوريث الملك فيقول :

وفي بقاءك للإسلام تكلية وفي الأواخر ما يسلي عن الأول⁽⁴⁾
لازلت للملك والإسلام تنصره حتى تبلغ فيه غاية الأمل

2-6-2- مؤشر المكان :

لم يذكر الشاعر المكان صراحة ،إلا ما ورد ذكره في قوله :

وما بكا العين بعد الشيء نافعها وإنما طللُ المفقود كالظلل⁽¹⁾

¹ - البيت السادس.

² - البيت الرابع والعشرون.

³ - البيت الثامن والعشرون.

⁴ - البيت الثلاثون.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

فالطلل هنا موضع إقامة الملك ،وجمالية المكان وهو البيئة الأندلسية تجعل المتلقي يسبح في خيال تأويل المكان، لكن المتلقي المطلع على التراث الأندلسي يجد أن الملك حكم غرناطة وتوفي بها ، وقد عد موته مصيبة كبرى لأهل البلد ، فرثاه الشاعر ورثى رحيله عن ديار الإسلام ،وقد حاول التأثير على المتلقي بذكر صفاته ، فيُخَيِّل للقارئ أن الإسلام قد فقد ناصرا له لعظم ما ذكر من صفات ، كما صورَّ الشاعر حزن الإسلام على فراق الملك ، فبكاه كما يبكي الرجل زوجته وأهله بعد الفراق .

2-6-3- مؤشّر الزمان :

ذكر الشاعر بعض المؤشرات الزمنية في القصيدة كـ
(الأجل،دهرا،يوما،غدا،الأول ،الأواخر)، إذ لا يتحقق الانسجام إلا بتلاحم المكان والزمان
إذ هما من البنى النصية المحركة للدلالات .

في هذه القصيدة محل التحليل ،نجد أن معنى الأبيات قد كانت محل غموض لولا التوطئة التي وضعها الشاعر في رثاء الملك أبو عبد الله ، فعند القراءة الأولى للقصيدة دون توطئة سيشكل علينا فهما ،إذ نجده استعمل كلمة الملك فقط دون التصريح باسم الملك أبو عبد الله، لكن عند قراءتنا للقصيدة بتمعن وتأويل أبياتها والزمن الذي قيلت فيه، وتفكيك ما ورد فيها من مبهمات ، نجد أنها منسجمة ومشكلة كلا متلاحما، وبعد الاعتماد على التأويل والتفسير والتحليل ، فإننا نقول بأن القصيدة كتبت رثاء وتكريما للملك الراحل

¹ - البيت السادس والعشرون .

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

أبو عبد الله ، إذ أسقط عليه الشاعر صفات لم تكن إلا فيمن جمع الملك والعدل ،فهذه القصيدة مبينة على حادثة واقعية أثرت في الشاعر والمتلقي على آنذاك على حد سواء،والتأويل الحقيقي الذي أراده الشاعر واستنتجه المتلقي هو أنّ الملك إذا جمع هذه الصفات فإنه سيكون مخلدا يذكره كل من مر على سيرته .

2-3-3- المعرفة الخلفية :

يرى محمد مفتاح أن " أساس إنتاج أي نص هو معرفة صاحبه للعالم ،وهذه المعرفة هي ركيزة تأويل النص من قبل المتلقي أيضا " (1).
فعلى المتلقي أن يكون حاملا لرصيد معرفي يساعده في فك شفرات النص ،لأنّ النص الذي بين أيدينا كغيره من النصوص " تتحكم فيه المعرفة الخلفية سواء تعلق الأمر بالإنتاج أو بالتلقي ...، فالمعرفة الخلفية تسهم بشكل فعال في تفسير العلاقة المتوترة بين القارئ وبين النص ،وبالتالي تجعله يشعر بإمكان الفهم والتأويل" (2) ، والمتلقي لا يستقبل الخطاب دون معارف سابقة،وإنّما "يتلقاه وقد حصلت لديه جملة من المعارف هي التي سمّيت بالمعرفة الخلفية"(3).

¹ -محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ،استراتيجية التناص ، ص:123

² - محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص: 326

³ -محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج: 1، ص:175.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

وهذه المعرفة " التي نمتلكها كمستعملي لغة ما عن التفاعل الاجتماعي عن طريق اللغة ليست سوى جزء من معرفتنا الاجتماعية الثقافية العامة ، هذه المعلومات العامة عن العالم هي أساس فهمنا لا للخطاب فحسب بل ربما لكل جوانب خبراتنا الحياتية، وكما يلاحظ دي بوجراند أنّ مسألة كيفية معرفة الناس بما يجري داخل نص هي حالة خاصة من مسألة كيفية معرفية الناس بما يجري في العالم بأسره" (1).

عند قراءتنا للوهلة الأولى لمرثية الأندلس فإننا "لا نستطيع معرفة موضوعها ما لم نحددّ بعض مؤشرات العالم الذي نتصوره والذي يكون مدخلاً طبيعياً لها، غير أن استدعاء هذه المؤشرات يتطلب تنظيمًا للمعرفة في الذاكرة وتنشيطها بكيفية تخدم فهم النصوص" (2).

ولكي نبين مدى انتظام هذه المعرفة في الخطاب الشعري التراثي، سنبدأ بالبحث عن مفهوم الرثاء وبعض دلالاته، ثم ننتقل إلى عمليات الانسجام من خلال الأطر، والخطاطة، المدونات، ثم السيناريوهات.

2-7-1- موضوع القصيدة:

رثاء المدن جديد بالنسبة لعصر الشاعر، فالشعراء قبله كانوا يرثون الموتى من أقربائهم و شجعانهم، ولقد صورت القصيدة بصدق سقوط الأندلس، فالشاعر ذكر حال

¹ - براون ويول ، تحليل الخطاب ، ص: 279

² - نعمان بوقرة، لسانيات الخطاب ، ص: 288.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

الأندلس وبعدها بكى للحال الذي آلت إليه، ولعلّ هناك فرقا بين رثاء الأشخاص ورثاء المدن، فالأول يرثي الأشخاص الذين تسري فيهم الحياة والثاني يرثي البلدان أي الجماد.

والرثاء "لغة الموت ، وفن الحزن ، ومجال اليأس ، ومعرض الوفاء ، والحزن في الأصل عاطفة سلبية تحمل الإنسان على العكوف على النفس ، والتفكير في شأنها فهو انهزام أمام الكوارث ، ومدعاة للعظة والاعتبار" (1).

ولقد عدّ الشاعر في مرثيته المآسي التي حلت بالمسلمين بعد توالي سقوط مدنها وخلافتهم ، فقد كان هذا البلد مهد الحضارة والرقي ، لكن دوام الحال من المحال فكما قال الشاعر إنّ كل شيء إذا اكتمل سيؤول إلى الزوال أو النقصان ، وقد أجمع النقاد على أن القصيدة من أروع ما قيل في رثاء المدن ، لأنها صورت بصدق أحداث السقوط.

كما رسم الشاعر أبو البقاء صورا محزنة مبكية في قصيدته "مرثية الأندلس" إذ جعل دلالاته الأولى في المقام الأول ذلك المصاب الجلل الذي حلّ بالأندلسيين وعاشه الشاعر آنذاك وما يزال هذا الأم يعيش في نفوس المتلقين كلما تذكروا الهزائم النكراء التي ألحقت بهم جراء اقتتالهم وخصوماتهم فيما بينهم، وأراد الشاعر هنا اللعب على أوتار العواطف كما ذكر سابقا، للتأثير على المتلقين وتذكيرهم باستباحة مقدساتهم، لكنّ الرسالة الموجهة في القصيدة ليست للإنسان الأندلسي فقط، بل تحمل في طياتها رسائل مشفرة لكل

¹ - أحمد الشايب، الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، ط8، 1993،

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

إنسان وفي كل زمان ومكان ، لأنّ خطر الصليبيين مستمر وسيحل بهم ما حل بمن قبلهم إن ساروا على النهج نفسه ، وللرثاء هنا دلالات متعددة تتعدد بتعدد مفاهيم النصوص الشعرية حسب تلقيها وزمن تلقيها.

2-3-1- الأطر:

أحد أهم الطرائق التي تمثل المعرفة الخلفيّة، وهي عبارة عن جملة من " المفاتيح والأدوات الذهنيّة بها يكون الاهتداء إلى المعنى، وتوجّه التّأويل والفهم"⁽¹⁾ فهي "تنظيم للمعرفة ضمن مواضيع مثالية (prototypes) وأحداث قلبية (stereotypes) ملائمة لأوضاع خاصة، ومعنى هذا أن الذاكرة الإنسانية تحتوي على أنواع من المعارف المنظمة في شكل بنيات. وحينما يواجه الإنسان سلوكاً أو حدثاً أو يريد أن يقوم به أو يفعله فإنه يستمدّ من مخزون ذاكرته أحد أجزاء البنية لتأويل ما وقع أو لإنجاز ما يريد"⁽²⁾. فهذه الأطر تساعد على الفهم "حين يواجه شخص ما وضعية جديدة (...)" فإنه يختار من الذاكرة بنية تسمى إطاراً، وهو إطار متذكر للتكيف مع الواقع عن طريق تغيير التفاصيل حسب الضرورة"⁽³⁾.

¹ - الأزهر الزناد، النص والخطاب، ص 103.

² - محمد مفتاح، مجهول البيان ، ص 68.

³ - محمد خطابي، لسانيات النص، ص 63.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

فالقارئ لأي نص يكون في الغالب مستعجلاً لفهم النص وفك شفراته ، كما أن منتج النص يريد من المتلقي نفسه أن لا يغفل أي عنصر من عناصر القراءة ، فالقصيدة والتي هي عبارة عن تمثلات لوقائع مريرة عاشها الإنسان الأندلسي لحظة السقوط ، وعليه فإنها بمثابة جسر للتواصل بين المبدع وهو أبو البقاء الرندي وبين المتلقي وهو الإنسان في كل زمان ومكان مهما اختلف زمنه وجنسيته .

فالإطار العام للقصيدة هو رثاء سقوط مدن أندلسية ، هذا السقوط آلم الشاعر فبكى هذا السقوط ورثاه ، لأنه شاهد عظمة القوة التي كان يتمتع بها الأندلسيون لكن سرعان ما زالت لما غلبوا المصلحة الشخصية على المصلحة العامة ، ولكن هنا حق لنا أن نتساءل ؟ لم كان السقوط أليماً ؟ ولم كانت الهزيمة غير متوقعة ؟ وكيف عبر الشاعر عن هذا السقوط في هذه المقاطع ؟ ولنتساءل مرة أخرى ما هو الإطار الذي سينشط هذه المقاطع ؟.

إنّ الإجابة على هذه التساؤلات قد عددها الشاعر في ذكر أسباب السقوط ، لكن أيها سنختار ؟ هل هو تكالب الصليبيين على جمال الأندلس وخيراته ؟ أم هو تقاتل المسلمين فيما بينهم ؟ أم هو استعانة المسلمين بالصليبيين لتمكين ملكهم ؟ وهل سنختار تلك المشاهد التي يندى لها الجبين متمثلة في أسر الملوك وبيعهم في سوق مع المتاع ؟ أم هل سنختار تلك المشاهد التي صورها الشاعر متمثلة في الخسائر المادية والبشرية التي لحقت بالأندلس وشعبها ؟

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

ثم ننتقل إلى إطار الأرض التي فقدت وبذل المسلمون لأجلها كل شيء وأقاموا عليها حضارة دامت قرابة ثمانية قرون ، فالأندلس وأرضها قد ضمت آلافاً من القتلى والمغدورين ، لذلك وجب علينا أن نختار كل هذه المشاهد المتضافرة والمعبرة عن إطار عام مرتبط بما آلت إليه حياة الإنسان الأندلسي آنذاك، سياسياً واقتصادياً؛ اجتماعياً وثقافياً، وما قدموه من نفوس لا عدّ لها من الشهداء الأبرار، تحت وطأة الاحتلال الصليبي الغادر.

2-3-3-2-الخطابات:

يتفق الدّراسون على أنّ الخطابات عبارة عن "هياكل معرفيّة مركّبة من المستوى العالي، تمثّل مسرحاً للأفكار في عمليّة تنظيم التجربة وتأويلها"⁽¹⁾. لكن هناك من يملك وجهة نظر أخرى تتمثّل في " وظيفة حتميّة تعدّ الفرد مسبقاً لممارسة تجربته بشكل محدّد"⁽²⁾. وذلك عن طريق وضع قيود تحتمّ عليه طريقة معيّنة لتأويل الخطاب.

ويرى براون ويول أنّ "الخطابات تزوّد محلّ الخطاب بطريقة لتفسير وتأويل الخطاب، وهي بذلك وسيلة لتمثيل تلك المعرفة الخلفية التي نستعملها كلّنا، ونفترض أنّ الآخرين يستطيعون استعمالها أيضاً، حين ننتج أو نؤول الخطاب"⁽³⁾.

¹ - براون ويول، تحليل الخطاب، ص: 296.

² - المرجع نفسه، ص: 296.

³ - المرجع نفسه، ص: 69.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

وللخطاطات دور كبير في فهم الخطاب وتأويله، إذ يمكن لنا أن نشير إلى متغيرين اثنين لهما دور في عملية الفهم والتأويل، وهما:

- أ- **المتغير الثقافي:** "يستعمل بنيات التوقع لوصف تأثير الخطاطات في تفكير الناس وفي نوع الخطاب الذي ينتجونه"⁽¹⁾، وهذا يؤدي إلى تفرع مجموعة من الخطاطات الموجودة بشكل مسبق ضمن خلفية ثقافية يتمتع بها المؤول ومحلل الخطاب.
- ب- **المتغير الجنسي:** فـ"اختلاف الجنس الذي يترتب عنه اختلاف الاهتمامات"⁽²⁾، يقودنا حتماً إلى اختلاف الرؤى والتأويلات حسب جنس المتلقي، سواء أكان المؤول ذكراً أم أنثى.

ولعلنا نعتمد على مفاهيم التحليل المقامي التي أقرها فان دايك، محاولين في ذلك تسليط الأضواء على هذا النوع من التحليل، على المقاطع التي يدور موضوعها على الوقائع التي حدثت في الأندلس إبان الاحتلال الصليبي، فقد أصبحت الأندلس سجنًا كبيرًا لكل مسلم أو مقبرة لمن رفض التصير .

(1) - محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 68.

(2) - المرجع نفسه، ص: 68.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

والتحليل المقامي يكون حسب ما أقرّه فان دايك، كالتالي:

1- بنية الإطار:

أ- الموضع:

البيئة الأندلسية (المدن المذكورة في القصيدة تباعا)، وقد شنت الدول الأوربية حروبا كثيرة سميت بحروب الاسترداد أو حروب الاستعادة، وقد أدى سقوط صرح الأمة الأندلسية الديني والاجتماعي إلى غزو انتقامي همجي، وكانت مأساة المسلمين في الأندلس من أفظع مآسي التاريخ على الإطلاق ، إذ شهدت تلك الفترة أعمالاً وحشية ارتكبتها الصليبيون عن طريق محاكم التفتيش؛ لتطهير إسبانيا من آثار الإسلام والمسلمين، وإبادة تراثهم الذي ازدهر في هذه البلاد قرابة ثمانية قرون من الزمن.

ب- الوظائف:

- **المحتل الصليبي:** الملوك الصليبيين /الجندي (العلاج) /السجّان / .

ج-الأسير: الإنسان الأندلسي المسلم / الملوك...

د- الخصائص:

-**المحتل الصليبي** :من ملامحه الانتقام والظلم والبطش والكره لكل ما يمت

للإسلام بصلة .

و-العلاقات:

1-**الجندي:** سلطة العليج الأوربي كما أطلق عليه الشاعر(السجّان) سلطة على من هو تحت تصرّفه من السجناء، سواء أكانوا من الملوك أو من عامة الشعب.

2-**السجين المسلم الأندلسي:** الملوك ، رغم ما يكتسبون من سلطة مطلقة، إلا أنهم أسروا وقتلوا .

هـ-المراتب:

- **العليج الصليبي (السجان):** المتسلط على السجناء بحكم أنه محتل للبلاد ومنتقم من كل ما هو مسلم.

- **السجين المسلم الأندلسي (السجين):** الإنسان المغلوب على أمره الواقع أسيرا مسلوبا لحريته ولكرامته،

2-مواضع الإطار:

-العليج الصليبي متسلط داخل سجنه وخارجه بدعوى الانتقام والانتصار للعقيدة .

-سلوك الصليبيين مع السجناء سواء من الملوك أم مع عامة الشعب .

3-سير الأحداث في المقام:

الحدث الجامع: سقوط الأندلس وقتل آلاف المسلمين وأسر الملوك لإذلالهم ، فقد هاجر

المسلمون من الأندلس هروبا من بطش الصليبيين وانتقلوا إلى الشمال الإفريقي بعد سقوط

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

دولتهم؛ فراراً بدينهم وحريرتهم من اضطهاد النصارى الإسبان ، وعادت أسبانيا إلى دينها القديم، أما من بقي من المسلمين فقد أجبر على التنصر أو الرحيل، وانتهى هذا العرض بتنفيذ حكم الإعدام ضد المسلمين على أرض إسبانيا.

الأعمال السابقة: الحقد الذي يكنه الصليبيون للمسلمين أدى إلى التنكيل والتمثيل بجثثهم

وإعداد محاكم التفتيش في حقهم وقتلهم ورميهم في البحر أو طردهم خارج البلد.

تمثل هذه الخطاظة تأويل الرسائل المشفرة التي حملتها القصيدة إلى كل من كان سببا في هذا السقوط أو رضي به ، وأن الشاعر يحاول استنهاض الهمم ودفعها للانتقام لاستعادة المجد الضائع ، ويبعث في النفس الأمل بالنصر واستعادة ما ضاع.

2-3-3-3- المدونات:

يرتبط مفهوم المدونات بمتواليات الأحداث ، وفق مخطط تصوري قائم على بناء علاقة بين المواقف والسلوك ، إذ يضمّ هذا المخطط " تصوّرات أو دلالات تربط بينها علاقات تعرف بالعلاقات التبعية " (1).

فهذه الكلمات والألفاظ: (نقصان) ، (لا عزاء له) ، (سأته) ، (لاتبقي) ، (يمزق) ، (دار الزمان) ، (فجائع الدهر) ، (ارتزئت) ، (تبكي) ، (المصيبة) ، (يستغيث) ، (يذوب القلب) متجذّرة ومتشعبة عن معنى واحد وهو حقل دلالي دال على الحزن كما أنه يدل

(1) - براون ويول، تحليل الخطاب، ص: 289.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

على السقوط المشين الذي تعرضت له المدن الأندلسية، فلنتساءل : ما هي علاقة هذه المفردات بحقل الذلّ الذي لحق المسلمين آنذاك أو حقل السقوط، فالشاعر كغيره من أبناء وطنه تألم وحزن لفقدان وسقوط مملكة العز التي أقاموها على تراب الأندلس هروبا من بطش العباسيين .

ثم يتوجه الشاعر مخاطبا القارئ في كل زمان وفي كل مكان للبحث عن أسباب الهزيمة والسقوط، سائلا عن غياب المدن التي كانت منارة العز والعلم (أين بلنسية ، أين قرطبة ...) محذرا إياه من الفرقة والتقاطع الذي عصف بالمسلمين ففرق وحدتهم ، فلفظة كلمة (حزن) إذا ما قمنا بتفكيكها إلى حقل دلالي دال عليها نجد: دهي؛ لا عزاء له؛ مصيبة...، فهذا الإجراء ما أكده بروان ويول "بأن إحدى فوائده هي أنه يمثل جزءا من فهمنا للجملة غير ظاهر على الصفحة"⁽¹⁾. ممّا يحدث الربط بين الحزن/المصيبة/ تبكي ذات الحقل الدلالي الواحد الدال على الحزن والسقوط

(1) - محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 65.

2-3-4- السيناريوهات:

ويمكن للسيناريوهات أن تتمثل بأنها " مكونة من مسالك للانتقال من موقف إلى آخر، أو تبدو في مناسبات أخرى عائدة إلى حدث سابق. وتبدأ السيناريوهات بحالة استهلالية ثم تتقدم إلى الحالة النهائية من خلال توالي حالات متوسطة، إذ تكون الحالات محددة من وجهة نظر المبدع واضع (الخطة) السيناريوهات، وتعدّ الخطة ناجحة إذا انسجمت الحالة النهائية مع حالة الغرض التي يرمي إليه واضع الخطة. وهكذا يكون الغرض موفّقاً يتوقع له أن يتحقق في الواقع عندما يتمّ تعديل الحالة الحاضرة لهذا الواقع بواسطة الأعمال والأحداث المطلوبة " (1) ، وللوقوف على سيناريو الألفاظ والتراكيب (لا عزاء له ، لمثل هذا يذوب القلب من كمد ، تبكي ، فجائع ، الحوادث ، خالية ، المصيبة ، يستغيث ، ذلة ، بكاهم ، أسير ...) ،-التي تنتمي إلى حقل دلالي يشير إلى فضاة القتل و وبشاعة التكيل وجرم الانتقام وشدة الحقد الذي يحمله الصليبيون تجاه المسلمين ،كما تحمل دلالة على استنهاض الهمم لدفعها على الأخذ بالتأثر على كلّ من اقترف هذه العملية البشعة في حقّ الإنسان الأندلسي آنذاك -، فإنّه يتحتّم علينا أن نقف على بعض الإجراءات التي تُمدّنا بمعنى لنظرية السيناريو (المخطّط الذهني) القائمة على عامل الإخبار، فقد وصف الشاعر لنا حادثة سقوط المدن الأندلسية وضخّ آثارها وأحداثها

¹ - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 381.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

للتأثير على المتلقي واستمالته ودفعه لأخذ موقف سلبي تجاه المحتل الصليبي، وفي الخطاب الموجه للملوك الأندلسيين الذين كانوا سببا في هذا السقوط إذ يقول :

ماذا التقاطع في الإسلام بينكم وأنتم يا عباد الله إخوان⁽¹⁾

وهذا الخطاب رغم وجوده مرة واحدة إلا أن رائحته تنتشر في باقي المقاطع، وبذلك سيخصّص بشكل آليّ حيّزاً ضمن الصورة الذهنية لدى المتلقي، فيما يخصّ إجراميّة المحتل الصليبي ووحشيّته التي أفسدت إنسانيّته ولطخت تاريخه وفضحت جرائمه، فقد كان مصير مسلمي الأندلس آنذاك بعد فقد دولتهم وزوال مملكتهم من أشد وأفظع ما تعرضت له الأمم المغلوبة والمهزومة .

إنّ المتأمل في التاريخ الأندلسي يجد بأن حقد الصليبيين فاق كل الحدود ، فقد استعمل جل الوسائل لترهيب المسلمين آنذاك ،فانتشرت محاكم التفتيش والقتل المقنن والحرب على العقيدة والهوية ، وتنوعت أساليب القتل وإجبار الإنسان المسلم على مغادرة أرضه التي تعب في إعدادها ووطنه الذي أفنى حياته في بنائه، كل هذا تحت غطاء الحروب الدينية التي أعلنتها الدول الأوروبية آنذاك ولكنها بقيت دائماً تحت هدف واحد ورئيس، وهو اقتلاع ذلك الشعب المسلم المغلوب على أمره من جذوره ودياره.

من خلال ما سبق نستنتج أنّ الأطر والمدونات والسيناريوهات والخطاطات عبارة عن معارف سابقة مخترنة في الذاكرة، تثار عند الضرورة، فالمتلقي/القارئ يعتمد

¹ - البيت الخمسون.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

على المعارف الخلفية والتصورات الذهنية في إنتاج مواقف جديدة ، أو لفك شفرة أو رمز مما يقرأه ، كما أن تلك المعرفة الخلفية تساعد على بناء الأطر ، فتزداد المعارف المعلومات وترتب حسب أهميتها ، فالمتلقي /القارئ يواجه خطابا ما انطلاقا من معارف سابقة ،أوجدتها قراءته لنصوص أو تجارب بغية إعادة إنتاجها ، وهذه النظريات تشترك جميعها " في أنها تعير أقصى اهتمام للمعرفة الخلفية في عمليتي إنتاج الخطاب وتلقيه ، ومعنى هذا أن الذاكرة تقوم بدور كبير في العمليتين معا ، ولكنها لا تستدعي الأحداث والتجارب السابقة كلها في تراكم وتتابع ، وإنما تعيد بناءها وتنظيمها ، وإبراز بعض العناصر وإخفاء أخرى تبعا لمقصدية المنتج و المتلقي " (1) .

¹ - محمد مفتاح ، استراتيجية التناص ، ص: 124

2-3-4- البنية الكلية / موضوع الخطاب :

من الشائع أنّ لكل خطاب موضوع محدد ، إذ يرى فان ديك أنّ لكل خطاب بنية كلية ترتبط بها أجزاء الخطاب ، ويُقصد بالبنية الكلية أن يكون للخطاب موضوع يتمحور حول النص، تجمعه علاقات دلالية تحيل عليه بالاعتماد على أدوات متعدّدة، وأنّ "القارئ يصل إلى هذه البنية الكلية عبر عمليات متنوعة تشترك كلها في سمة الاختزال، على أن البنية الكلية ليست شيئاً معطى، حتى وإن كانت هناك بنيات متنوعة أو مؤشرات على وجود هذه البنية، وإنّما هي مفهوم مجرد (حدسي) به تتجلى كلية الخطاب ووحدته"⁽¹⁾ .

فالبنية الكلية هي الفكرة الرئيسة التي تمحور حولها النص ، وهي قضية من القضايا المتعلقة بأجزاء الخطاب ، وهنا يأتي دور المبدع الذي يحاول إيصال الفكرة أو الموضوع للمتلقي سواء أكان قارئاً أم سامعاً أم متلقياً في أي زمن ، فهي القضية هي التي تشكل المعنى ، لذلك نجد كثيراً من اللسانيين لا يفرقون بين البنية الكلية وموضوع الخطاب ، وهذا ما أكده فان دايك بقوله " إن موضوع الخطاب أو جزء من الخطاب المعطى أعلاه متطابق مع وصف البنيات الكلية ، أي أن بنية كلية ما لمتتالية من الجمل هي تمثيل دلالي من نوع ما بمعنى أن كلا من موضوع الخطاب والبنية الكلية تمثيل دلالي إما لقضية ما أو لمجموعة من القضايا أو لخطاب بأكمله" ⁽²⁾ .

¹ - محمد خطابي، لسانيات النص ، ص: 46.

² - المرجع نفسه ، ص: 44

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

لكن هناك من فرق بين المصطلحين من خلال العمليات التي يتوصل بها لكل منهما فالبنية الكلية "يتوصل إليها عن طريق عمليات أساسها الحذف والاختزال إذ يتم فيها حذف الموضوعات الثانوية ودمج أخرى في عموميات ، أما عمليات موضوع الخطاب فيستخلص من خلال مسح للجمل التي تخص هذا الموضوع في النص موضوع الدراسة" (1) .

غير أن المتفق عليه بأن كلاً منهما يكمل الآخر ويحمل المعنى نفسه ، "بمعنى أن كلاً من موضوع الخطاب والبنية الكلية تمثيل دلالي إما لقضية ما ، أو لمجموعة من القضايا ، أو لخطاب بأكمله" (2) ، وهذا ما ذهب إليه أغلب اللسانيين في حديثهم عن موضوع الخطاب ، فـ " الفكرة الأساسية أو الرئيسية في النص ، التي تتضمن معلومة المحتوى الهامة المحددة للبناء في كامل النص بشكل مركز ومجرد" (3) .

فالمتكلم "عند تشكيل النص من موضوع يكون قاعدة لبرمجة النصوص ، بمعنى توسع موضوع النص ، وعند عملية تلقي النص لدى السامع يشكل موضوع النص مرة أخرى نتيجة عملية الفهم ، لأن سامع النص لا يفهم فعلاً إلا عندما يفهم بشكل كامل علاوة على المعلومات المفردة المتعددة موضوع النص على وجه الخصوص" (4) .

¹ - خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير ، ط1، عمان ، الأردن ، 2009، ص: 225-226

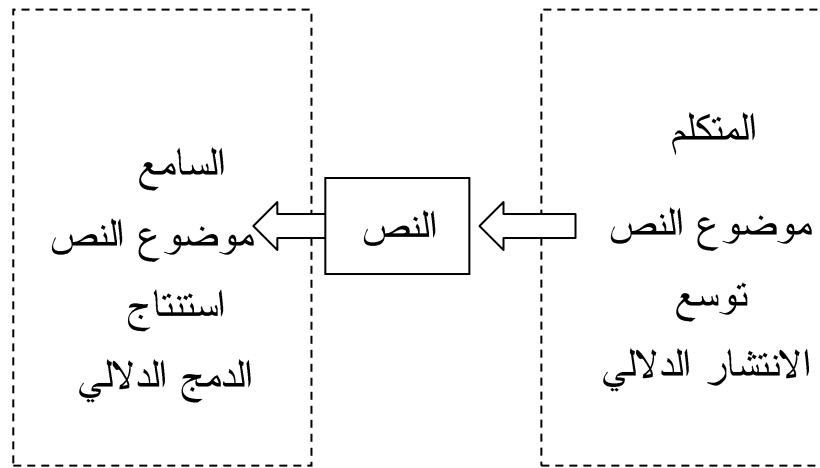
² - محمد خطابي، لسانيات النص ، ص: 44.

³ - فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر ، مدخل إلى علم اللغة النصي ، ص: 50.

⁴ - المرجع نفسه ، ص: 50

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

فمنشئ النص ينطلق من فكرة يجعلها موضوعه فتكوّن البنية الكبرى ، ومن ثم يعمل على توسيعها وهنا تتدخل البنيات الصغرى لأجل توسيع الموضوع ، ويأتي بعدها دور السامع والمتلقي ليستنتج الفكرة الكلية للنص ، وقد بين هذه العلاقة كل من جولكوفسكي Zolkovskij و سيشيكوف Scéglov في مخططهما لتوسيع موضوع النص واستنتاجه (1) :



يوضح هذا الشكل فرضية جولكوفسكي Zolkovskij و سيشيكوف Scéglov

التي يمكن تعريف النص بناء عليها عبر المعادلة التالية :

النص : موضوع النص +توسع موضوع النص

¹ - فولفجانج هاينه من وديتر فيهفجر ، مدخل إلى علم اللغة النصي ، ص:51.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

ومن الأدوات المستخدمة من طرف المتلقي في تحديد البنية الكلية وتحليل العمليات التي يسلكها من أجل إعادة بناء البنية الكلية ، هي ما يتم استخلاصه من مضمون البنيات الصغرى من خلال العمليات التي حددها فان دايك ، الذي افترض "أن القواعد الكبرى للدلالة النصية موجودة في نموذج سيكولوجي للعملية أيضا"⁽¹⁾، مما يلزم المتلقي بأن يسلك عمليا لتحديد وبناء البنية الكلية / موضوع الخطاب وهي على النحو التالي :

1- عملية الحذف: وتحتوي هذه العملية على قاعدة مفادها عدم إمكانية حذف قاعدة

تتدرج أو تفترضها قضية تتبعها ،وتعد هذه العملية "كقاعدة تضمن الإنشاء الدلالي الجيد للبنية الكلية"⁽²⁾ فحذف كل " قضية من القضايا التي يفترض أنها لم تعد مهمة لتفسير القضية التالية" ⁽³⁾ 'يستوجب "كلّ المعلومات العرضية قابلة للحذف دون أن يخلف ذلك أثراً دلاليّاً في البنية الكلية إلاّ أنها غير قابلة للاسترجاع" ⁽⁴⁾

وظف الشاعر مفعولا مطلقا لتوضيح معنيين :الأولى تدل على شدة الحزن وألمه(قطعا) والثانية تذكر الأيام التي قضاها مع زوجته كلما زار قبرها ، ففي هذه الحالة نستطيع أن نحذف المفعول المطلق (قطعا) ، لأنه لا يفرض معلومة لاحقة، وذكره عندئذٍ يعدّ في هذا النص ذكرا عرضياً قابل للتغيير ، في قوله :

¹- فان دايك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ص: 291.

²- محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 44.

³- فان دايك، المرجع السابق، ص: 291.

⁴- محمد خطابي، المرجع السابق، ص: 45.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

سل الدموع التي نسقي ثراك بها عن القلوب التي تقطعت قطعا (1)

فهذه القطعة من النص عبارة عن قضايا تتابع تتابعا منتظما تتربط عن طريق العلاقات المتجدرة داخل النص ، فالبنية الكلية تجريدية هنا " غير ملموسة بشكل مباشر من النص ، بل تحتاج إلى قراءة فاحصة لمضامين النص " (2) ، فحذف المعلومات والقضايا غير الضرورية ، كونها لا تشكل جزءا من النص فحذفها من البنية الكبرى لا يؤثر بل أحيانا يكون واجبا، فالبنية الكبرى ترتبط ارتباطا وثيقا بموضوع النص.

ومن القضايا التي نستطيع حذفها في النص ما يقع داخل المكون الفعليّ ، أي حذف اسم من داخل النصّ، كحذف الحال في القصيدة دون أن يتغير المعنى ما يلي :

يا زهرة للعلا لما انتمت قطفت كالنجم غاب سريعا بعدما طلعا (3)

و يسمى نحويا بالحذف الجائز، فيجوز حذف الحال ويقدره السامع / المتلقي ولايحذف الحال الفضلى إذا وجدت قرينة مانعة من أن يحدث اللبس في التركيب ، وما كان الحذف إلا اختصارا للكلام ،وما كان الحذف لو لم يوجد دليل يدل على هذا الحذف.

- **عملية حذف المعلومات المكونة لإطار أو مفهوم ما:** فهناك بعض القضايا عبارة عن

جمل جاز لنا حذفها إذا دل عليها ،فقول الشاعر :

¹ - الديوان ،ص: 170 ، البيت الثالث.

² - حسن بحيري ، علم النص المفاهيم والاتجاهات ، ص: 112

³ - الديوان ،ص: 157 ، البيت الثاني.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

لا تحسب الصبر سلوانا وتعزية فلا سلو لمن في قلبه فجعا⁽¹⁾

وكيف ينساک صبر لو يمتعه في وجهك العيش طول الدهر ما قنعا

نجد أنّ المعلومات التي استخدمها الشاعر في الإخبار عن ألم الفراق، (سلوانا وتعزية) و(وكيف ينساک صبر)، يمكن لنا أن نحذف البيت الثاني كاملاً، لأنّ القضية متضمنة في إطار العبارة الأولى ، في بداية الصدر(ألا تحسب الصبر)، كما يمكننا أن نسترجعها لأنها جزء من المعنى.

2-عملية التعميم:

في هذه العملية نقوم بحذف معلومات رغم كونها أساسية ،وتحل محلها قضية دلالية شاملة، إذ توصف هذه العملية بالإحلال والاستبدال ،ففي هذه العملية تبنى فيها مجموعة من القضايا الصغرى لتشكل لنا بنية كبرى ،وعملية تطبيق هذه القاعدة " نسبي بين مستخدمي اللغة تبعاً لعوامل كثيرة ، مثل الاهتمام والمعرفة والرغبات والأهداف وما شابه ذلك ، حيث يمكن أن يبني قراء مختلفون تفسيرات كبرى لنص ما ،ومن البديهي أيضاً أنه يوجد اتفاق " (2) .

¹ - الديوان ،ص: 170 ، البيت الثامن والتاسع.

² - عزة شبل ، علم لغة النص بين النظرية والتطبيق ، ص: 197

فقول الشاعر :

يا فرقة الموت ما أبقيت لي طمعا كأننا لم نبت قبل الفراق معاً⁽¹⁾

حيث نستطيع أن نحذف معلومات أساسية من المقدمة دون أن يخل ذلك بالمعنى الذي أراده الشاعر في رثاء زوجته مع أن القصيدة بعنوان² في (رثاء النساء) ، ونبقي على عبارة تحل محلها (الاستبدال) مع نهاية فعجز البيت يستبدل أو يحذف تقريباً لأن الشاعر يتحدث عن زوجته لا عن امرأة أخرى ، ولا يستطيع أن يصرح بأنه قد بات مع امرأة غير زوجته، ويمكن أن تعمّم في التساؤل حول الحياة الهنيئة التي عاشها الشاعر مع زوجته.

والمتلقي إذا أمعن النظر في القضايا المتعددة فإنه يسلم بوجود فرضية تتبلور حول "وجود رابطة محدّدة بين (موضوع الخطاب) و(محتوى الخطاب)، فموضوع الخطاب يعتبر إلى حدّ ما شاملاً للعناصر المهمة الموجودة في محتوى الخطاب. ولو أمكن عرض عملية تصوير محتوى الخطاب في شكل سلّم هرمي للعناصر الموجودة في الخطاب لاعتبرنا العناصر الواقعة أعلى السلّم مرشحة تلقائياً لأن تكون المكونات الأكثر أهمية في موضوع الخطاب. ولو أمكن إثبات قدرة الناس على تذكّر هذه العناصر العليا

¹ - الديوان ،ص: 157 ، البيت الثاني.

² - العنوان ليس اختيار الشاعر إنما عنوان القصيدة ومما قلت في الباب ، لأنه قبل هذا كان يتحدث عن الرثاء ، ينظر

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

في السّلم أكثر من غيرها فإن ذلك قد يكون دليلا على أن ما نحمله في رؤوسنا بعد قراءة النص هي تلك العناصر التي تمثل موضوع الخطاب⁽¹⁾.

3-الاختيار:

وفي هذه العملية يمكن لنا أن نحذف ما نراه مناسبا للحذف دون إخلال بالمعنى،

فالقضايا المتتابة مثلا :

- يا فرقة الموت

- غاب سريعا

- من قلب قريح لا عزاء له

- نبكي على عهدك...

كل هذه القضايا باستطاعتنا حذف المعلومات منها ،والممكن استرجاعها في جزء معين من أجزاء النص المتبقية، ذلك أنها متعلقة بما يمكن لنا أن نصف القضايا في هذا الحدث الأليم الذي هو فراق الزوجة بشكل عام، فالاختيار هنا أن نحذف بعضا من المعلومات التي يمكن لنا الاستغناء عنها وإبقاء بعضها الآخر مع مراعاة وضوح العلاقة بين المحذوف والمتروك ، فنختار القضية الموجودة في قول الشاعر :

لهفي لفقدك آفا مكررة لو أن لهفي إذا كرّره نفعا (2)

¹- براون ويول، تحليل الخطاب، ص: 125.

²- الديوان ،ص: 157 ، البيت الثاني.

فقول الشاعر " لهفي لفقدك آلافا مكررة " للدلالة على القضايا الأخرى، طبقا لشروط القول نجدهما فرضيات مكملة لقول غير محذوف وهو القضية الأخيرة، لأن الاشتياق والحنين واللهف لا يكون إلا لمن فقد وكان عزيزا، فالاختيار هو حذف محدد من المعلومات التي تشكل العالم المعرفي للنص.

4- الإدماج:

هذه العملية لا وجود فيها للاختيار أو الحذف إنما هو دمع للمعلومات والقضايا، التي يستدل على وجودها عقليا، فالقضية المستحدثة تترتبط ارتباطا بوثيقا بالقضايا التي تفرعت عنها، فقول الشاعر :

لا تحسب الصبر

وكيف ينسأك صبر

فلا سلو

تذوب من كمد

فيمكن لنا دمج هذه القضايا تحت قضية واحدة، تكون جديدة (لاشيء يصبرني على فقدك)، لأن ألم الفراق لا يطفئ ناره إلا الصبر، ومعنى هذا أن عدم القدرة على التحمل والصبر لفراق الزوجة إنما هو بسبب الحب الشديد الذي أبداه الشاعر لزوجته وليس ضروريا أن يذكر عبارات الحب الرنانة للدلالة على تألمه وحزنه لفقد زوجته، وإنما

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

عن طريق استنتاجنا لهذه القضايا الدالة على ذلك، وهذه العملية عبارة عن اختزال للقضايا غير المهمة في بناء النص .

نخلص مما سبق أنّ قصيدة أبي البقاء الرندي في رثاء زوجته تشكل بنية كلية مترابطة الأجزاء كلّ عنصر منها هو جزء لا يتجزأ من نص متلاحم الأجزاء مسبوك البنى، فهذه العلاقات جعلت منه كلا متكاملا ، فتسلسل القضايا الصغرى ينطلق من دلالة واحدة تتعلق بحزن الشاعر ومكابدته الآلام والأحزان لفراق زوجته الذي هو موضوع النص، ومفهوم الموضوع (موضوع الخطاب) " مفهوم جذاب إذ يبدو أنّه المبدأ المركزي المنظم لقسم كبير من الخطاب يمكن أن يجعل المحلل قادرا على تفسير ما يلي :لماذا ينبغي أن نعتبر الجمل أو الأقوال متآخذا كمجموعة من صنف ما منفصل عن مجموع آخر، يمكن أن يقدم أيضا وسيلة لتمييز الأجزاء الخطابية الجيدة، المنسجمة... من تلك التي تعد حدسيا، جملا متجاوزة غير منسجمة" (1) .

¹ - محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 277.

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

من خلال ماسبق، يمكننا أن نؤكد على أن أصول الانسجام النصي ليست وليدة العصر الحديث، بل إن جذورها ممتدة منذ الدراسات العربية القديمة، لكن الجديد هو تقديمها في هذه الحلة، بيد أن العرب استخدموا مثل هذه المصطلحات بكثرة لكن بمسميات مغايرة، ومنها ما كان بنفس الاسم، غير أنهم افتقروا للمنهج العلمي الذي يؤسس لمثل هذه الدراسات، وكانت لديهم رؤية مبكرة في البحث اللغوي، فكانت الدراسات مبنوثة في أمات الكتب العربية، ولم تفرد لها المؤلفات الخاصة، شأنها شأن باقي العلوم التي كان للعرب السبق فيها، ثم كان لمن جاء بعدهم من اللسانيين الغربيين أن يستثمروا هذه النظريات ويطورها ؛ فكانت دراساتهم امتدادا لما قال به العرب في أغلب الأحيان.

وبحثنا هذا يهدف إلى الكشف عن إرهاصات البحث النصي في التراث العربي من خلال الحفريات في التراث، خاصة وأن لسانيات التراث، مليئة بأفكار ونظريات لغوية صالحة لأن تستثمر كآليات للتحليل، كقضايا الجملة، وقضايا النص والخطاب وإشكالية الخلط بينهما ، الاتساق والانسجام ، المناسبة ، القصديّة والسّياق وغيرها من المباحث التي اهتم اللّسانيون الغربيون بدراستها اعتمادا على جهود العرب القدامى، كل هذا محاولة منّا لإعادة قراءة التراث العربي لكشف مكنوناته ،ولا يمكن الحديث عن لسانيات النص في التراث العربي النقدي أو البلاغي دون الحديث عن بعض الآراء التي أسهمت بشكل كبير في بناء هذا العلم الغربي الحديث تقعيّا وتأصيلا، وهنا يجب أن نتساءل : هل

الجانب التطبيقي ————— الآليات النصية والتداولية في ديوان أبي البقاء الرندي

يمكن الجزم بأنّ اللسانيات النصية الغربية ما هي إلا امتداد لجهود العرب القدامى ؟ كيف يمكن استثمار تلك الجهود لتأسيس لسانيات نصية عربية ؟

بعد التطور الذي شهدته اللسانيات توسعت الدراسات اللغوية، ووجب على الدارسين الانتقال من دراسة الجملة إلى دراسة أشمل وأعمّ تتمثل في دراسة النصوص بوصفها أكبر وحدة قابلة للتحليل، فتخطى بذلك حدود الجملة إلى محيط النص باعتبارها وحدة لغوية كبرى، وذلك عن طريق تقديم آليات نصية قادرة على إبراز لتمامك النصي، وبمحاولة منا تطبيق هذه الآليات على النص الذي بين أيدينا، فالبحث عن هذه الآليات التي تحقق التماسك النصي في الشعر العربي التراثي يعد من المهام الصعبة وأحياناً أخرى مغامرة يجب التريث عند خوض غمارها، لذلك يحتاج البحث في هذا المجال إلى صبر ودقة .

وقضية التماسك النصي من القضايا التي اهتم بها علم اللغة النصي، بوصفها الشرط الرئيس لكون الكلام نصاً، فيها نفرق بين النصّ و اللانصّ.

فالجانب النظري في علم اللغة النصي ، درس بكثرة واختلاف حوله، لأنّ حد النصّ مختلف حوله ومكوناته غير متفق عليها، لذا وجب على الباحثين أن يولوا اهتمامهم بالجانب اللغوي لهذا العلم الجديد .

خاتمة

خاتمة:

يهدفُ البحثُ إلى الكشف عن وسائل الانسجام النصّي، للوصول إلى القواعد النصّية التي تستند عليها قواعد الانسجام، وفي خاتمة بحثنا وجب علينا أن نؤكد أن تماسك النص علم قديم في أصوله جديد في طرحه، وهو امتداد طبيعي لعلم النحو. إذ كان اللغويون العرب قديما على علم بكثير من أصوله.

و من خلال تتبعنا لآليات الانسجام التي توافرت في الديوان تمكنا من استخلاص النتائج التالية :

1- أثبتت الدراسة أهمية علم اللغة النصي في تحليل النصوص ، فالديوان الذي بين أيدينا لأبي البقاء الرندي، لم يشكل لنا نصا متلاحم الأجزاء، كون الآليات المحققة للانسجام غير متوفرة في جميع النصوص، رغم أن العامل الأول في انسجام النص هو المتلقي الذي يحكم بانسجام النصوص ، يليه منتجه الشاعر أبو البقاء الرندي الذي تميّز ببراعة أدبية لا مثيل لها، فالمنتج أيضا من يصنع النص ويصنع تماسكه و انسجامه ، فالنصوص فيه بعيدة عن التأويلات والتفسيرات وهذا ما يجعل المتلقي يدرك معناه ، وهذا يقلل من دور المتلقي في تشكيل النصوص .

2- لم تقتصر الدراسات اللغوية على الجملة فحسب بل تجاوزته لتدرس النص ككل متكامل، مما دفع الكثير من اللسانيين إلى تحقيق هدف جديد يتجاوز حدود الجملة إلى دراسة قواعد إنتاج وتشكيل النصوص.

3- بعد تتبعنا لتعريفات النص الكثيرة ، التي تنوّعت بتنوّع التخصصات العلمية، والاتجاهات والمدارس المختلفة، وجدنا بأنه لا يمكن أن نفاضل بينها، إذ هي بمثابة سلسلة تكمل بعضها بعضا، حتى ظن بعض الباحثين أن التعريفات تناقض بعضها بعضا ، وهذا مما لا يصح القول به ، كون معظم التعريفات تسير نحو التكامل ، ولعل السبب الرئيس في اختلاف الباحثين في تقديم تعريف موحد للنص هو اتساع النص ذاته ، فبالرغم من تباين تعريفات النص إلا أنها تشترك في معظمها في خاصية الترابط والتماسك.

4- إن ديوان أبي البقاء الرندي ليس نصا واحدا بل هو مجموعة نصوص لأغراض مختلفة ، نظمت في فترات زمنية مختلفة ، وقد جمعتها الباحثة المغربية بناء على ما نسب إلى الشاعر في الكتب التي تناولت الأدب الأندلسي وجمعت عشوائيا بمعنى أنها لم ترتب زمنيا ولا موضوعاتيا لذلك لا يمكن الحكم على انسجام الديوان.

5 - وجوب قراءة النصوص التراثية ضمن سياقها الذي قيلت فيه، دون إهمال البيئة والظروف الاجتماعية بل وحتى السياسية منها التي احتضنت زمن النص.

6- أدوات الانسجام تظهر أهميتها بدرجات متفاوتة ، فالعلاقات الدلالية أهم الآليات التي تساهم في انسجام النص كونها أكثر الآليات توظيفا واستعمالا ، لأنها لا تختص بالنص ذاته بل تتعداه لتشمل النصوص الخارجية .

7- النصّ الذي بين أيدينا يمثل وحدة دلاليّة تمثلها مجموع آليات الانسجام التي حاولنا تبينها وإبرازها في النصّ؛ فلكلّ آلية دور في تحقيق الانسجام بين وحدات النصّ، وهذه الآليات هي التي جعلت من النص نصّا مترابطا.

8- من الضروري عند محاولتنا لإعادة قراءة التراث العربي أن نقرأه بوسائل جديدة مستمدة من التراث، لأننا بذلك سنحصل على نصوص جديدة مكسوة بروح قديمة.

9- التحليل اللساني النصي لا يكتفي بدراسة النصوص دراسة بنيوية ، بل إن الأمر يتعدى ذلك، ليشمل الجوانب الدلالية والتداولية التي تضبط مقاصد المتكلم ، وقدرة المتلقي على خلق نصوص جديدة .

10- قراءة التراث قراءات معمقة، والاعتماد على المصادر الأصلية دون وسائط.

11- إن آليات الانسجام المتوفرة نسب متفاوتة داخل القصيدة الواحدة لكنها لم تساعد على انسجام الديوان كنص ، فقد ظل يفتقر إلى كثير من الآليات ، فهناك قصائد لا تتوفر فيها آليات الانسجام إضافة إلى وجود بياض في كثر من القصائد مما يصعب فهم النصوص¹ وعدم إدراك معناها، وقد أحدث هذا الفراغ شرخا في النصوص.

¹ - ينظر مثلا الملحق رقم 5

12-ورود أبيات كثيرة مستقلة وفي الغالب تكون من بيت أو بيتين،وهنا لا نستطيع الحكم على انسجامها لغياب آليات الانسجام¹، وهذا الغياب أثر سلبا على النصوص التي تعتمد فيه أجزاء النص على بعضها البعض لتجعل من الديوان نصا منسجما .

13- إن تحقق النصية، يعتمد على عناصر لغوية وأخرى غير لغوية تسهم في اتساق النص .

14- سيطرت العلاقات الدلالية على كثير من النصوص ، وتجلت بصورة واضحة في استعمال التكرار والترادف .

15-أبانت بعض النصوص على الحقبة الزمنية التي شهدتها الأندلس، وما لحق بالمسلمين من تقتيل وتكيل وتشريد،وهذا أثر سلبا على الشاعر والمشاعر، فكانت عاطفته مليئة بالحزن والأسى .

16-إن إسقاط بعض الآليات الغربية الحديثة للانسجام على القصائد التراثية تتعارض أحيانا وخصوصيات القصيدة العربية التراثية مما صعب علينا عملية تطبيقها على بعض القصائد.

¹ - ينظر مثلا الملحق رقم 3 و4

17- من الضروري أن نؤصل لتحليل لساني يتماشى وخصوصيات الشعر العربي القديم ،دون الاكتفاء والاعتماد على مصادر البحث اللساني الغربي ، لأن النصوص العربية ميدان خصب للبحث اللساني .

ومن التوصيات التي نوصي بها من خلال بحثنا هذا :

1- نقترح دمج بعض الآليات لما لها من تداخل كالتدرج والانتقال من المجمل إلى المفصل والعموم والخصوص والتي اختلف حولها الكثير من اللسانيين ووضعها تحت اسم واحد كونها جميعا تنطلق من العنوان.

2- إعادة قراءة التراث العربي لكشف مكنوناته واستثمار تلك الجهود لتأسيس لسانيات نصية عربية.

3- لسانيات التراث ، مليئة بأفكار ونظريات لغوية صالحة لأن تستثمر كآليات للتحليل، كقضايا الجملة، وقضايا النص والخطاب.

وختاما ، فهذا جهد المقل، فإن بلغ غايته من الصّواب فبتوفيق من الله عز وجل ، وإن أخطأنا فمن أنفسنا ، ونحن لا ندعي بأننا قد قمنا بالإحاطة بالموضوع إحاطة شاملة ، فيبقى يعتريه النقص ، فقد حاولنا قد الإمكان التركيز على أهم الآليات التي تساهم في تشكيل النصوص وانسجامها ، ولعلنا نكون قد قدّمنا ما يُساعد الباحثين على توسيع البحث في مجال علم اللُّغة النصّي.

ملحق

وقال أيضاً رحمه الله يمدح أحمد بن هشام^(١) الذي كان قائداً برندة: [الوافر]

- ١- إِيَابُ مِثْلُ مَا عَادَ الشُّبَابُ
 - ٢- وَمَا هُوَ غَيْرُ يَوْمٍ مُنَى وَيُؤْمَنُ
 - ٣- هَنِيئاً لِلْمَكَارِمِ وَالْمَعَالِي
 - ٤- هُمَامٌ مِنْ سَرَاقَةِ بَنِي هِشَامٍ
 - ٥- مِنْ الْقَوْمِ الْأُلَى^(٢) نُصِرُوا وَأَوُوا
 - ٦- بُدُورُ مَحَاسِنٍ وَلُيُوثُ بَأْسٍ
 - ٧- دُرُوعُهُمْ قُلُوبُهُمْ وَأَوْفَى
 - ٨- إِذَا جَادُوا أَجَادُوا مَا أَرَادُوا
 - ٩- أَقَائِدُ كُلِّ مَكْرُمَةٍ هَنِيئاً
 - ١٠- وَإِنْ فُتَّتِ الْكِرَامُ أَباً وَخَالاً
 - ١١- وَإِنْ رَاعَتْ مَحَاسِنُكَ الْقَوَافِي^(٣)
 - ١٢- وَإِنْ أَلَمَعْتَ مِنْ كُلِّ بَعْضٍ
 - ١٣- بَعِثْ شِكْ صِفْ مَقَاماً غَالِبِيّاً
 - ١٤- وَقُلْ بِإِلَهِ كَيْفَ تَرَكْتَ مَوْلَى
 - ١٥- وَحَدَّثَ عَنْ عُلَاهُ وَلَوْ قَلِيلاً
- وَأَمَالٌ كَمَا جُمِعَ الْحِسَابُ
فَمَا يُدْرَى أَعْيِدُ أَمْ إِيَابُ
بِأَكْرَمٍ مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ يُهَابُ
هُمْ ثَمَرُ الْعُلَا وَهُوَ اللَّبَابُ
مَتَى يُدْعُوا لِمَكْرُمَةٍ أَجَابُوا
وَأَبْحُرُ أَنْعَمَ لَكِنْ عَذَابُ
حُصُونَهُمُ الْمُسَوِّمَةُ الْعِرَابُ
وَإِنْ قَالُوا وَإِنْ فَعَلُوا أَصَابُوا
لَكَ السُّفْرُ الْمَبَارَكُ وَالْإِيَابُ
فَفِي طَرْفَيْكَ لِلْمَجْدِ انْتِسَابُ
فَمَرْهُوبٌ مِنَ الْبَحْرِ الْعُبَابُ
فَقَدْ يَكْفِي مِنَ السَّيْفِ الذُّبَابُ
دَنُوتٌ بِهِ وَقَدْ رُفِعَ الْحِجَابُ
لِنُعْمَاهُ عَلَى الدُّنْيَا انْسِكَابُ
فَأَخْبَارُ الْأَحِبَّةِ تُسْتَطَابُ

• التخريج: المنظوم والمنثور ورقة ٥٢ ظ ٥٣ و.

١ - هو أبو جعفر أحمد بن هشام، كان قائداً برندة. من بيت بني هشام، وفيهم يقول الرندي:

هُمَامٌ مِنْ سَرَاقَةِ بَنِي هِشَامٍ هُمْ ثَمَرُ الْعُلَا وَهُوَ اللَّبَابُ

وقال أيضاً يمدحه:

ذُؤَابَةُ الْمَجْدِ مِنْ هِشَامٍ وَالنَّصْرُ أَكْرَمُ بِهِ نِجَارًا

إِيَهُ أَبَا جَعْفَرٍ وَمِثْلِي لَا يَتْرُكُ الْوَاجِبَ اخْتِيَارًا

انظر: القصيدة رقم ٥٨،

٢ - المنظوم: "الأولى".

٣ - المنظوم: "للقوافي".

(١٥)

وقال صالح بن شريف في البحر، وهو أحسن ما قيل فيه: [البسيط]

- ١ - الْبَحْرُ أَعْظَمُ مِمَّا أَنْتَ تَحْسِبُهُ مَنْ لَمْ يَرَ الْبَحْرَ يَوْمًا مَا رَأَى الْعَجَبَا^(١)
٢ - طَامَ لَهُ حَبَبٌ طَافَ عَلَى زَرْقٍ^(٢) مِثْلَ السَّمَاءِ إِذَا مَا مُلَّتْ شُهُبَا

• التخريج: الإحاطة ٣٦٧/٣ ونفح الطيب ٣٤٧/٣ .

(١٦)

ولي: في رثاء أبي^(٣) رحمه الله: [البسيط]

- ١ - دَعِ الْغُرُورَ فَمَا لِلْخُلْدِ مِنْ سَبَبٍ وَلَا قَرَارًا بَدَارَ الْلُهْوِ وَاللُّعْبِ
٢ - يَا بَانِيَا الْقُصُورِ سَوْفَ يَثْرِكُهَا لِمَنْ سَيَأْخُذُهَا قَسْرًا بِلَا تَعَبٍ
٣ - وَطَالِبَا لِضُرُوبِ الْمَالِ يَجْمَعُهَا لِمَنْ سَيَأْخُذُهَا عَفْوًا بِلَا طَلَبٍ
٤ - وَغَافِلَا أَبَدًا عَمَّا يُرَادُ بِهِ أَسْرَفْتَ فِي غُلُوءِ الْغَيِّ فَاتَّيَبِ
٥ - أَمَّا تَرَى الدَّهْرَ لَا يَبْقَى عَلَى أَحَدٍ أَيْنَ الْمُلُوكُ وَمَا صَانُوهُ فِي الْحُجُبِ
٦ - هُوَ الْحِمَامُ فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ وَيَحِ الْمُسَوِّفُ إِنْ أَوْدَى وَلَمْ يَتَّيَبِ
٧ - يَا ابْنَ الشُّبَابِ أَفَقْ مِنْ سَكْرِ خَمْرَتِهِ كَمْ مِنْ فَتَى فَارَقَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَشَبِ
٨ - وَيَا أَخَا الشَّيْبِ مَاذَا أَنْتَ مُنْتَظِرٌ خُذْ فِي الرَّحِيلِ فَقَدْ نُودِيَْتَ مِنْ كَثَبِ
٩ - لَا يَتْرِكِ الدَّهْرُ مَمْلُوكًا وَلَا مَلِكًا وَلَا يُبَالِي الرُّدَى بِالْجَحْفَلِ اللَّجِبِ
١٠ - وَلَوْ نَجَا مِنْهُ مَخْلُوقٌ لِأَثَرَتِهِ لَكَانَ فِي مَنْ نَجَا مِنَ الْحِمَامِ أَبِي
١١ - حَقًّا أَحَبَّبْنَا أَوْدَى "أَبُو حَسَنٍ" مَهْلًا بِنَا فَعَسَى هَذَا مِنَ الْكَذِبِ
١٢ - هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لَا مَيِّنٌ وَلَا طَمَعٌ زُورُ الْأَمَانِي خِدَاعٌ بِالدُّمُوعِ وَبِي
١٣ - أَمَّا كَفَى الدَّهْرُ مِنْ فَقْدِي لَوَالِدَتِي حَتَّى يُضَاعِفَ لِي وَجْدِي بِفَقْدِ أَبِي

١ - الإحاطة: "عجبا".

٢ - الإحاطة: "زورق".

٣ - والده يكنى بأبي الحسن أو أبي خالد، وهو يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف. ذكره في الذيل والتكملة س ٤ ص ١٣٧ والإحاطة ٣٦٠/٣ .

- ١٤ - مَا أَصْعَبَ الْفَقْدَ لِلْأَحْبَابِ يَا أَسْفِي
 ١٥ - أَبِي ذَهَبْتَ وَلَمْ تَرْجِعْ فَيَا عَجَبِي
 ١٦ - أَبِي ذَهَبْتَ حَمِيدَ الذِّكْرِ طَيِّبَهُ
 ١٧ - يَا سَيِّدَا صَارَ بَطْنُ الْأَرْضِ مَسْكَنَهُ
 ١٨ - لَمْ نَلْتِمِ الثُّرْبَ إِجْلَالاً وَتَكْرُمَةً
 ١٩ - وَلَا بَكِيئاً وَنَحْنُ الصَّابِرُونَ دَمَاءُ
 ٢٠ - مَوْلَايَ مَوْلَايَ الْإِفَاءُ مُكَرَّرَةٌ
 ٢١ - لَمْ يَبْقَ بَعْدَكَ لِي شَيْءٌ أَسْرُبُهُ
- وَمَا أَمَرَ فِرَاقَ الْمَوْتِ يَا حَرَبِي
 لِلْعَيْشِ بَعْدَكَ حَتَّى قُلْتُ يَا عَجَبِي
 ذَهَابَ مَنْ لَمْ يَعْيبْ يَوْمًا وَلَمْ يَعْيبِ
 وَالتُّرْبُ يُوضَعُ فِيهِ خَالِصُ الذَّهَبِ
 إِلَّا لِمَوْضِعِهَا مِنْ خَدِّكَ الثُّرْبِ
 إِلَّا لِشِدَّةِ مَا نَلَقَى مِنَ الْوَصَبِ
 لَوْ أَنَّهَا دَعَاؤُهُ تُشْفِي مِنَ الْكَرْبِ
 فَكَيْفَ بَعْدَكَ لِي فِي الْعَيْشِ مِنْ أَرْبِ

• التخریج: الوافي في نظم القوافي ص ٨٨-٨٩ وكناسة ابن الطيب العلمي ورقة ظ ٨٨-و.

(١٧)

وله: [البسيط]

- انْظُرْ إِلَى جِذْرِ فِي اللَّوْنِ مُخْتَلِفِ
 الْبَعْضُ مِنْ سَجٍّ وَالْبَعْضُ مِنْ نَهَبِ

• التخریج: الإحاطة ٣/٣٧٠.

(١٨)

ومن ذاك قوله في الجزر: [البسيط]

١ - إِنْ قُلْتُ قَصَبٌ فَقُلْ قَصَبٌ بِلَا زَهَرٍ
 أَوْ قُلْتُ شَمْعٌ فَقُلْ شَمْعٌ بِلَا لَهَبٍ

• التخریج: الإحاطة ٣/٣٧٠.

(١٩)

ولي: [البسيط]

١ - وَبِنْتَ أَيْكَ غَدَاهاَ الْحُسْنَ فَأَحْتَلَسْتُ
 لِيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ لَوْنَا مِنَ اللَّهَبِ
 ٢ - كَأَنَّهَا كُرَّةٌ مِنْ فِضَّةٍ غُمِسَتْ
 مِنَ الْمَلَاةِ فِي مَاءٍ مِنَ الذَّهَبِ

• التخریج: الوافي في نظم القوافي ص ١١٥.

(٢٤)

ولي في انطباع صورة الهلال في الماء: [الرمل]

- ١ - وهلال صَوَّرَ الحَسَنُ بِهِ فِي شَبِيهِ سِوَاراً مِنْ ذَهَبٍ
- ٢ - فَبِصَفْحِ الأفقِ نِصْفُ قَدْ طَفَا وَبِصَفْحِ الماءِ نِصْفُ قَدْ رَسَبُ

• التخريج: الوافي في نظم القوافي ص ١٠٩ وروض الأنس ونزهة النفس ص ١٩ .

(٢٥)

وفي الخَيْرِي: [السريع]

- ١ - وَأَزْرَقَ اللُّونَ كَلَوْنَ السَّمَاءِ (١)
- ٢ - شَحَّ مَعَ الصُّبْحِ بِأَنْفَاسِهِ كَأَنَّمَا الصُّبْحُ عَلَيْهِ رَقِيبُ
- ٣ - وَبَاحَ فِي اللَّيْلِ (٢) بِأَسْرَارِهِ لَمَّا رَأَى اللَّيْلَ نَهَارَ الْأَرِيبِ

• التخريج: الوافي في نظم القوافي ص ١١٣ والإحاطة ٣/٣٦٩ .

التاء

(٢٦)

وقال في وصف الرُّمَّان: [البسيط]

- ١ - لِلَّهِ رُمَّانَةٌ قَدْ رَاقَ مَنَظَرُهَا (٣)
- ٢ - الْقِشْرُ (٥) حَقٌّ لَمَّا قَدْ ضَمَّ دَاخِلُهُ
- ٣ - فَمِثْلُهَا (٤) بِبَدِيعِ الحُسْنِ مَنَعُوتُ
- ٤ - وَالشَّحْمُ قُطْنٌ لَهُ وَالْحَبُّ يَأْقُوتُ

• التخريج: الوافي في نظم القوافي ص ١١٥ والإحاطة ٣/٣٧٠ ونهاية الأرب ١١/١٠٢ .

١ - الإحاطة: "وازرق كمثل السماء".

٢ - الإحاطة: "بالليل".

٣ - نهاية الأرب: "من فوق دوحتها".

٤ - نهاية الأرب: "مثالها".

٥ - نهاية الأرب: "قالقشر".

- ١ - تَرَى هَلْ لَمِا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ] ...
 ٢ - وَوَجَدَ شِفَاءَهُ مَنْ أَحَبَّ بِرَزْوَرَةٍ
 ٣ - وَعَهْدِهِ مَضَى إِلَّا غَدَاةً وَذِكْرُهُ
 ٤ - فَلِنْ يَكْ وَعْدًا فِي الْمَقَامِ رَأَيْتُهُ
 ٥ - خَلِيلِي بِالْوَدِّ الَّذِي بَيْنَنَا قِفَا
 ٦ - وَهَذَا الْأَمِيرُ بْنُ الْأَمِيرِ فَقَبْلًا
 ٧ - أَمِيرٌ يَتِيهِ الْمُلْكُ مُقْتَضِرًا بِهِ
 ٨ - لَهُ الْهَيْئَةُ الْعَلِيَا الَّتِي مَا لَهَا مَدَى
 ٩ - لَهُ غَايَةُ قُصْوَى]
 ١٠ - [.....] ^(١) الدُّنْيَا وَرَوَيْتَهُ [.....] ^(١)
 ١١ - هُمَامٌ لَهُ فِي الرَّوْعِ سُورَةٌ فَاسْأَلْ
 ١٢ - [...] ^(٢) مَا بَقِيَ السِّيفِ الْمَصْمُومِ فِي يَدِ
 ١٣ - فَلَا تَعْحِنِ مِنْ سَيْفِهِ إِنْ هُمَا دَمًا
 ١٤ - وَغَابَ عَنِّي أَنْتَ هَاهُا
 [.....] ^(١) وَدَّ
 خَيَالًا وَقَدْ يَشْفَى بِبَعْضِ الْمُنَى الْوَجْدُ
 أُرِيدُ بِهِ شَوْقًا وَإِنْ قَدِمَ الْعَهْدُ
 فَقَدْ تَصَدَّقَ الرَّؤْيَا وَقَدْ يُنَجِّزُ الْوَعْدُ
 فَهَذَا الْحَمَى لَزِيْفَ فِيهِ وَذَا نَجْدُ
 بِكَفٍّ كَرِيمٍ مَالَهُ فِي النُّدَى قَدْ
 إِذَا غَيْرُهُ فِي الْفَخْرِ بِالْمُلْكِ يَعْتَدُ
 إِلَى الشُّرْفِ الْحَضِرِ الَّذِي مَالَهُ حَدُ
 [.....] ^(١)
 وَخَدَمْتَهُ الْعَلِيَا [.....] ^(١)
 إِذَا لَمْ [.....] ^(٢)
 [.....] ^(٢)
 فَسَوَّرْتُهُ بَرَقُ [.....] ^(٢)
 [.....] ^(٢)

• التخریج: المنظوم والمنثور ورقة ٤٧ ظ - ٤٨ و.

(٣٤)

ولي في الباب (أي تبديل القافية) ما ينشد على ثلاث قواف ^(٣): [الكامل]

- ١ - دَعْنِي وَإِنْ قِيلَ الْجُنُونُ فُنُونُ
 ٢ - بِأَبِي الَّذِي أَشْكُو هَوَاةً وَصَدَّةُ
 ٣ - كَتَبَ الْجَمَالَ بِخَطِّهِ فِي خَدِّهِ
 ٤ - فَكَأَنَّ رَقْمَ الصُّدُغِ مِنْهُ أَرَاقِمُ ^(٥)
 فَالْصَّبُّ مِثْلِي بِالْهَوَى ^(٤) مَعْمُودُ
 وَالصُّدُغُ صَغْبٌ وَالْهَوَى تَنْكِيدُ
 وَالْخَطُّ فِي حُسْنِ الْخُدُودِ يَزِيدُ
 وَكَأَنَّ مَا لَمْ بِهِ أَوْ مَمْدُودُ

١ - بياض في المنظوم.

٢ - ما بين عضادتين [بياض في المنظوم.

٣ - مرّت في حرف الباء، وستأتي في حرف النون.

٤ - تقييد ابن حمدون: "في الهوى".

٥ - الواهي: "أرقم".

وقال يَهْنَى بعيد كبير، [و] ^(١) يمدح الرئيس أبا الحسن ^(٢) ابن الرئيس الجليل

أبي جعفر بن نصر رحمهم الله : [الكامل]

- ١ - عِيدٌ كَبِيرٌ غَيْرُ أَتْكَ أَكْبَرُ
 - ٢ - حَسَدُ الزَّمَانِ نَدَاكَ فِي تَرْكَابِهِ
 - ٣ - وَتَوَارَتْ الشَّمْسُ الْمَنِيرَةُ خَجَلُهُ
 - ٤ - لَاحَتْ عَلَيْهَا الرِّيَاسَةُ آيَةُ
 - ٥ - نَصْرِيَّةُ اللَّمَحَاتِ إِلَّا أَنَّهَا
 - ٦ - سِمَةُ الْأَلَى حَازُوا الْمَكَارِمَ وَالْعُلَا
 - ٧ - مِنْ مَعْشَرٍ نَصَرُوا النَّبِيَّ الْمُصْطَفَى
 - ٨ - أَبْنَاءُ قَلِيلَةٍ لَا يُجَارَى مَجْدُهُمْ
 - ٩ - قَوْمٌ لَهُمْ طَيْبُ الْحَيَاةِ بِطَيِّبَةِ
 - ١٠ - هُمْ مَرْقُؤَا كِسْرَى وَلَوْلَا دَعْوَةُ
 - ١١ - سَلِّ تَبْعًا عَنْ بَأْسِهِمْ وَنَدَاهُمْ
 - ١٢ - يَابْنَ الرِّيَاسَةِ وَالرِّيَاسَةَ هَالَةً
 - ١٣ - عَجَبًا لِسَيْفِكَ فِي يَمِينِكَ يَلْتَطِي
 - ١٤ - عَجَبًا لِطَرْفِكَ لَا يَطِيشُ وَنَارُهُ
 - ١٥ - قَدْ عَادَكَ الْعِيدُ السَّعِيدُ مُهْنًا
- وَحَيَاً وَلَكِنْ جُودُكَ كَفَّكَ أَكْثَرُ
وَلِذَاكَ مَا رَكِبَ الْغَمَامُ الْمُطِيرُ
مِنْ غُرَّةٍ مَيِّمُونَةٍ هِيَ أَنْوَدُ
يَطْوِي لَهَا ذِكْرُ الْمُلُوكِ وَيَنْشُرُ
أَبْهَى مِنَ الْبَذْرِ الْمُنِيرِ وَأَبْهَرُ
وَزَكَتْ أَوَاصِرُهُمْ وَطَابَ الْعُنْصُرُ
نِعْمَ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى وَالْمَعْشَرُ
مَا فَارَسَ فِي مُلْكِهَا مَا جَمِيرُ
حَيْثُ النَّبِيُّ وَقَبْرُهُ وَالْمَنْبَرُ
سَبَقَتْ لِقَيْصَرٍ لَمْ يَفْتَهُمْ قَيْصَرُ
إِنَّ النَّدَى وَالْبَأْسَ نِعْمَ الْمَفْخَرُ
دَارَتْ عَلَيْكَ وَأَنْتَ بَسْدَرُ مُنِيرُ
نَسَاراً وَأَنْسَى وَالْأَنْسَامِلُ أَبْخَرُ
مِنْ هَيْبَةٍ وَعَلَيْهِ مِنْكَ غَضَبٌ قَرُ
فَأَنعَمَ بِهِ عِيداً بِمِثْلِكَ يَفْخَرُ

١ - ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق

٢ - هذا الأمير النصري، هو الفقيه الرئيس الأجل أبو الحسن علي بن يوسف بن نصر، صاحب الجيش، كان والياً على قسبة المرية. وقد وصلتنا رسالة كتبها للوزير أبي الحسن بن زاو، وهي من إنشاء أبي جعفر ابن شَلْبَطُور. كما وصلتنا قصيدة مدح بها أبو علي الحسين ابن رشيق هذا الأمير، ومطلعها: [الكامل]

فَعَلُ النُّوْيِ مَلْغَى لِبَعْضِ نَوَالِكَا فَاشَفَ الْخِيَالُ وَلَوْ بِطَلِيفِ خِيَالِكَا

وبالمرية خدم ابن رشيق هذا الأمير، وأخاه الأصغر أبا عبد الله محمد من بعده.

انظر: اللوحة البدرية ص ٣٧، ورسائل أندلسية ص ٢٥٩-٢٦٠، وبلغية الأمنية ط الرياط ص ٢٢، ط تطوان ص ١٧٥ - والكوكب الثاقب ٣/٥٦٢-٥٦٣، وإدراك الأمانى ٢٣/١٧٦-١٧٧، والوافي بالوفيات ١٢/٤٢١-٤٢٢. وتحفة المخترب ببلاد

المغرب ص: ٢٩ .

١٦ - وارْقُبْ بِشَائِرِ يُرْتَجَى إِقْبَالُهَا إِنَّ الْجَزِيرَةَ بِابْنِ نَصْرِ تُنْصَرُ

١٧ - وَاهْتَأُ بِهِ نَظْمًا تُرَانُ بِهِ الْعُلَا إِنَّ النِّظَامَ بِهِ يُرَانُ الْجَوْهَرُ

• التخریج: المنظوم والمنثور ورقة ٥٩ ظ - ٦٠ و.

(٥٣)

ومن ذلك قوله في الصبر^(١): [السريع]

١ - الدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَالَةٍ لَكُنْهُ يُقْبَلُ أَوْ يُدْفِرُ

٢ - فَإِنْ تَلَقَّكَ بِمَكْرُوهَةٍ فَاصْبِرْ فَإِنَّ الدَّهْرَ لَا يَصْبِرُ

• التخریج: الإحاطة ٣/٣٧٢ ورفع الحجب المستورة ٣/١٠٨٩.

(٥٤)

قال ابن القاضي: وأنشدني [أبو عبد الله محمد بن يوسف التدغي]^(٢) لصالح

بن شريف الرندي^(٣): [المجث]

١ - أَرَادَ وَارِدُ وَادٍ وَدَأْ وَدُرّاً وَدَارَا

• التخریج: درة الحجال ١٧/٢.

(٥٥)

ثم قال: وقد هزني سيدي هز الغصن، بما أوردته من ذلك الحُسن، فقدح من
الخاطر ما كان قد خمد، وفجر من طبع طال ما جمد، وكنت قد صنعت أبياتاً تُشبدُ
على قافيتين، وذلك مترع لا تُطال مسالكه، ولا يُعدم سالكه.

١ - يُنسب البيتان إلى محمود بن حسن الوراق في فوات الوفيات ٢/٥٦٢.

٢ - هذا الفقيه المشارك النحوي هو أبو عبد الله محمد بن يوسف التدغي، ولد سنة ٩٤٣ هـ، له سند ورواية في الحديث. أخذ عن أبي القاسم المشنزي، وأبي النعيم رضوان الجنوي، وله حفظ غزير ذاكراً للمسائل. وله إنشادات وإفادات كثيرة.

ترجمته في: درة الحجال ٢/١٦٤، ١٨٧ رقم ٦٣٨.

٣ - ينسب البيت لابن أبي الحجاج بن الشيخ الملقب في الوافي في نظم القوافي ص ١٨٩.

وله في رثاء زوجته: [البسيط]

- ١ - يا بُرْهَةً كَانَ فِيهَا لِلْمَنَى أَمَلٌ وَنَزْهَةً لِلْهَوَى وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ
- ٢ - مَضَتْ مُضِيَّ الصَّبَاحِ عَنِّي وَلَا عِوَضٌ وَمَنْ يَقُومُ مَقَامَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
- ٣ - عَهْدِي بِالْفَتْنَةِ وَالْأُنْسِ يَنْظِمُنَا بِطَيْبَةِ الْعَيْشِ نَظْمَ السَّلَكِ لِلدُّرِّ
- ٤ - رُوحَيْنِ فِي جَسَدٍ سِرِّيْنِ فِي خَلَدٍ كَمَا تَقَابَلُ أَهْلُ الْخُلْدِ فِي السُّرْرِ
- ٥ - حَتَّى رَمَى الْبَيْنُ شَخْصَيْنَا فَنَفَرَقْنَا كَمَا تَفَرِّقُ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالنَّظَرِ
- ٦ - يَالَيْتَنِي عِنْدَمَا حُمَّ الْجَمَامُ كَمَا قَاسَمْتُهَا كَيْدِي قَاسَمْتُهَا عُمْرِي
- ٧ - فَإِنْ تَكُنْ زَهْرَةً فِي رَوْضِهَا قُطِفَتْ فَقَلَمَّا تُمَتَّعَ الْأَيَّامُ بِالزَّهْرِ
- ٨ - وَإِنْ تَكُنْ دُرَّةً مِنْ سِلَكِهَا خُطِفَتْ فَالْدَهْرُ أَذْرَى بِمَا يُسَبِّي مِنَ الدُّرِّ
- ٩ - يَا قَلْبُ صَبْرًا عَلَى مَا قَدْ فُجِعْتَ بِهِ فَلَسْتُ فِي دَفْعِ مَقْدُورٍ بِمُقْتَدِرِ
- ١٠ - لَا تَبْكِ فَقَدْ حَبِيبٌ أَنْتَ تَابِعُهُ إِذَا مَضَى الْبَعْضُ فَالْبَاقِي عَلَى الْأَثَرِ

• التخریج: الوافي في نظم القوافي (مخطوط دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة رقم ٦٠٣ أدب تیمور).

[وقال أيضاً^(١)]: [البسيط]

- ١ - وَجَاهِلٍ غُرَّةً ظَنِّي بِهِ سَفَاهًا وَالظَّنُّ يَحْمِلُ مَغْرُورًا عَلَى غَرَرِ
- ٢ - مَنَحْتُهُ الْمَذْهَبَ الْمُخْتَارَ مِنْ أَدْبِي فَلَوْ تَرَى فِي يَدَيْهِ خَشْيَةَ الدُّرِّ
- ٣ - وَخِلْتُ أَنَّ الثَّنَا يُنَنِّي مَعَاطِفُهُ وَمِثْلُهَا يُنَنِّي لَكِنْ مِنَ الْخَمَرِ
- ٤ - وَرَمْتُ أَحْلُبُ تَيْسًا لَا عَذْلَهُ التَّيْسُ مِنْ ظَنِّ أَنَّ التَّيْسَ ذُو دُرِّ

• التخریج: المنظوم والمنثور ورقة ٣٨ و .

١ - ما بين عضادتين سقطت من المنظوم.

- ١٤ - ضَمَمْتُهَا تَهْنِئَةً بِرَّةٍ قَابَلْتُهَا بِالْبِرِّ وَالشُّكْرِ
١٥ - وَلَمْ أَجِدْ عِنْدِي كُفُؤاً لَهَا لَكِنْ أَجَبْتُ الشُّعْرَ بِالشُّعْرِ
١٦ - وَلَيْسَ إِنْصَافاً وَلَكِنِّي أَقَمْتُ فِي الْوَقْتِ بِهِ عُذْرِي

• التخریج: المنظوم والمنثور ورقة ٦٠ ظ - ٦١ و .

(٧٤)

ولي: [السريع]

- ١ - وَلَيْلٍ وَصَلٍ عَنْ مَنْ هَاجِرٍ أَقْصَرُ مِنْ تَلَفُتِ النَّاطِرِ^(١)
٢ - اسْتَوْفَزَ الدَّهْرُ بِهِ غَلَطاً^(٢) فَادْعَمَ الْأَوَّلَ فِي^(٣) الْآخِرِ

• التخریج: الوافي في نظم القوافي ص ١٠٦ وروض الأنس ص ١٣ والإحاطة ٣/٣٦٦ وكناسة ابن الطيب العلمي ورقة ٧٨ و .

(٧٥)

وفي التين الشعري: [السريع]

- ١ - أَهْلًا بِتَيْنٍ حَسَنِ الْمَنْظَرِ صَوَّرَ مِنْ مِسْكِ وَمِنْ عُنْبَرِ
٢ - مُطَرِّزَ الْبُرْدِ إِذَا دُقَّتْهُ أَلْهَى عَنِ الْمَنْظَرِ بِالْخُبَرِ
٣ - كَأَنَّما الْبَارِي سُبْحَانَهُ حَشَاهُ بِالسُّمِّ سِيمِ وَالسُّكْرِ

• التخریج: الوافي في نظم القوافي ص ١١٤ .

(٧٦)

ولصالح بن شريف في الموت: [السريع]

- ١ - الْمَوْتُ سِرُّ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَحِكْمَةٌ دَلَّتْ عَلَى قَهْرِهِ
٢ - مَا أَصْعَبَ الْمَوْتَ وَمَا بَعْدَهُ لَوْ فَكَّرَ الْإِنْسَانُ فِي أَمْرِهِ

١ - في روض الأنس والإحاطة: «وليلة قصير من طولها بزوجة من رشا نافر».

٢ - في روض الأنس والإحاطة: «استوفز الدهر بها غلطاً».

٣ - في روض الأنس والإحاطة: «ولآخر».

- ٦ - يَا بَيْتَ مَجْدِهِ الْعَلِيَاءِ قَدْ غَنَيْتَ فَأُظْهِرْتُ فِيهِ مَعْنَى مِنْهُ مُخْتَرَعًا
٧ - كَأَنَّهُ هُوَ فِي مَجْدٍ وَمَكْرَمَةٍ فَمَا تَرَى الشَّكْلَ فِي الْمِرَاةِ مُنْطَبِعًا
٨ - يَهْنِي الْوِزَارَةَ يُشْرَى طَالَمَا اشْتَهَيْتَ وَمِنْ أَلَذِّ الْمُنَى مَا كَانَ قَدْ مُنِعَا
٩ - هَذِي صَنِيعَةٌ نَعْمَى لَا كِفَاءَ لَهَا فَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي الصَّنْعِ الَّذِي صَنَعَا

• التخريج: الوافي في نظم القوافي ص ٧٩ وكناسة ابن الطيب العلمي ورقة ٧٧ و.

(٨٣)

ومما قلت في الباب (أي رثاء النساء): [البسيط]

- ١ - يَا فُرْقَةَ الْمَوْتِ مَا أَبْقَيْتَ لِي طَمَعًا
٢ - يَا زَهْرَةَ اللَّعْلَالِ لِمَا انْتَمَتْ قُطِفْتَ
٣ - سَلِّ الدُّمُوعَ الَّتِي نَسَقِي تَرَاكٍ بِهَا
٤ - مِنْ قَلْبٍ قَرِيحٍ لَا عِزَاءَ لَهُ
٥ - وَكُلَّ جَفْنٍ جَرِيحٍ كُنْتَ نَاطِرُهُ
٦ - نَبْكِي عَلَى عَهْدِكَ الْمَاضِي وَبَهْجَتِهِ
٧ - لَهْفِي لِفَقْدِكَ آلافاً مُكَرَّرَةً
٨ - لَا تَحْسِبِ الصَّبْرَ سُلُواناً وَتَعَزِيَةً
٩ - وَكَيْفَ يَنْسَاكَ صَبْرٌ لَوْ يُمْتَنِعُهُ
١٠ - يَا شَخْصَ مَكْرَمَةٍ يَا رُوحَ مَرْحَمَةٍ
١١ - دُعِيَتْ لِلْمَلَأِ الْأَعْلَى فَسِرَتْ لَهُ
١٢ - دَرِي نَفُوساً كَمَا شَاءَ الْفِرَاقُ لَهَا
١٣ - يَا غَافِلاً يَسْمَعُ الذُّكْرَى وَيُبْصِرُهَا
١٤ - أَمَّا يَهْوِلُ مِنَ الْأَحْبَابِ فَقَدْهُمْ
١٥ - مَا مِثْلَ نَفْسِكَ شَيْءٌ لَوْ نَظَرْتَ لَهَا
- كأئننا لم نبت قبل الفراق معاً
كالنجم غاب سريعا بعدما طلعا
عن القلوب التي تقطعت قطعا
لو كان من صخرة صماء لا نصدا
لولا رجاء خيال منك ما هجعا
لو أن ماضي عهد بالبكا رجعا
لو أن لهفي إذا كرزته نفوا
فلا سلو لمن في قلبه فجعا
في وجهك العيش طول الدهر ما قنعا
جمعت دنيا ودينا قلما اجتمعا
وما أجبت سوى الرحمن حين دعا
تذوب من كمد إن لم تمت جزعا
كأنه ما رأى شيئا ولا سمعا
والقوم ما صنعوا والفقد ما صنعا
وأخسر الناس من في نفسه خدعا

• التخريج: الوافي في نظم القوافي ص ٩٠-٩١ .

(٨٨)

كقولي: [الرمل]

رَشَّأُ كَالْبَدْرِ إِلَّا أَنَّهُ أَخَذَ الْحُسْنَ وَخَلَّى الْكَافَا

• التخريج: الوافي في نظم القوافي ص ١٨٧ .

(٨٩)

كقولي: [الرمل]

يَا خَلِيلِي بَلَا أَمْرٍ قِفْتَ وَصِرْفَا بِاللَّهِ أَيَّامَ الصِّفَا

• التخريج: الوافي في نظم القوافي ص ١٨٤ .

(٩٠)

ولي في قضيب نرجس تفرعت فيه ست نوارات: [السريع]

١ - وَيَاهِرِ التَّصْنِيفِ مُسْتَعْرَبٍ يُعْجَبُ مِنْ غَرِيبِ تَصْنِيفِهِ

٢ - تَفَرَّعَتْ عَنْ أَصْلِهِ سِتُّهُ كَأَنَّهَا أَحْرَفُ تَصْحِيفِهِ

وذلك أن تصحيفه عندهم: برحبيب^(١)

• التخريج: الوافي في نظم القوافي ص ١١٣ .

(٩١)

ثم قال: وهذه، أعزّه الله سيدي، بُنِيَّةُ فكري، مِنْ بَحْتِهَا، أَنْ يُؤَسَّهَا بِأُخْتِهَا،
فإنَّهَا لم تُنَسَّجْ عَلَى منوال، وَلَا حُذِيتْ بِمثال، وَلِهَ الفضلُ فِي أَنْ يُؤَسَّ وَحَشَتَّهَا،
وَيُسَكَّنَ دَهَشَتَّهَا، إِنْ شَاءَ الله، وَالسَّلَام.

١ - يقول الميكالي في تصحيف اسم النرجس: تصحيفه إن نسقت الحروف: برحبيب

انظر: زهر الآداب ١/ ٥٢٢ .

- ٣٩ - أَبْهَى (١) مَنْ الْوَصْلِ بَعْدَ الْهَجْرِ مَنْظَرُهُ
 ٤٠ - وَأَسْمَرَ ظَنُّ مَاءٍ كُلِّ سَابِغَةٍ
 ٤١ - هَامَ الْكُمَاءُ بِهِ حُبًّا وَلَا عَجَبٌ
 ٤٢ - إِذَا الطَّعِينُ تَلَقَّاهُ فَأَرْعَفَهُ
 ٤٣ - يَا ابْنَ الْهَمَامِ الَّذِي لَهُ حُلَى حَسُنْتَ
 ٤٤ - وَمَنْ لَهُ كَرَمٌ رِيَشُ الثَّنَاءِ بِهِ
 ٤٥ - اهْنَأْ بِهَا نِعْمًا فِي إِثْرِهَا نِعَمٌ
 ٤٦ - وَخُذْ إِلَيْكَ حُلَى فَصَلِّهَا حُلَا
 ٤٧ - وَاسْتَقْبِلِ السُّعْدَ بِالْبُشْرَى الَّتِي طَلَعَتْ
- حُسْنًا وَأَقْطَعُ مِنْ بَيْنِ عَلَى مَلَلٍ (٢)
 فَخَاضَ كَالْأَيْمِ يَسْتَسْقِي (٣) مِنَ النَّهْلِ
 مِنْ لَوْعَةٍ بِمَلِيحِ الْقَدِّ مُعْتَدِلِ
 حَسِبْتُ لَهُ عَاشِقًا يُكِي عَلَى طَلَلِ
 بِهَا الْإِمَارَةُ حُسْنُ الْمَدْحِ بِالْغَزَلِ
 فَطَارَ حَتَّى سَرَى فِي الْأَرْضِ كَالْمَثَلِ
 وَسُرَّ وَأَسْمُ وَصَلَّ وَسُدَّ وَجُدَّ (٤) وَصَلَّ
 الْفَخْزَلُ فِيهَا لَتَلَكِ الْمَكْرَمَاتِ وَلِي
 وَأَبْلَغُ بِتِلْكَ الْعُلَا مَا شُنْتُ مِنْ أَمَلِ

• التخریج: الأبيات (١-٧) في المنظوم والمنثور ورقة ٤١ و- ٤٢ و، والوافي في نظم القوافي ص ٦٨-٧٠، وكناشة ابن الطيب العلمي ورقة ٧٣ و- ٧٤ و، والأبيات (١-٥، ١٣-٧) في الوافي بالوفيات ٢٧٧/١٦، والأبيات (١-٢، ٧-٨) في شقائق الأترنج ورقة ٩ ب- ١٠.

(١١٧)

ولما توفي أمير المسلمين، رحمة الله عليه^(٥)، كتبت إلى حضرة ولي عهده ابنه،
 أمير المسلمين، أيده الله، كتاب تعزية، نصها:

١ - المنظوم: "أنهى".

٢ - الوافي: "ضلل".

٣ - المنظوم: "يستشفى".

٤ - الوافي: "وجد وسد".

٥ - يقصد الشاعر هنا وفاة أمير المسلمين أبي عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي، أول ملوك بني نصر بجزيرة الأندلس، مولده في أخريات عام تسعين وخمسمائة، ويبيع له ببلده أرجونة، وذلك إثر صلاة الجمعة من اليوم السادس والعشرين لشهر رمضان من عام تسعة وعشرين وستمائة، وسُمي بالغالب بالله، وكتب علامته "ولا غالب إلا الله". جاهد ابن نصر في الله حتى علت دولته فظهرت وأرغمت أعداءه وقهرت، وعند ذلك ابتنى لنفسه داراً بالحمراء تناسب مذهبه ومنصبه، وجلب الماء إليها، وأدار السور وقدر دوره ألف خطوة وثلاثمائة خطوة. وانتقل من القسبة القديمة لسكانها وضبط أموره وياشر بنفسه حساب العمال واشتد عليهم في النكال وعقد السلم. توفي إثر صلاة العصر من يوم الجمعة السابع والعشرين لشهر جمادى الآخرة من عام إحدى وسبعين وستمائة. ترجمته في: الإكليل في فضل النخلة عن كرامة العنب ص ٥١-٥٢ واللمحة البدرية ص ٤٢-٤٩ والإحاطة ٩٢/٢-١٠١ ومستودع العلامة ص ٢١ وتاريخ الأندلس ص ٢٦٩-٢٧٠.

المقام العلي السلطاني، المولى أطل الله بقاءه وحلمه كالهضب لا يستنزل، وحزمه كالغضب لا يقل، وبيت مجده لا تخزمه النوائب، وفعل سعه لا تجزمه الشوائب.

أما بعد حمد الله الذي تعرف لعباده فعرف وعبد، وأنفذ حكم مراده؛ شكر وحمد. والصلاة والسلام على سيدنا محمد أكرم من ولد، وأعز من فقد.

فإن خديم المقام العالي المستمسك بعروته، المعتصم بحبوته: «فلان» كتبه من «فلانة» عن روع مروع، وقلب مصدوع، تقطع فاستحال نجيعاً، وجرى فصار مع الدموع دموعاً للخطب الفادح، والملم القادح، والرزء الذي طاشت له الأحلام، وفجع فيه الاسلام، والنعي الذي استبكت به المسامع، وانهلت له المدامع، بوفاة مولانا الملك الهمام الأوحى، الأرفع الأمجى، المجاهد الأرضى الأسعد، المقدس المرحوم «أبو عبدالله» أمير المسلمين، وناصر الدين، أكرم الله مثواه، ونفعه بما أولاه، فقد كان رضي الله عنه للعدل إماماً، وللدين قواماً، وللملك تاجاً وحساماً. إن كوثر «فتبع» في «حمير»، أو كوبر فما «كسرى» و«قيصر»، أو زوحم «فرضوى» و«شمام»، أو كورم فما البحر والغمام.

هذا وكما مقال له قامه، وأود فيه إقامه، وصعب راضه، وغمر خاضه، وكرب فرجه، وذكر بعده أرجه.

فطالما جاهد في الله حق جهاده، وأجهد نفسه النفيسة في اجتهاده. يسهر لتنام العيون، ويصل الحركات ليتصل السكون، ويعد للحادث ولعله لا يكون.

سياسة شد لها حيازيم الحزم، ورياسة أعد لها صبر «أولي العزم»، إلى أن حُم حِمَامُه، وتقضت أيامه، فهد طوده الشامخ، وطوي مجده الباذخ، فأصبح خبراً يُذكر، ومُضمراً لا يظهر، كأن لم يكن للهدى جبينه، وللندى يمينه، وللنصر أعلامه، وللنهي والأمر أعلامه. أما وماثر نخرها للفخر، وأبقاها كالوحي في الصخر، لو أن بكاء يُشفي من وجْد، ويرد فائت مجد، لا سلبت الدموع عليه حمراً، وحشيت الأحشاء جمرًا، وقتل ما بينهما الصبر صبرًا.

ولولا حُسْنُ الْخَلْفِ مِنْ بَعْدِهِ، بِمَوْلَانَا وَلِيِّ عَهْدِهِ، وَسَلِيلِ مَجْدِهِ، لَقَلْنَا ذَهَبَ الْبَأْسُ
وَالْكَرَمُ، وَعُطِّلَ السِّيفُ وَالْقَلَمُ، وَغَاضَ مَاءُ النَّدَى، وَطَفِيَ مَصْبَاحُ الْهَدْيِ، لَكِنَّهُ مَا فَاتَ
مَجْدَهُ، مَنْ أَبْقَى مِثْلَ مَوْلَانَا بَعْدَهُ، وَلَا انْصَرَمَ شَرْفُهُ، مَنْ كَرَّمَ خَلْفَهُ، وَمَا عَدِمَ الْوَدْقَ إِذَا
بَقِيَ مَأْوُهُ، وَلَا فُقِدَ الْبَدْرُ إِذَا وُجِدَ ضِيَاؤُهُ. وَمَوْلَانَا أَحْسَنَ اللَّهُ عَزَاءَهُ، وَأَجْزَلَ أَجْزَاءَهُ،
يَتَذَكَّرُ فَقْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَتِمَّاسُكَ فِي مُصَابِهِ، وَيَكْفُ مِنْ أَوْصَابِهِ،
وَمِثْلَ حَلْمِهِ لَا يَسْتَنْزِلُهُ الْوَهْلُ، وَلَا يَسْتَخْفُهُ الْوَجَلُ، وَإِذَا كَانَ الْمَوْتُ غَايَةَ الْأَحْيَاءِ، وَنَقْلَةَ
مِنَ الْفَنَاءِ إِلَى الْبَقَاءِ، فَمَا الْجَزَعُ عَلَى فَقْدِ أَعْدٍ لِرَحِيلِهِ، ثُمَّ مَضَى بِسَبِيلِهِ، وَافْدَأَ عَلَى
بَابِ الْكَرِيمِ، حَسَنَ الظَّنِّ بِالرُّؤُوفِ الرَّحِيمِ، وَاللَّهُ يَجْمَلُ صَبْرَ الْمَوْلَى وَعَزَاءَهُ، وَيَجْعَلُ
الْأَجْرَ إِزَاءَهُ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ يَطِيلُ بَقَاءَهُ، وَيَجْعَلُ السَّعْدَ وَقَاءَهُ، بِمَنْنِهِ.

• التخریج: الوافي في نظم القوافي ص ٨٤-٨٥ .

وكتب مع ذلك: [البسيط]

- ١ - مَا جَلَّ خَطْبُ كَهَذَا الْحَادِثِ الْجَلَلِ
 - ٢ - مُصَابٌ مَنْ فُجِعَ الْإِسْلَامُ فِيهِ وَمَنْ
 - ٣ - فَإِنْ تَكُنْ طَاشَتْ الْأَحْلَامُ مِنْ جَزَعٍ
 - ٤ - يَا حَسْرَةَ الدِّينِ وَالْدُنْيَا عَلَى مَلِكٍ
 - ٥ - أَصَابَهُ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُبِ صَائِبُهُ
 - ٦ - وَزَاوَلَ الْمَلِكَ دَهْرًا ثُمَّ فَارَقَهُ
 - ٧ - تَنَصَّلَ الْجَيْشُ فِيهِ حِينَ أَسْلَمَهُ
 - ٨ - فَالْصَّيْدُ بَاكِيَةٌ وَالْخَيْلُ شَاكِيَةٌ
 - ٩ - كَمْ فِي الْعَرُوبَةِ^(١) مِنْ سِرٍّ لِمُعْتَبِرٍ
- فَلْيُقْضَ حَقُّ الْأَسَى بِالْأَدْمُعِ الْهُمْلِ
سَكَ الْمَسَامِعِ مِنْهُ هَزَةُ الْجَبَلِ
فَلْيَسْبِقِ الْعَذْرَ سَبْقَ السَّيْفِ لِلْعَذَلِ
قَدْ كَانَ حَسْبُهُمَا لَوْ مُدَّ فِي الْأَجَلِ
إِنَّ الْمُنُونِ لَأَرْمَى مِنْ بَنِي تُعَلٍ
وَذَاكَ الْفَخْرُ لَمْ يَزَلِ
وَلَيْسَ لِلْمَوْتِ مِنْ حَوْلٍ وَلَا حِيلِ
وَالرُّمَحُ ذُو وَجَلٍ وَالسَّيْفُ ذُو خَجَلِ
صَرْنَا إِلَى الْوَجْدِ وَالْمَوْلَى إِلَى الْجَدَلِ

١ - يشير الشاعر هنا إلى يوم الجمعة الذي كانت فيه وفاة الملك النصري أبو عبد الله محمد بن يوسف، بعد صلاة
العصر التاسع والعشرين شهر جمادى الثانية من عام ٦٧١ هـ، ودفن بالمقبرة الجامعة العتيقة بسنام السبيكة
بغرناطة. انظر: اللوحة البدرية ص ٤٨-٤٩ والإحاطة ١٠١/٢ .

- ١٠ - مَضَى لِرَحْمَةِ مَوْلَاهُ وَأَنْزَلَهُ
 ١١ - كَمْ غَمْرَةٍ خَاضَهَا وَالتَّغْرِ مُبْتَسِمٌ
 ١٢ - وَصَعْبَةٍ خَاضَهَا وَالْحَزْمُ مَعْتَصِمٌ
 ١٣ - وَمَا عَسَى أَنْ يَمِدَّ الْقَوْلُ فِي مَلِكٍ
 ١٤ - وَلَا ارْتَدَّ هُنَّ مُنَى يَصْبُو الْحَلِيمُ لَهَا
 ١٥ - وَإِنَّمَا كَانَ وَالْعَلِيَاءُ تَحْفَظُهُ
 ١٦ - سَقَتْهُ مِنْ دِيمِ الرَّحْمَى مُفَضَّضَةٌ
 ١٧ - فَكَمْ سَقَى لِلْطُّبَا وَالسُّمَرِ مِنْ غُلُلٍ
 ١٨ - مَوْلَايَ مَوْلَايَ أَلْفَاً مَكْرَرَةً
 ١٩ - أَصْبَحْتَ فِينَا عَلَى حُكْمِ الرِّضَى خَبِراً
 ٢٠ - كَانَ وَجْهَكَ لَمْ يَشْرِقْ لِنَاظِرِهِ
 ٢١ - كَانَ كَفَكَ لَمْ تُبْسِطْ لَامِلَهَا
 ٢٢ - نَبْكِي عَلَيْكَ وَنَفَنَى حَسْرَةً وَأَسَى
 ٢٣ - وَالصَّبْرُ أَجْمَلُ لَوْ يُفَى السَّبِيلُ لَهُ
 ٢٤ - يَا وَارِثَ الْمُلْكِ وَالْمَجْدِ الَّذِي كَرُمْتَ
 ٢٥ - سَلَّمَ لِمَا قَدْ جَرَى حُكْمُ الْقَضَاءِ بِهِ
 ٢٦ - وَمَا بُكََا الْعَيْنَ بَعْدَ الشَّيْءِ نَافِعُهَا
 ٢٧ - وَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ يُعْزَى الْعِزَاءُ لَهُ
 ٢٨ - وَإِنْ مَضَى عَنْكَ مَوْلَى لَا نَظِيرَ لَهُ
 ٢٩ - وَإِنْ غَدَا مُضْمَراً عَنَا فَانْتَ لَهُ
 ٣٠ - وَفِي بَقَائِكَ لِلْإِسْلَامِ تَكْلِيَّةٌ
 ٣١ - لَازَلْتَ لِلْمَلِكِ وَالْإِسْلَامِ تَنْصُرُهُ
- مَا قَدَّمَ تَهْ يَدَاهُ أَكْرَمَ النُّزُلِ
 وَالْمَوْتُ يَخْطُرُ بَيْنَ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ
 وَالْقَوْلُ يَنْجُ بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
 مَا حَادَ مِنْ كَرَمٍ يَوْمًا وَلَا بَطَلِ
 وَلَا سَبَيْتُهُ ذَوَاتُ الْأَعْيُنِ النُّجُلِ
 بِالْمَكْرَمَاتِ عَلَى اللُّذَاتِ فِي شُغْلِ
 تَمْدُّهَا مُذْهَبَاتُ الْأَدْمَعِ الْهُمْلِ
 وَكَمْ شَفَى لِلْعُبَلَا وَالْمَجْدِ مِنْ عِلَلِ
 لَوْ كَانَ يُغْنِي نِدَاءُ الْوَجْدِ وَالْوَجَلِ
 فَكُنْتُ كَالضَّيْفِ أَوْ كَالطَّيْفِ فِي الْمَثَلِ
 كَالْبَدْرِ فِي السَّعْدِ أَوْ كَالشَّمْسِ فِي الْحَمَلِ
 يَوْمًا وَلَا عُضِرْتُ لِلْجُودِ وَالْقَبَلِ
 وَالْدَّمْعُ حِيلَةٌ مَنْ يَغْنَى عَنِ الْحِيلِ
 وَأَيُّ صَبْرٍ لِقَلْبٍ غَيْرِ مُحْتَمِلِ
 مِنْهُ الْخِلَالُ فَمَا فِيهِنَّ مِنْ خَلَلِ
 فَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَى أَجَلِ
 وَإِنَّمَا طَلَّلُ الْمَفْقُودِ كَالظَّلَلِ
 وَأَنْتَ أَثْبَتُ عِنْدَ الْهَوْلِ وَالْوَهْلِ
 فَقَدْ مَضَى الْمِصْطَفَى الْمُخْتَارُ فِي الرُّسُلِ
 كَالنَّعْتِ كَالْعُطْفِ كَالْتَوْكِيدِ كَالْبَدَلِ
 وَفِي الْأَوَاخِرِ مَا يُسْئَلِي عَنِ الْأَوَّلِ
 حَتَّى تَبْلُغَ فِيهِ غَايَةَ الْأَمَلِ

• التخریج: الوافي في نظم القوافي ص ٨٤-٨٨، وكناشة ابن الطيب العلمي ورقة ٨٤ ظ - ٨٧ و.

وقال أيضاً رحمه الله: [المتقارب]

- ١ - خَلِيلِي مَسَا الدَّهْرُ إِلَّا دَوْلُ
٢ - لَيْسَالِ بَلَّغْنَا بِهِنُ الْمُنَى
٣ - فَلِلَّهِ جَافُفْنُ لَهُ نَانِمُ
٤ - وَقَدْ هَزَّ عِطْفِيهِ غُصْنُ الزَّمَانِ
٥ - فَأَتَمَّرَ بِالْوَصْلِ حَتَّى دَنَا
٦ - إِلَى أَنْ رَمَانَا غُرَابُ النُّوَى
٧ - فَمَا زَالَ يَنْعِقُ مَا بَيْنَنَا
٨ - فَفَرَّقَ بِالرَّغْمِ شَمْلَ الْمُنَى
٩ - فَيَا حُسْنَ عَهْدٍ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ
١٠ - إِلَّا قَاتِلَ اللَّهِ يَوْمَ النُّوَى
١١ - وَرَوْعَ بِالْبَيْنِ تِلْكَ الْخُمُولِ
١٢ - أَجِيرَةَ نَجْدٍ سَقَى عَهْدَكُمْ
١٣ - قَضَى كُلَّ شَيْءٍ سِوَى حُبِّكُمْ
١٤ - فَلَا تَحْسِبُونَا نَسِينَاكُمْ
١٥ - وَيَوْمَ أَرَدْنَا بِهِ الْهَوَى
١٦ - مَرْجِنَا الْمُدَامَ بِعَذْبِ الرُّضَابِ
١٧ - وَمِلْنَا إِلَى كُتُبِ زَيْنَتِ
١٨ - وَصَلْنَا عَلَى الْعَدْلِ حَتَّى عَنَا
١٩ - وَفِي الْأُسْدِ بَيْنَ نُيُوبِ الظُّبَا
٢٠ - مَهَا فِي الْخُدُورِ كَمِثْلِ الْبُدُورِ
٢١ - نَظْمُنُ الْكَوَاكِبَ فِي سَوَوسِنِ
٢٢ - وَقُلْدُنَ بِالْحُسْنِ تِلْكَ الطُّلَا

٢٣ - أَمَّا وَارْتِيَا عِي فَارْقَتْ (١)
 ٢٤ - لَقَدْ صَحَّ أَنْ دَمِي عِنْدَهَا
 ٢٥ - وَلَوْ أَنَّ قَاضِي الْهَوَى بَيْنَنَا
 ٢٦ - أَخَذْتُ بِثَأْرِي فَعَانَقْتُهَا
 ٢٧ - وَأُقْسِمُ لَوْلَا رَقِيبُ الْمَشِيبِ
 ٢٨ - لَمَزَقْتُ صَبْرِي بِكَفِّ الْهَوَى
 ٢٩ - وَحَكَمْتُ فِي حَلِّ هَمِّيَانِهَا
 ٣٠ - وَسَابَقْتُ بِاللُّحْظِ مِنْهَا الْمَلَامَ
 ٣١ - رَعَى اللَّهُ عَهْدًا لَنَا بِاللَّوَى
 ٣٢ - مَعَاهِدُ أَنْسِ ذَوَى زَهْرَهَا
 ٣٣ - وَرَفَعْتُ بِهَا بَاكِيًا سَائِلًا
 ٣٤ - وَمَاذَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْبُكَاءُ
 ٣٥ - أَيَا حَسْرَتِي لِمَشِيبِ أَتَى
 ٣٦ - تَوَلَّى الشَّبَابُ وَكَانَ الْحَبِيبُ
 ٣٧ - أَلَا مَنْ يَرُدُّ عَلَيَّ الصَّبَابَ
 ٣٨ - وَأَغْفِرُ لِلدَّهْرِ مَا قَدْ جَنَى
 ٣٩ - أَمِيرُ الْمَعَالِي وَرَبُّ النَّدَى
 ٤٠ - هُمَامٌ إِذَا مَا جَرَى ذَكَرَهُ
 ٤١ - صَمِيمُ الْمَعَالِي كَرِيمُ الْفِعَالِ
 ٤٢ - تَجَلَّتْ حُلَاهُ وَجَلَّتْ عُلَاهُ
 ٤٣ - وَمَا الْبَدْرُ مُطْلَعًا بِالسُّعُودِ
 ٤٤ - لَقَدْ زَيْنَ الْمُلُكُ مِنْهُ فَتَى
 ٤٥ - فَتَى لَا يَخِيبُ لَهُ سَائِلُ
 ٤٦ - أَفَاضَتْ يَدَاهُ جَزِيلَ نَدَاهُ

قَسِيُّ الْجُفُونِ سِيَهَامُ الْمُقَلِّ
 بِذَاكَ الْخِضَابِ وَذَاكَ الْخَجَلِ
 إِذَا مَا احْتَكَمْنَا إِلَيْهِ عَدْلُ
 وَأَطْفَأَتْ مِنْ لَوْعَتِي مَا اشْتَعَلَ
 وَمَا بِالْفُؤَادِ لَهُ مِنْ وَجَلِ
 وَمِلْتُ مَعَ الْحُبِّ حَسْبِي يَمَلُ
 يَمِينُ النَّصِيبِ وَإِنْ لَمْ يَحِلْ
 فَقَدْ سَبَقَ السَّيْفُ قَبْلِي الْعَدْلُ
 وَأَكْنَفَ نَجْدًا وَتِلْكَ الْحُلُلُ
 كَأَنَّ بُكَائِي عَلَيْهِ ذَبَلُ
 وَقَدْ يَفْعَلُ الْبَيْنُ مَا قَدْ فَعَلَ
 وَمَاذَا يُفِيدُ سُؤَالَ الطَّلُ
 وَيَا حَسْرَتًا لِشَبَابِ رَحَلِ
 فَهَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَيْهِ وَهَلْ
 فَأَقْضِي مَنَى النَّفْسِ قَبْلَ الْأَجَلِ
 كَأَنِّي رَأَيْتُ الْأَمِيرَ الْأَجَلَ
 وَمَغْنَى الْمُلُوكِ وَفَخْرُ الدُّوَلِ
 تَظُنُّ الْهَوَا بِمِيسْكٍ يُعَلِّ
 بَدِيعُ الْخِلَالِ رَفِيعُ الْمَحَلِ
 فَمَاذَا السَّمَاءُ وَمَاذَا رُحَلُ
 وَمَا الشَّمْسُ حَلَّتْ بِرَأْسِ الْحَمَلِ
 يَفُوتُ الْكُهُولَ وَلَمْ يَكُنْ هَلْ
 يَزِيدُ نَدَاهُ عَلَى مَا سُئِلَ
 فَغُصْنُ الْأَمَانِي نُضِيرُ خَضِيلَ

١ - مختارات ابن عزم: "فوقت".

- ٤٧ - بِحَيْثُ تَنَاعَى الثَّنَا وَالنَّدَى
 ٤٨ - كَرِيمُ الْخِلَالِ صَرِيحُ الْعُلَا
 ٤٩ - يُبْلَغُ بِالْفَضْلِ أَقْصَى الْمَنَى
 ٥٠ - وَتَعْنَمُ سَرَحُ الثَّنَا مَجْدَهُ
 ٥١ - فَهَيْئَتُهُ فَوْقَ هَامِ الْعُلَا
 ٥٢ - بِنَفْسِي أَفْدى وَأَمَالِهَا
 ٥٣ - يَمِيناً إِذَا الْقَطْرُ لَمْ يَنْسَكِبْ
 ٥٤ - تَعَلَّمَتِ الْبَسِطُ مِنْ خُلُقِهِ
 ٥٥ - فَلَمْ تَقْبِضْ إِلَّا عَلَى مُرْهَفٍ
 ٥٦ - تَرَى الْبَدْرَ تَاجاً عَلَى رَأْسِهِ
 ٥٧ - يَسِيرُ إِلَى الرَّوْعِ^(١) سَيْرَ الْقَضَا
 ٥٨ - وَيُشَبِّهُ مِنْ عَزْمِهِ مَاضِياً
 ٥٩ - إِذَا مَا أَشَارَ لِأَمْرِ بِهِ
 ٦٠ - وَأَسْمَرَ لَدُنْ كَلْحَظِ الرَّشَا
 ٦١ - كَأَنَّ شِهَاباً عَلَى رَأْسِهِ
 ٦٢ - وَأَصْفَرَ كَالصَّبِّ ذِي^(٢) رَوْنَقٍ
 ٦٣ - بَدِيعُ الصِّفَاتِ حَدِيدُ الشَّبَابَةِ
 ٦٤ - إِذَا لَجَّ فِي مُهْرَقٍ رِيقُهُ
 ٦٥ - وَمَا هُوَ إِلَّا حَيَاةٌ وَمَوْتُ
 ٦٦ - يُعَبِّرُ عَمَّا وَرَاءَ الضَّمِيرِ
 ٦٧ - إِذَا أَعْمَلَتْهُ يَمِينُ الْأَمِيرِ
 ٦٨ - يَقُومُ فَيَمْشِي عَلَى رَأْسِهِ
- فَلَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا الْمُرْتَحِلُ
 فَمَا فِي خِلَالِ عُلَاهُ خَلَلُ
 وَيَبْلُغُ بِالْفِعْلِ مَا لَمْ يَنْلُ
 بِمَالِ جَبَّانٍ وَجُودٍ بَطْلُ
 وَمِنْئَنَّهُ فَوْقَ ظَنِّ الْأَمَلِ
 وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ جُهِدُ الْمُقِلِ
 فَمَا هُوَ إِلَّا عَلَيْهَا اتِّكَلُ
 إِذَا زَالَ عَنْ طَبْعِهِ الْمُخْتَمَلُ
 حُسَامٌ مُعَدٌّ لِحَسَمِ الْغِلْ
 وَجَلَّى لَهُ عِنْدَمَا يَسْتَتِلهُ
 وَيَفْعَلُ فِي الْعُمْرِ فِعْلَ الْأَجَلِ
 تُجَلِّي بِهِ لِحَظَهَا مَا^(٣) يَحِلُّ
 وَمُذْ كَادَ أَنْ لَا يَكُونَ امْتَنَلُ
 تَعَلَّمَ مِنْ عَدْلِهِ فَاعْتَدَلُ
 إِذَا مَالَ نَحْوُ دِلَاصٍ أَمَلُ
 يُظَنُّ بِهِ الْحُبُّ مِمَّا نَحَلُ
 يَطُولُ الرَّمْسُ حَاحَ وَإِنْ لَمْ يَطُلْ
 تَقُولُ قَضِيْبٌ وَزَهْرٌ وَطُلْ
 وَشَهْدٌ وَصَابٌ وَعِزٌّ وَذُلْ
 وَيَفْعَلُ فِيهِلَ الظُّبَا وَالذُّبُلُ
 لِيَعْقِدَ أَمِيراً بِهِ أَوْ يَحُلُ
 بِحَيْثُ اخْتَفَتْ بِالْوَضُوحِ السُّبُلُ

١ - المنظوم: "الروح".

٢ - المنظوم: "مهما".

٣ - الإحاطة: "في".

- ٦٩ - خُضُوعاً لِمَنْ حَقُّهُ وَاجِبٌ
٧٠ - وَأَرْعَنَ كَالْبَحْرِ تَطْفُؤُ بِهِ
٧١ - وَتَسْبَحُ فِي مَوْجِهِ ضُمُرٌ
٧٢ - وَتُورُ يَمُرُّ كَمَرُ السُّحَابِ
٧٣ - إِذَا طَافَ فِي الْأَرْضِ طُوفَانُهُ
٧٤ - يَرُوعُ الْعُودُ بِهِ أَرْوَعُ
٧٥ - يَطْعَنُ بِهِ يَعْرِفُونَ الرَّدَى
٧٦ - مَلِيكَ مَلِيكَ لَرِيْقِ الْعُودِ
٧٧ - يُسَاعِدُهُ السَّعْدُ فِيمَا نَوَى
٧٨ - فَلَا يَزْجُرُ الْخَطْبُ إِلَّا أَنْتَهَى
٧٩ - أَلَا خُذْ إِلَيْكَ أَمِيرَ الْعُلَا
٨٠ - نَسِيباً نَسِيباً لَتَلَكَّ الْحُلَا
٨١ - يَطِيبُ الْمَدِيحُ وَلَا سِيئُ مَا
٨٢ - قَبَاهِ الْمُلُوكِ بِهَا وَالسُّلُوكِ
٨٣ - بَقِيَّتْ وَقِيَّتْ حَيِّتْ حَيِّتْ
٨٤ - وَلَا زِلْتَ مَا شِئْتَ تُفْنِي الْعُدَاةَ
٨٥ - وَتُبْصِرُ بِالرَّأْيِ مَا لَا يُرَى
- وَسَمْعاً لِمَنْ أَمَرُهُ مُتَتَلِّ
حَيَاةُ الْقَبَابِ وَسَبْقُ الْإِبِلِ
بِهِنَّ مِنَ النَّيْبِ شِبْبُهُ الْكَسَلِ
فَيَطْوِي الْمَرَاصِدَ طَيِّ السَّجَلِ
فَلَنْ يَغْصِمَ الْعُصْمَ مِنْهُ جَبَلِ
يَرُدُّ الْجُيُوشَ وَلَمْ يَحْتَفِلِ
وَضَرَبَ بِهِ يَضْرِبُونَ الْمَثَلِ
إِذَا مَا أَزْدَهَى غَيْرُهُ بِالْخَوْلِ
وَيَصْحَبُهُ النَّصْرُ حَيْثُ ارْتَحَلِ
وَلَا يَأْمُرُ الدَّهْرُ إِلَّا أَمْتَتَلِ
حَلَالاً مِنْضِ السَّخَرِ لَمْ يُنْتَحَلِ
وَمَدْحاً شَبِيهَاً بِوَشْيِ الْحُلِّ
إِذَا هَبَّ فِيهِ نَسِيمُ الْغَزْلِ^(١)
وَجَالِدٌ وَجَادِلٌ وَقَاخِرٌ وَصُلِّ
سُرِرْتُ نُصِيرْتُ بَلَّغْتَ الْأَمَلِ
وَتُحْيِي الْعُفَاةَ وَتَشْفِي الْعِلْلِ
وَتَبْلُغُ بِالسَّعْدِ مَا لَمْ يُنَلِّ

• التخریج: الأبيات (١-٨٥) في المنظوم والمنثور ورقة ٤٢ ظ - ٤٤ ظ، والأبيات (٢٣-٢٦) في مختارات ابن عزييم ص ٤٢، والأبيات (٦٢-٦٣، ٦٦) في الإحاطة ٣/٣٦٨، والبيت (٦٥) في الوافي في نظم القوافي ص ١٣٨ .

١ - يؤمن إلى قول المتنبي: إذا كان مدحُ فالنسيبُ المقدمُ أكلُ فصيحٍ قال شعراً متيماً

انظر: ديوانه ٢/ ص ٣٥٠ .

عند الفرار، لا يُطَمَعُ فيها، ولا يُطْمَحُ لِشَفِّ فيها، فما يُفْتَرُ عنها إلا مَنْ يَخْتَرِعُهَا. مَنْ
ذا يُزَاعِيكَ، وأن تدرك مَرَّاسِيكَ النُّجُومُ أَثْرَكَ، والثَرِيَّا في وَسْطِ السَّمَاءِ أَثْرَكَ، فَأَتِ بِكُلِّ
بديعة، واستخدم الرُّمَانَ وبديعة. والسلامُ عليك بقدر الشوق.

• التخرّيج: المنظوم والمنثور ورقة ٥٩ و- ٥٩ ظ.

النون

(١٥٠)

قال ابن عذاري: وقد رثى الأندلس كثير من الأدباء فمن ذلك قول صالح بن
شريف من قصيدة^(١): [البسيط]

- ١ - لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ فَلَا يُغَرُّ بِطِيبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ
- ٢ - هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتَهَا^(٢) دَوْلُ مِنْ سَرَّةِ زَمَنْ سَاءَتْهُ أَرْمَانُ
- ٣ - وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ^(٣) وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ
- ٤ - يُمَرِّقُ الدَّهْرُ حَتْمًا^(٤) كُلَّ سَابِغَةٍ إِذَا نَبَتْ مَشْرِفِيَّاتُ وَخَرَصَانُ
- ٥ - وَيَنْتَضِي كُلُّ سَيْفٍ لِلْفَنَاءِ وَلَوْ كَانَ ابْنُ ذِي يَزْنٍ وَالْغِمْدَ عُمْدَانُ

١ قال ابن أبي زرع في الذخيرة السنية، في إطار الحديث عن الظرف التاريخي الذي نظم فيه الرندي هذه القصيدة (ص ١١١): "ولما أعطى ابن الأحمر البلاد المذكورة للألفونس، قال الفقيه [أبو الطيب] صالح بن شريف الرندي يرتى بلاد الأندلس، ويستنصر بأهل العدو من [بني] مرين وغيرهم بهذه القصيدة: "...
وقال المقرئ في أزهار الرياض ص ٤٧/١ ونظم الطيب ٤٨٨/٤: "ولله ذر الإمام العالم العلامة خاتمة أدباء الأندلس أبي الطيب صالح بن شريف الرندي رحمه الله، إذ قال يندب بلاد الأندلس، ويبعث العزائم، ويحركها من أهل الأندلس لتصرة الدين، وإنقاذ البلاد من يد الكافرين، ولشأن الحال ينشده: (لقد سمعت لونايت حيا)..."
أما شهاب الدين الخفاجي، فقد نسب القصيدة (في ربحانة الألبا ص ١٧٨)، إلى السيد يحيى القرطبي، فقال في ترجمته: "أسر بالأندلس في وقعة أسرت أفراح القلوب، وشقت قلوب المؤمنين قبل الجيوب، فأصبح في حال تعد المتايا أمانيًا، ويرى لضعف الدين الموت طيباً شافياً، إذ عثرت خيول الفتن والنقم، بذوي المروءة والنعم، فأرسل قصيدة نعى بها الإسلام، ونادى ملوك الروم وعلماءها الأعلام، فلم يجد بها صفيًا، يقول له لقد سمعت لونايت حيا، وذلك في عهد السلطان سليمان الذي دخل في خبر كان، وهي هذه:..."

٢ - البيان المغرب: "كما تدري لها".

٣ - ربحانة الألبا: "وعالم الكون لا تبقى محاسنه".

٤ - ربحانة الألبا: "منا".

- ٦ - **أَيْنَ** الملوك ذوو النسيجان من يمن
٧ - **وَأَيْنَ** ما شادة شداد في (١) إرم
٨ - **وَأَيْنَ** ما خازة قارون من ذهب
٩ - أتى على الكل أمر لا مرد له
١٠ - وصار ما كان من ملك ومن ملك (١)
١١ - دار الزمان على دارا وقائلة
١٢ - كائنما الصعب لم يستهل له سبب
١٣ - فجائع الدهر أنواع منوعة
١٤ - وللحوادث سلوان يهونها (٧)
١٥ - نهى الجزيرة أمر (٨) لا عزاء له
١٦ - أصابها العين في الإسلام فارتزنت (٩)
١٧ - فاسأل بالنسيئة (١١) ما شأن مرسية (١٢)
وَأَيْنَ منهم أكاليل وتيجان
وَأَيْنَ ما ساسة في القوس (١٣) ساسان
وَأَيْنَ عاد وشداد وقحطان
حتى قضوا فكان القوم (١٤) ما كانوا
كما حكى عن خيال الطيف (١٥) وسنان
وأم كسرى فما أواه إيوان
يوما ولا ملك الدنيا سئيمان
وللزمان مسرات وأحزان (١٦)
وما حل بالإسلام سلوان
هوى له أخذ وأنهد ثهلان
حتى خلت منه أقطار (١٧) وتلدان
وَأَيْنَ شاطبة (١٨) أم أين جيان (١٩)

- ١ - ربحانة الألبا: "من".
٢ - البيان المغرب: "الملك".
٣ - ربحانة الألبا: "الكل".
٤ - البيان المغرب: "فخلقوا عبرا وأصبحوا خيرا" والذخيرة السنية: "تخلفوا عبرا".
٥ - البيان المغرب: "الطرف".
٦ - البيان والذخيرة: "وبعضها فوق بعض وهي ألوان".
٧ - الذخيرة: "يسهلها".
٨ - البيان والذخيرة وريحانة: "خطب".
٩ - البيان والذخيرة: "قامتحتت".
١٠ - البيان والذخيرة: "أوطان".
١١ - سقطت هذه المدينة في يد النصارى، واستولى عليها خابيمي الأول سنة ٦٣٦ هـ.
١٢ - كان سقوط هذه المدينة في يد المسيحيين وخروج المسلمين منها سنة ٦٦٥ هـ.
١٣ - أهل الإسلام في شاطبة سنة ٦٤٥ هـ بعد سقوطها في يد ملك أراغون خابيمي الأول، إذ أقدم النصارى على طرد أهلها من المدينة.
١٤ - كانت جيان تحت طاعة الأمير النصري محمد بن يوسف بن نصر، وفي حربه وجماعته مدة من عشرين سنة. ولا صالح هذا الأمير ملك قشتالة إدفونس في سنة ٦٤٤ هـ، أعطاهم في هذا السلم المذكور مدينة جيان وما والاها من الحصون والمعقل.

- ١٨ - وَأَيْنَ قَرْطَبَةَ^(١) دَارُ الْعُلُومِ فَكُمُ
 ١٩ - وَأَيْنَ جِمَّصَ^(٢) وَمَا تُخَوِّيه مِنْ نَزْهِ
 ٢٠ - وَأَيْنَ غَرْنَاطَةَ دَارُ الْجِهَادِ وَكُمُ
 ٢١ - وَأَيْنَ حَمْرَاوُهَا الْعُلْيَا وَزُخْرُفُهَا
 ٢٢ - وَالْمَاءُ يَجْرِي بِسَاحَاتِ الْفُصُورِ بِهَا
 ٢٣ - وَأَيْنَ جَامِعُهَا الْمَشْهُورُ كَمْ تَلَيْتُ
 ٢٤ - وَعَالِمُ كَانَ فِيهِ لِلْجَهْلُولِ هُدًى
 ٢٥ - وَعَابِدُ خَاشِعٌ لِلَّهِ مُبْتَثِّلُ
 ٢٦ - وَوَادٍ شَنْجِيلِ^(٣) يَحْكِي فِي تَحَنُّشِهِ
 ٢٧ - وَأَيْنَ بَسْطَةَ^(٤) دَارُ الرُّعْفَرَانِ فَهَلْ
 ٢٨ - كَذَا الْمَرِيَّةُ^(٥) دَارُ الصَّالِحِينَ فَكُمُ
 ٢٩ - وَأَيْنَ مَالِقَةَ^(٦) مَرَسَى الْمَرَائِبِ كُمُ
- مِنْ عَالِمٍ قَدْ سَفَتْ فِيهَا لَهُ شَانُ
 وَنَهْرُهَا الْعَذْرُ فَيُأْضِ وَمَلَانُ
 أُسْتُ بِهَا وَهُمْ فِي الْحَرْبِ عُقْبَانُ
 كَانَتْهَا مِنْ جِنَانِ الْخُلْدِ عَدْنَانُ
 قَدْ خَفَّ جَدُّوَلَهَا زَهْرٌ وَزَيْحَانُ
 فِي كُلِّ وَقْتٍ بِهِ أَيُّ وَفَرَقَانُ
 سَدَرَسَ وَلَهُ فِي الْعِلْمِ تَبْيِيحَانُ
 الدَّمْعُ مِنْهُ عَلَى الْخَدَّيْنِ طُوفَانُ
 سَيُوفٌ هُنْدِلُهُ فِي الْجَوِّ لَمَعَانُ
 رَأَى شَبِيهَا لَهَا فِي الْحُسْنِ إِسْنَانُ
 قُطِبَ بِهَا عِلْمٌ غَوَّثْلُهُ شَانُ
 أَرَسَتْ بِسَاحِلِهَا فُلُكٌ وَغَرَبَانُ

١ - ربحانة، كذا طليطلة.

ولعل من أسباب سقوط هذه المدن في يد النصارى التنازع بين ابن هود وابن نصر على قرطبة وإشبيلية وما إليها. وقد تم سقوط قرطبة سنة ٦٣٣ هـ.

٢ - يقصد إشبيلية، وقد سقطت نهائياً في يد فرناندوا الثالث سنة ٦٤٦ هـ.

٣ - في الأصل «وادي شلين».

وهذا الوادي يسمى أيضاً في الجغرافيا الأندلسية بنهر سنجيل أو وادي شنيل، وهو نهر غرناطة ويصب في نهر الوادي الكبير.

قال ابن الخطيب في معرض الافتخار بهذا النهر: «وما لمصر تفخر بنيلها وألف منه في شنيلها؟ يعني أن الشين عند أهل المغرب عددها ألف. فقولنا شنيل إذا اعتبرنا عدد شينها كان ألف نيل». الإحاطة ١/٣٣٣ ونفع الطيب ١٤٨/١-١٤٩.

وكان الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الكاتب الغرناطي (ت ٦٠٧ هـ) قد أخرج في صحته وجوازه أربعة آلاف دينار من صميم ماله لتتيمم القنطرة التي بنيت على وادي شنيل بخارج غرناطة، الإحاطة ٢/٢١١.

٤ - حوصرت بسطة أول الأمر من قبل الملكين فردناند وإيزابيلا سنة ٨٩٤ هـ وبعد سبعة أشهر من الصبر والصمود والجهاد، تم تسليم المدينة نهائياً في عام ٨٩٤ هـ.

٥ - سقطت في سنة ١١١٧م تحت سطوة جيش قشتالة بقيادة الملك ألفونسو الثامن، وبمساعدة جيوش قدمت من نافار وجنوة، ثم استعادها المسلمون. وقد تبعت المدينة في آخر عهدها الأندلسية مملكة غرناطة قبل أن يستولي عليها النصارى نهائياً في سنة ٨٩٥ هـ.

٦ - كان استيلاء النصارى على مدينة مالقة في أواخر شعبان عام ٨٩٢ هـ.

٣٠ - وَكَمْ بِدَاخِلِهَا مِنْ شَاعِرٍ قَطِينٍ
 ٣١ - وَكَمْ بِخَارِجِهَا مِنْ مُتْرَمٍ قَبِيرٍ
 ٣٢ - وَأَيُّنَ جَارُهَا الرُّهْرَا وَقُبُتُهَا
 ٣٣ - وَكَمْ شَجَاعَ زَعِيمٍ فِي الْوَعَى بَاطِلٍ
 ٣٤ - كَمْ جُنْدَلَتْ يَدُهُ مِنْ كَافِرٍ قَعْدَا
 ٣٥ - وَوَادِي أَشْ (١) عَدَتْ بِالْعِرْ غَامِرَةٌ
 ٣٦ - قَوَاعِدُ كُنْ أَرْكَانَ الْبِلَادِ قَمَا
 ٣٧ - تَبْكِي الْحَنِيفِيَّةَ الْبَيْضَاءُ مِنْ أَسْفَرٍ
 ٣٨ - عَلَى دِيَارٍ مِنَ الْإِسْلَامِ خَالِيَةٍ (٢)
 ٣٩ - حَيْثُ الْمَسَاجِدُ قَدْ صَارَتْ كُنَائِسَ مَا (٣)
 ٤٠ - حَتَّى الْمَحَارِبُ تَبْكِي وَهِيَ جَامِدَةٌ
 ٤١ - يَا عَافِلًا وَلَهُ فِي الدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ
 ٤٢ - وَمَاشِيًا مَرَحًا بِلَهْبِهِ مَوْطِنُهُ
 ٤٣ - تِلْكَ الْمَصِيبَةُ أُنْسَتْ مَا تَقْدُمُهَا
 ٤٤ - يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْبَيْضَاءُ رَأَيْتُهُ
 ٤٥ - يَا رَاكِبِينَ عِثَاقَ الْحَيْلِ ضَامِرَةٌ

وَذِي فُنُونٍ لَهُ جِدْقٌ وَتَبَيَّانُ
 وَجَنَّةٌ حَوْلَهَا نَهْرٌ وَيُسْتَبَآنُ
 وَأَيُّنَ يَا قَلُومَ أَبْطَالٍ وَفَرَسَانُ
 بَدَالُهُ فِي الْعِدَى قَسَتْكَ وَإِمْعَانُ
 تَبْكِيهِ مِنْ أَرْضِيهِ أَهْلُ وَوَلْدَانُ
 وَرَدُّ تَوْحِيدِهَا شِرْكٌ وَطَغْيَانُ
 عَسَى الْبَقَاءُ (٤) إِذَا لَمْ يَتَّقِ أَرْكَانُ
 كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الْإِلَفِ هَيْحَانُ (٥)
 قَدْ أَسْلَمَتْ (٦) وَلَهَا بِالْكَفْرِ غُمْرَانُ
 فِيهِنَّ إِلَّا نَوَاقِيسُ وَصُلْبَانُ
 حَتَّى الْمَنَابِرُ تَرْتِي (٧) وَفِي عِيدَانُ
 إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةِ فَالِدَهْرِ يَقْظَانُ
 أَبْعَدَ حِمْمٍ تَغُورُ الْمَرَّةَ (٨) أَوْطَانُ
 وَمَا لَهَا مَعَ طَوْلِ الدَّهْرِ نِسْيَانُ
 أَذْرَكَ بِسَيْفِكِ (٩) أَهْلُ الْكُفْرِ لَا كَانُوا
 كَانَتْهَا فِي مَجَالِ السَّقْبِ عَقْبَانُ

١ - فِي سَنَةِ ٦٣٠ هـ. أَصْبَحَتْ وَادِي أَشْ تَابِعَةً لِقَرْنَاطَةِ، وَشَاهِدَةً عَلَى أَرْكَانِ دَوْلَةِ بَنِي نَصْرٍ، وَبَقِيَتْ كَذَلِكَ حَتَّى اسْتَوْلَى عَلَيْهَا الْمَلِكُ فَرْدِيْنَانْدُو سَنَةِ ٨٩٥ هـ.

٢ - رِيحَانَةٌ، "الْبِكَاءُ".

٣ - الْبَيَانُ وَالذَّخِيرَةُ، "كَمَا يَكْتُو لِرَسُولِ اللَّهِ أَجْقَانُ".

٤ - الْبَيَانُ وَالذَّخِيرَةُ، "عَلَى بَيُوتٍ مِنَ الْإِسْلَامِ عَاطِلَةٌ".

٥ - رِيحَانَةٌ، "أَفْضَرْتُ".

٦ - الْبَيَانُ، "صَارَتْ كُنَائِسَ قَدْ صَالَ الضَّلَالُ بِهَا" وَالذَّخِيرَةُ، "صَارَتْ كُنَائِسَ قَدْ طَالَ الضَّلَالُ بِهَا".

٧ - رِيحَانَةٌ، "تَبْكِي".

٨ - الذَّخِيرَةُ، "الْقَوْمُ".

٩ - يَسْتَنْجِدُ الرَّنْدِيُّ بِالْمَرْيَنِيِّينَ لِإِنْقَازِهِ مَا يُمْكِنُ إِقْنَازُهُ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ، وَلَعَلَّهُ يَسْتَحْضِرُ هُنَا اسْتَنْجَادَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ

مُحَمَّدَ بْنِ الْأَبَارِ بِالْحَفْصِيِّينَ لِإِنْقَازِ بِلَاسِيَةِ، حَيْثُ تَنَظَّمُ قَصِيدَةً فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ، مَطْلَعُهَا:

أَدْرَكَ بِخَيْلِكَ خَيْلَ اللَّهِ أَنْدَلُسًا إِنْ السُّبَيْلَ إِلَى مَنَاجِبِهَا دَرَسًا
 وَهَبَ لَهَا مِنْ عَزِيزِ النَّصْرِ مَا تَمَسَّتْ فَلَمْ يَزَلْ مِنْكَ عِزُّ النَّصْرِ مَلْتَمَسًا

٤٦ - وَحَامِلِينَ سُلُوفَ الْهَيْدْرِ مُرْهَفَةً
 ٤٧ - وَرَاتِعِينَ وَرَاءَ الْبَحْرِ فِي دَعَا
 ٤٨ - أَعْبُدْكُمْ نَبِيًّا^(١) مِنْ أَهْلِ أُنْدَلُسِ
 ٤٩ - كُمْ يَسْتَعِثُّ بَنُو^(٢) الْمُسْتَضْعَفِينَ^(٣) وَهُمْ
 ٥٠ - مَاذَا التَّقَاطُعُ فِي الْإِسْلَامِ بَيْنَكُمْ
 ٥١ - أَلَا نُفُوسُ أُنْبِيَاءٍ لَهَا هِمَمٌ
 ٥٢ - يَا مَنْ لِيْذِلَّةٍ^(٤) قَوْمٌ بَعْدَ عِزِّهِمْ^(٥)
 ٥٣ - بِالْأَمْسِ كَانُوا مَلُوكًا فِي مَنَازِلِهِمْ
 ٥٤ - فَلَوْ تَرَاهُمْ حَيَارَى لَا دَلِيلَ لَهُمْ
 ٥٥ - وَلَوْ رَأَيْتُ بُكَاهُمُ عِنْدَ بَيْعِهِمْ
 ٥٦ - كُمْ مِنْ أَسِيرٍ يَحْبِلُ الذُّلُّ مُعْتَقَلُ
 ٥٧ - يَا رَبُّ أُمِّ وَطِئِلٍ حَيْلٌ بَيْنَهُمَا
 ٥٨ - وَطِئِلَةٌ^(٦) مَا رَأَتْهَا الشَّمْسُ إِذْ بَرَزَتْ^(٧)
 ٥٩ - يَقُودُهَا الْعَلِجُ لِلْمَكْرُوهِ مَكْرَمَةً^(٨)
 ٦٠ - لِمِثْلِ هَذَا يَذُوبُ الْقَلْبُ مِنْ كَمَدٍ
 ٦١ - هَلْ لِلجِّهَارِ بِهَا مِنْ طَالِبٍ فَلَقَدْ
 ٦٢ - وَأَشْرَفَ الْخُورَ وَالْوِلْدَانَ مِنْ عُزْفٍ
 ٦٣ - ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ

كَانَتْهَا فِي ظِلَامِ النَّفْعِ نَيْزَانُ
 لَهُمْ بِأَوْطَانِهِمْ عِزٌّ وَسُلْطَانُ
 فَقَدْ سَرَى بِحَدِيثِ الْقَوْمِ رُكْبَانُ
 أَسْرَى وَقَتْلَى فَمَا يَهْتَرُ^(٩) إِنْسَانُ
 وَأَنْتُمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانُ
 أَمَا عَلَى الْخَيْرِ أَنْصَارُ وَأَعْمَاقُ
 أَحَالَ خَالَهُمْ كُفْرًا وَطُغْيَانًا^(١٠)
 وَالْيَوْمَ هُمْ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ عُيُودَانُ
 عَلَيْهِمْ مِنْ ذِيَابِ الذُّلِّ أَلْوَانُ
 لَهَا لَكِ الْأَمْرُ وَاسْتَهْوَتْكَ أَحْزَانُ
 كَأَنَّهُ مَيِّتٌ وَالذُّلُّ أَكْفَانُ
 كَمَا تَفَرَّقَ أَرْوَاحُ وَأَبْدَانُ
 كَأَنَّمَا هِيَ يَأْفُوتُ وَمَرْجَانُ
 وَالْعَيْنُ بِأَكْيَةِ وَالْقَلْبُ حَيْرَانُ
 إِنْ كَانَ فِي الْقَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِيمَانُ
 تَرَخَّرَتْ جَنَّةُ الْمَأْوَى لَهَا شَانُ
 فَارَتْ لَعْمَرِي بِهِذَا الْخَيْرِ شُجْعَانُ
 مَا هَبَّتْ رِيحُ الصَّبَا وَاهْتَرَأُ غُصْنَانُ

١ - الذخيرة: "خير".

٢ - الذخيرة: "بها".

٣ - ريحانة: "صناديد الرجال".

٤ - الذخيرة: "يهتم".

٥ - ريحانة: "لنصرة".

٦ - الذخيرة: "عزتهم" وريحانة: "قسموا فرقا".

٧ - الذخيرة: "كانهم وهم الأحرار عبادان"، وريحانة: "سطا عليهم بها كفر وطغيان".

٨ - ريحانة: "وفادة".

٩ - ريحانة: "بارزة".

١٠ - ريحانة: "عند السبي صاغرة".

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أ. المصادر والمراجع باللغة العربية:

[حرف الألف]

- 01- القراءان الكريم، برواية ورش عن نافع.
- 02- ابن أبي الأصبع المصري ، تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: تقديم وتحقيق: حنفي محمد شرف، مطابع شركة الإعلانات الشرقية القاهرة، 1963.
- 03- ابن جني، سر صناعة الإعراب ، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، ط1 ، دمشق، 1985.
- 04- ابن طباطبا، عيار الشعر، تح: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د.ط).
- 05- ابن عاشور (محمد الطاهر)، التحرير و التنوير، الدار التونسية، للنشر، تونس و المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، (د.ط) .
- 06- ابن مالك ،تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق محمد كامل بركات ،دار الكتاب العربي، 1387.
- 07- ابن منظور، لسان العرب، مكتبة دار المعارف، (د ط)، القاهرة، 1979.

- 08- إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النص - دراسات وبحوث/ نقد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1997.
- 09- إبراهيم محمود خليل ، في اللسانيات ونحو النص ،دار المسيرة ، ط3 ، عمان، 2015 .
- 10- أبو بكر جلال الدين السيوطي ، الإتيقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م.
- 11- أبو الفتح البستي ،الديوان،تحقيق:دريّة الخطيب ولطفي الصقال،مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق، 1989 .
- 12- أبو يعرب المرزوقي، مفهوم السببية عند الغزالي، دار أبو سلامة للطباعة، تونس، ط2.
- 13- أبو هلال بن عبد الله بن سهل العسكري، كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) ، تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1952م
- 14- أحمد بن المقرئ التلمساني، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، ط1، القاهرة، 1939.
- 15- أحمد بن المقرئ التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس ط1، دار صادر بيروت، 1968.
- 16- أحمد الشايب ، الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، ط8، 1993م.

- 17- أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2001.
- 18- أحمد المتوكل ، الخطاب وخصائص اللغة العربية ، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2010.
- 19- أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر ، دمشق ، ط 3 ، 2008.
- 20- أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، عالم الكتب، القاهرة، ط1998، 5.
- 21- أحمد كشك، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، ط1، القاهرة ، 1403هـ-1983م.
- 23- الأزهر الزناد:
- نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصًا، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1993.
- النص والخطاب مباحث لسانية عرفنية، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، ط1، 2014 .
- 26- أوزوالد ديكر و جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2007.
- 27- أشرف عبد البديع عبد الكريم، الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، 2008.
- 28- إلهام أبو غزالة ، علي خليل أحمد ، مدخل إلى علم لغة النص ، تطبيقات لنظرية ديوجراند وولفجانج دريسلر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1999.

- 29- أمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية ، ترجمة سعيد بنكراد ، المركز الثقافي العربي ، ط2، 2004،

[حرف الباء]

- 30- بالمر.ف.ب، علم الدلالة إطار جديد، تر: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995.
- 31- البحتري، ديوان البحتري، تحقيق عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت، ط1، (د.ت).
- 32- بسام قطوس، سيمياء العنوان ، الأردن ، د.د ، ط1، 2001.

[حرف التاء]

- 33- تمام حسّان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2000.**
- اللغة العربية معناها ومبناها الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979.
- قرينة السياق ، بحث قُدّم في (الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم) مطبعة عبير للكتاب، 1993 .

[حرف الحاء]

36- حصة عبد الله سعيد البادي ،التتاص في الشعر العربي الحديث ، البرغوثي نموذجاً ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1، 2009.

37- حميدة مصطفى، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان.

38- حنيفة بناصر و مختار لزعر ، اللسانيات منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2009.

[حرف الخاء]

39- الخليل بن أحمد الفراهيديّ ، كتاب العين، تحقيق د. مهدي المخزوميّ و د. إبراهيم السامرائيّ، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1984.

40- خولة الإبراهيمي ، مبادئ في اللسانيات ، دار القصة للنشر ، الجزائر ، ط2، 2000 .

41- خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفاهيم ، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف بيروت، ط1، 2013.

42- خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ، دار جرير، عمان الأردن ، ط1، 2009.

43- خلود العموش،الخطاب القراءاني (دراسة في العلاقة بين النص والسياق) ،عالم الكتب الحديث، ط1، 2008.

[حرف الجيم]

44- جابر عصفور، المرايا المتجاورة، دراسة في نقد طه حسين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

45- الجاحظ، البيان والتبيين ، تحقيق : عبد السلام هارون - مكتبة الخانجي - القاهرة ، ط5 ، 1985م .

46- جاك موشر وأن ريبول ، القاموس الموسوعي للتداولية ، ترجمة مجموعة من اساتذة والباحثين من الجامعات التونسية ، دار سيناترا ، تونس ، 2010.

47- الجرجاني:

- الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق: عبد القادر حسن، ط/ دار مصر للطباعة (د.ت).

- دلائل الإعجاز ، تحقيق : رشيد رضا - دار المعرفة - بيروت 1981م

- التعريفات ، تحقيق: إبراهيم الأبياري، مطبعة دار الكتاب العربي - بيروت، 1409هـ

50- جميل عبدالمجيد ، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.

51- جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1991م.

52- ج هيو سلفرمان ، نصيات ، ت: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء - المغرب، ط1 ، 2002 .

53- جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة د. عباس صادق الوهاب، مراجعة د. يوثيل عزيز، دار الشؤون الثقافية، ط1، بغداد، 1987.

54- ج يول، و ج براون، تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، م.ع.س، 1997.

[حرف الدال]

55- ديان مكدونيل ، مقدمة في نظريات الخطاب ، ترجمة عز الدين إسماعيل ، القاهرة ، المكتبة الأكاديمية، ط1، 2001.

[حرف الراء]

56- الرازي، مختار الصحاح، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1999.

57- رشيد عمران، "مسارات التحول من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص، قراءة في بدايات ودواعي التأسيس والمساهمات العربية في اللسانيات النصية"، المؤتمر الدولي الأول في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ج1، دار كنوز المعرفة الأردن، ط1، 2013.

58- روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998.

59- رولان بارت ، علم النصّ، ضمن كتاب آفاق التناسلية، المفهوم والمنظور؛ ترجمة د. محمّد خير البقاعي، سلسلة دراسات أدبيّة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، 1998 .

60- ريكور بول، من النصّ إلى الفعل، ترجمة محمد برادة وحسان بورقيّة، مؤسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعيّة، ط1، القاهرة، 2001.

[حرف الزّاي]

- 61- الزواوي بغورة ، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو ،المجلس الأعلى للثقافة ، 2000.
- 62- زتسيسلاف وأورزنيك ،مدخل إلى علم النص ، مشكلات بناء النص ، ترجمة سعيد بحيري ، القاهرة ، مؤسسة المختار ، 1424- 2003.
- 63- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا بيروت(د.ت).
- 64- الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419، 1998.

[حرف السيّن]

- 65- سامي عياد حنا وآخرون، مكتبة ناشرون، بيروت، لبنان، (د ط)، 1997 .
- 66- سعد مصلوح ، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية ،دار البحوث العلمية ، مطبعة حسان ، ط1، القاهرة 1980 .
- 67- سعيد بحيري، علم لغة النصّ، المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، 1997.
- دراسات لغوية تطبيقية بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1: 1/2005م.

- إسهامات لغوية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة ، ترجمة سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة ، ط1 ، 2008 .

70- سعيد يقطين:

- انفتاح النص الروائي (النص والسياق) ، المركز الثقافي العربي، بيروت الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 2001م.

- تحليل الخطاب الروائي "الزمن ، السرد ، التبيين"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1989.

- من النص إلى النص المترابط - مفاهيم أشكال تجليات - عالم الفكر ، مج 32، ع2 ، أكتوبر-ديسمبر 2003 .

73- السكاكي، مفتاح العلوم ، ضبط وشرح: نعيم زرزور، ط/ دار الكتب العلمية بيروت، (د.ت).

[حرف الصاد]

74- صالح بلعيد ، دروس في اللسانيات التطبيقية ، دار هومة ، الجزائر ، 2003 .

75- صالح مفقودة، نصوص و أسئلة، دراسات في الأدب الجزائري، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط1، 2002.

76- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دار قباء للطباعة والنشر التوزيع، القاهرة، ج1، ط1، 2000.

77- صلاح فضل:

- بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد (164) صفر 1413هـ،
أغسطس 1992م.

- إنتاج الدلالة الأدبية، قراءة في الشعر والقص والمسرح، هيئة قصور الثقافة، القاهرة، 1993.

79- صلاح الدين صالح حسين، الدلالة والنحو، مكتبة القاهرة، (د.ط.دت).

[حرف الطاء]

80- الطاهر بن حسين بومزبر، التواصل اللساني والشعرية، مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكسون
منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2007.

81- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1985.

[حرف العين]

82- عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية، بنية الجملة العربية - التراكيب النحوية
والتداولية- علم النحو وعلم المعاني، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2004.

83- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب نحو بديل ألسني في نقد الأدب، الدار العربية للكتاب، ليبيا،
تونس، ط1، 1977.

84- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب-مقاربة لغوية تداولية- دار الكتاب الجديد،
بن غازي، ليبيا، ط1، 2004.

85- عبد الملك مرتاض، دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي"، لمحمد العيد آل خليفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د. ت).

86- عبد الوهاب المسيري، دراسات في الشعر، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2007 .

87- عبد الله الغدامي ، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريرية، نظرية وتطبيق ،المركز الثقافي العربي ، ط6 ، 2006.

88- عزة شبل، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، المقامات اللزومية للسرقي، مكتبة الآداب مصر، 1999م.

89- عمر أبو خرمة، نحو النص ، نقد نظرية وبناء أخرى، عالم لكتب الحديث، أربد .الأردن، 2004.

90- علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري، من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب.

91- علي بن أبي زرع الفاسي ،الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، مراجعة وتحقيق: محمد بن أبي شنب، مطبعة جول كربونل، الجزائر العاصمة، 1920.

92- علي صدر الدين ابن معصوم المدني، أنوار الربيع في أنواع البديع ، تحقيق: شاكرا هادي شكر، مطبعة النعمان - النجف، ط1، 1969 .

[حرف الفاء]

- 93- فاطمة الشيدي، المعنى خارج النص، أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب دار نيوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، 2011.
- 94- فان دايك ، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ، ترجمة سعيد بحيري ، دار القاهرة للكتاب، ط1، 2001.
- 95- الفراء، معاني القرآن، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة مصر 1980.
- 96- الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1984.
- 97- فولفجانج وفيهفجر، مدخل إلى علم لغة النص، ترجمه وعلق عليه ومهد له د. سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2004.
- مدخل إلى علم اللغة النصي ، ترجمة فالح بن شبيب العجمي، مطابع جامعة الملك سعود ، ط1، الرياض، 1419هـ - 1999م.
- 99- الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر للتوزيع، بيروت- لبنان، 1999م.
- 100- فيصل الأحمر ، معجم السيميائيات ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط1، 2010.
- 101- فندريس: اللغة، ترجمة الدواخلي والقصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، 1950.

- 102- قاسم مومني، في قراءة النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1999.
- 103- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي ط دار الكتب العلمية بيروت.
- 104- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبدیع، ط/ دار الكتب العربية(د.ت).

[حرف الكاف]

- 105- كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمة: سعيد حسن بحيري.

[حرف اللام]

- 106- لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تعليق بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات، الجزائر، (د ط، دت).
- 107- ليندة قياس، لسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمداني أنموذجا، مكتبة الآداب، ط1، 2009.

[حرف الميم]

- 108- محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص، ومجالات تطبيقه، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2008 .
- 109- محمد إقبال عروي، دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية، روافد، الكويت، ط1، 2007 .

- 110- محمد بازي، التأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.
- 111- محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط1، 1997.
- 112- محمد حماسة عبد اللطيف ، النحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي) ، دار الشروق، ط 1 القاهرة 1420هـ - 2000م .
- 113- محمد خطابي ، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2006.
- 114- محمد خير البقاعي، دراسات في النص والتناصية، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1998.
- 115- محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب ، المؤسسة العربية للتوزيع ، بيروت، ط1، 2001.
- 116- محمد عزام ، النص الغائب . اتحاد الكتاب العرب. دمشق (د. ط. د ت).
- 117- محمد العبد، إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي، مدخل لغوي أسلوب، دار المعارف، مصر، ط1، 1988.
- 118- محمد عبد العظيم، معاني النص الشعري، طرق الإنتاج وسبل الاستقطار، ضمن صناعة المعنى وتأويل النص، أعمال الندوة التي نظمها قسم العربية كلية الآداب منوبة سلسلة الندوات مجلد : VIII منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، 1992.

119- محمد مفتاح:

- في سيمياء الشعر القديم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1989.
- التشابه والاختلاف، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، بيروت، 1996.
- علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي، جدة، (دط دت).
- تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 1992.
- دينامية النص، المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت، 1992.
- دينامية النص، تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، ط1، 1987.
- مجهول البيان، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990.
- النص من القراءة إلى التنظير، المدارس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 2000.
- 127- محمد يونس علي، مقدمة "مدخل إلى اللسانيات"، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004.
- المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط2، 2007.
- 129- محمود السعران، علم اللغة، (مقدمة للقارئ العربي)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (دط، دت).

130- محمود عكاشة :

- تحليل النص ، دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي ، مكتبة الرشد ناشرون ، ط1، 2014 .

- لغة الخطاب السياسي ، دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال ، دار النشر للجامعات ، القاهرة ، مصر ، ط1، 2005.

132- محمود فهمي حجازي ، مدخل إلى علم اللغة ، دار قباء ، القاهرة ، 1997، (د ط).

133- محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، (د ط).

134- مصطفى حميدة ، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان ، ط 1، 1997 .

135- مصطفى عبد السلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القراءان، مكتبة القراءان، القاهرة، (د.ت).

136- مصطفى السعدني :

- التناص الشعري (قراءة أخرى لقضية السرقات) ، توزيع منشأة المعارف، الاسكندرية ، 1991.

- مدخل الى بلاغة النص ، منشأة المعارف الإسكندرية.

137- مصطفى النحاس، نحو النصّ في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ذات السلاسل، ط1، 2001.

138- مروان مولاي العلوي، الشرطيات في لسانيات الخطاب، دراسة في ضوء المنطق والدلالة السورية، نور للنشر ، دط ، 2017.

139- مناع عادل، نحو النص، اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية، مصر العربية للنشر، القاهرة، ط1، 2011.

140- منذر عياشي:

- النص، ممارساته وتجلياته، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع96-97، 1992.

- الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط1، 2002.

142- ميشيل فوكو، حفريات المعرفة، تر: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1987.

143- ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط4، 2005.

144- مكدونيل ديان، مقدّمة في نظريات الخطاب، ترجمة د. عز الدين إسماعيل؛ المكتبة الأكاديمية، ط1، القاهرة، 2001 .

[حرف التّون]

145- نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1998.

146- نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2009.

[حرف الهاء]

- 147- هنري فليش ، العربية الفصحى دراسة في البناء اللغوي ، تحقيق عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب.

[حرف الياء]

- 148- ياكبسون، رومان- قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومازن حنون، ط1، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 1988م .
- 149- يوسف نور عوض، علم النص و نظرية الترجمة، دار الثقة للنشر والتوزيع، ط1، 1410.
- نظرية النقد العربي الحديث، دار الأمين ، مصر ، ط1، 1994 .

ب. المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

- 01-D .Maingueneau, Initiation aux méthode de l'analyse du discours, Classiques Hachette, Paris, 1976.
- 02-Crystal (David); A Dictionary of Linguistics and phonetics; Black well published; (6th ed); London 1991.
- 03-G Broun, and George Yule, Discourse Analysis C.U.P London, (1983).
- 04-Hartman, R.R. K and F. C. stork; Dictionary of Language and linguistics; Applied Science published; London; 1972.
- 05-Jean Dubois et autres, Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, Larousse ;Paris, 1999.
- 06- M.A.K.Halliday & Hassan Cohesion in English. Longman, London. 1976.

- 07- M.A.K.Halliday , An Introduction To Functional Grammar ,(London: Edward Arnold Publishers ,Ltd, 1985.
- 08-Michel FOUCAULT, Les mots et les choses, Editions Gallimard, Paris, 1966.
- 09-Michael MacCarthy, Discourse Analysis for Language Teachers, 1991.
- 10- Raphael Salkie Text and Discourse Analysis, London and New York, 1995.
- 11- R.de Beaugrande & w.Dressler ; Introduction to text Linguistics .
- 12-Teun A.Van Dijk ,Text and Context Explorations in the Semantics and pragmatics of Discourse 1977.

المجلات والدوريات:

- 01- بشير إبرير، من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص ، مجلة الموقف الأدبي ، العدد 401 .
- 02- جان ميشال آدم، قراءة في اللسانيات النصيّة، عرض خولة طالب الإبراهيمي، مجلة اللغة و الأدب، العدد 12، شعبان 1418 هـ، ديسمبر 1997، معهد اللغة العربية و آدابها، جامعة الجزائر.
- 03-جون سيرل ، العقل مدخل موجز ، تر ميشال حنا متياس ،سلسلة عالم المعرفة ، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت /العدد 343، شعبان 1428هـ ، سبتمبر 2007م.
- 04- رولان بارت، نظرية النص: ت. محمد خير البقاعي. مجلة العرب والفكر العالمي. عدد(3) بيروت، 1988.

- 05- السعيد عبد المجيد النوتي، قصيدة أبي الطيب الرندي في رثاء الأندلس، دراسة بلاغية تحليلية، قسم البلاغة والنقد - كلية اللغة العربية - جامعة أم القرى بمكة المكرمة. بحث مقدم.
- 06- سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، مقال بمجلة فصول، المجلد العاشر، العددان الأول والثاني، يوليو 1991م.
- 07- صبحي الطعان، بنية النص الكبرى، عالم الفكر، المجلة 23، العددان الأول والثاني - يوليو / سبتمبر، أكتوبر - ديسمبر.
- 08- عبد الرحمن بو درع، أثر السياق في فهم النص القرآني، مجلة الإحياء المغربية، عدد/ 25، جمادي الثانية 1428هـ - يوليو 2007 .
- 09- عبد المالك كجور، المؤلف والنص في ضوء الاتجاهات النقدية الحديثة، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ع15، أبريل 2001 .
- 10- مليكة دحامية، هرمنيوطيقا النص أو فلسفة التأويل النصوص، محاولة لتحديد المصطلح، مجلة الخطاب، عدد ماي، 2006 .
- 11- يحيى عابنة، آمنة الزعبي، مجلة جامعة دمشق: المجلد 29، العدد (2+1) .
- 12- نور الهدى لوشن، التناص بين التراث والمعاصرة، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، جامعة الشارقة، ج15 : ع26، صفر 1424هـ.

د. الرسائل الجامعية:

- جمال مجناح، دلالات المكان في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد 1970، (دكتوراه العلوم في الأدب العربي الحديث)، إشراف: العربي دحو، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2007.
- سوداني عبد الحق، آليات الاتساق الهمزية: بحث مقدم لنيل شهادة ماجستير تخصص لسانيات النص، إشراف د: فرحات عياش، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009/2008.
- محمود سليمان حسين الهواوشة: أثر عناصر الاتساق في تماسك النص دراسة نصية من خلال سورة يوسف، بحث مقدم لنيل شهادة ماجستير، إشراف د: فايز محاسنة، جامعة مؤتة 2008.
- مفتاح بن عروس: الاتساق والانسجام في القراءان الكريم، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في تخصص لسانيات النص، إشراف: أ.د: زوبير سعدي وأ.د: الحواس مسعودي، جامعة الجزائر، 2008/2007.
- وسام نش: ظواهر الاتساق والانسجام في النص القراءاني سورة الكهف نموذجا، بحث مقدم لنيل شهادة ماجستير، تخصص لسانيات النص، إشراف أ.د: مفتاح بن عروس، جامعة الجزائر 2012/2011.

قائمة المحتويات

(المحتويات)

الموضوع

الصفحة

المقدمة

..... أ - خ

الفصل الأول : (لسانيات النص ، مفاهيم وتعريف)

96 - 01

تمهيد

06-01

أولاً : من نحو الجملة إلى نحو النص

17-07

ثانياً: بين النص والخطاب

18

ثالثاً: مفهوم النص

28

1- مفهوم النص في التراث العربي..... 30

2- مفهوم النص في الدراسات الغربية الحديثة..... 37

3- مفهوم النص في الدراسات العربية الحديثة..... 48

4- الفروق بين نحو الجملة ونحو النص..... 55

5- مفهوم اللسانيات النصية..... 56

6- المعايير النصية 63

6-1- القسم الأول : ما يتصل بالنص ذاته

67

أ- الاتساق..... 67

ب- الانسجام 70

6-2- القسم الثاني : ما يتصل بمن يتعامل مع النص منتجا ومتلقيا

73

أ- القصديّة..... 73

ب- المقبولية..... 79

ج- الإعلامية..... 83

6-3- القسم الثالث : ما يتصل بالسياق المادي والثقافي.....85

أ- المقامية..... 85

ب- التناص..... 91

الفصل الثاني : آليات الانسجام النصية والتداولية.....98 - 225

1 : الانسجام..... 98

1-1- مفهوم الانسجام..... 98

1-1-1- الانسجام لغة..... 99

1-1-2- الانسجام اصطلاحا..... 100

1-2-1- الانسجام في الدراسات العربية..... 107

1-2-1- الجاحظ..... 108

1-2-2-1- ابن طباطبا..... 109

1-2-3- الجرجاني..... 111

1-2-4- القرطاجني..... 113

1-2-5- الزركشي..... 115

1-2-6- السيوطي..... 116

1-2-7- الطبطبائي..... 117

1-3-1- الانسجام في الدراسات الغربية..... 119

2- آليات الانسجام..... 125

1-2- المستوى المعجمي..... 125

1-2-1- علاقة التضاد..... 125

1-2-2- التكرار..... 129

1-2-2- المستوى الدلالي..... 135

135.....	1-2-2-العلاقات الدلالية.....
139.....	1-1-2-2-علاقات الربط
147.....	2-1-2-2-السببية.....
151.....	3-1-2-2-علاقة الإجمال والتفصيل.....
155.....	4-1-2-2-علاقة الشرط والجزاء.....
157.....	5-1-2-2-علاقة العموم والخصوص.....
158.....	6-1-2-2-قاعدة التدرج.....
158.....	7-1-2-2-الترادف.....
159.....	2-2-2-مبدأ التغيريض
164.....	3-2-المستوى التداولي
164.....	1-3-2-السياق.....
175.....	2-3-2-أهمية السياق.....
178.....	3-3-2-أنواع السياق.....
178.....	1-3-3-2-السياق اللغوي.....
179.....	2-3-3-2-السياق غير اللغوي.....
182.....	أولاً: السياق العاطفي.....
183.....	ثانياً: السياق النفسي.....
184.....	ثالثاً: السياق الثقافي.....
185.....	3- مقبولية النص بين السياق والتلقي.....
187.....	4- عناصر العملية التواصلية

189.....	1-4-المرسل
190.....	2-4- المرسل إليه.....
195.....	3-4- الرسالة
196.....	4-4-السنن.....
198.....	5-4-السياق.....
199.....	6-4- الفناة.....
200.....	5-خصائص السياق.....
205.....	2-3-2- مبدأ التأويل المحلي
209.....	3-3-2- مبدأ التشابه
212.....	4-3-2- المعرفة الخلفية
218.....	1-4-3-2- نظرية الأطر
219.....	2-4-3-2- نظرية المدونات
220.....	1-4-3-2- نظرية السيناريوهات
222.....	1-4-3-2- نظرية الخطاطات
223.....	5-3-2- البنية الكلية / موضوع الخطاب
224	1-عملية الحذف.....
225.....	2-عملية التعميم.....
226.....	3-الاختيار.....
227.....	4-الإدماج.....
357 - 230	الفصل الثالث : (الجانب التطبيقي)
230.....	1- التعريف بالشاعر.....

231.....	2- التعريف بالمدونة.....
236	2- آليات الانسجام في ديوان أبي البقاء الرندي
236.....	1-2- المستوى المعجمي
236.....	1-1-2- علاقة التضاد.....
237.....	1-1-1-2- الطباق.....
243.....	1-1-2-2- المقابلة.....
245.....	1-2-2- التكرار
260.....	2-2- المستوى الدلالي
260.....	1-2-2- العلاقات الدلالية.....
260.....	1-1-2-2- علاقات الربط
269.....	1-2-2-2- السببية.....
272.....	1-2-2-3- علاقة الإجمال والتفصيل.....
280.....	1-2-2-4- علاقة الشرط والجزاء.....
283.....	1-2-2-5- علاقة العموم والخصوص.....
286.....	3- مبدأ التغريض
290.....	4- مبدأ التشابه
299.....	2-3- المستوى التداولي.....
299.....	1-3-2- السياق في مرثية الأندلس.....
299.....	1-3-3-2- السياق اللغوي.....
310.....	1-3-3-2- السياق غير اللغوي.....
330.....	2-3-2- مبدأ التأويل المحلي
337.....	2-3-3- المعرفة الخلفية.....
340.....	1-3-3-2- نظرية الأطر
342.....	2-3-3-2- نظرية الخطاطات
346.....	2-3-3-3- المدونات.....

348.....	2-3-3-4- نظرية السيناريوهات
351.....	2-3-4- البنية الكلية / موضوع الخطاب
354	1-عملية الحذف
356.....	2-عملية التعميم
358.....	3-الاختيار
359.....	4-الإدماج
364	الخاتمة
364.....	نتائج البحث
369.....	ملحق
396.....	المصادر والمراجع
418.....	المحتويات

ملخص

ملخص :

البحث الذي بين أيدينا موسوم بـ " الانسجام النصي في ديوان أبي البقاء الرندي " ، يهدف إلى الكشف عن إرهاصات البحث النصي في التراث العربي من خلال البحث عن وسائل الانسجام النصي في الديوان الذي هو محل الدراسة، انطلاقاً من مسلمة مفادها أن قصائد الديوان تشكل نصاً واحداً ، وبحثنا عبارة عن دراسة لسانية نصية تداولية لبعض مظاهر الانسجام، إذ يعد الانسجام من أهم المباحث والمفاهيم اللسانية التي أولتها اللسانيات النصية بالدراسة ، فالانتقال من دراسة الجملة إلى دراسة أشمل وأعمق تشمل النص ليس بالأمر السهل، فكثير من اللغويين انكب في دراساته اللسانية على دراسة النص بعد أن تأكدوا قصر الجملة في التحليل، لأن الجملة لم تعد كافية لكل مسائل الوصف اللغوي ، فالبحث في العلاقات التي تربط بين الوحدات الصغرى (الجملة)، لتكوين وحدة كبرى أكبر وأشمل وهي (النص) ضروري وهو من أساسيات التحليل وهذا منذ ظهور لسانيات النص، كما لا يمكن إنكار دور العلاقات الخارجية التي يحكمها السياق، فالنص والسياق يتم كل منهما الآخر، وهذا الأخير هو مجموع النص الذي يحيط بالجملة التي يراد فهمها، وعليها يتوقف الفهم السليم عليها.

حاولنا استنتاج التراث من خلال إعادة قراءته والبحث فيه بحثا لسانيا نصيا

تداوليا فوجدنا أن المفاهيم التراثية في الدراسات العربية تشابه إلى حد كبير ما تناوله

الغربيون بالدراسة والتحليل .

Résumé:

L'étude qui est entre nos mains marquée par « l'harmonie textuelle dans le Diwan Abi ELBAKAA ELRANDI », elle cible le développement des implications de la recherche textuelle sur le patrimoine arabe a travers la recherche des moyens de l'harmonie textuelle dans le Diwan qui fait l'objet de l'étude. Elle est Basée sur l'hypothèse que les poèmes du Diwan constituent un seul texte.

Notre étude est une étude textuelle linguistique de certains aspects de l'harmonie, Cette dernière est l'un des sujets et des concepts linguistiques les plus importants que la linguistique textuelle a donné a l'étude , la transition de l'étude de la phrase à une étude plus complète et approfondie qui inclut le texte n'est pas facile. De nombreux linguistes, dans ses études linguistiques, se sont concentrés sur l'étude du texte après avoir confirmé la courte phrase dans l'analyse Parce que la phrase ne suffit pas pour chaque Problèmes de description linguistique, donc la recherche dans les relations entre les petites unités (phrases), Pour former une unité plus grande et plus complète

(le texte) est nécessaire, et c'est l'une des bases de l'analyse, et cela vient de l'apparition de la linguistique du texte, De plus, le rôle des relations extérieures qui sont conduits par le contexte est important ; ainsi que Le texte et le contexte se complètent ,Ce dernier est la somme du texte entourant la phrase à comprendre Et de cela dépend la bonne compréhension.

Nous avons essayé d'examiner le patrimoine en le relisant et en le recherchant dans une recherche textuelle délibératif, nous avons établis que les concepts du patrimoine dans les études arabes sont très similaires à ce que les Occidentaux ont étudié et analysé.